وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كـــــلية العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة

قسم :التاريخ

دور الحكّام الفاطميين في الحياة الفكريّة في المغرب(297-362هـ/909 -972م)

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: نـــدات أحمد

إشراف الدّكتورة: رافـــعي نشيـــدة

السَّنة الجامعية:2011/ 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

" إهداء "

إلى والدي رحمه الله

إلى والدتي أطال الله عمرها

إلى زوجتي وولداي سارة وعمر

إلى كلّ إخوتي وأخواتي

أهدي هذه الرسالة

المقدّمة

تطمح هذه الدِّراسة التي اخترنا لها عنوان:**"دور الحكّام الفاطميين في الحياة الفكريّة في المغرب"** إلى تَتَبُّع النَّشاط الفكري الذي خلَّفه وجود الفاطميين ، وما بَذله حكَّامها في سبيل ذلك ، والدّراسات الفكريّة الإسماعيلية في الفترة الأخيرة، تشهد ثورة على حدّ تعبير فرهاد دفتري ، إذ أُنشأت لهذا الغرض معاهد ،وانتظمت ندوات ، وأُنجزت بحوث أكاديميّة جادّة، وبدأت تتكشّف المخطوطات السريّة التي كان إلى عهد قريب ، لا يجوز الاطّلاع عليها ، فكان ثمرة هذا الجهد إلى غاية 1988م ، إنجاز حوالي 1300 عنوان، منسوبة إلى أكثر من 300 مؤلّف إسماعيلي ، قد تمّ تحـــديدها و تعريفها في الفهرست الإسماعيلي الضخم لبونوالا ، وقد تمّ نشر العديد من تلك النصوص في تحقيقات نقديّة في حين تمّ إنتاج عدد وفير من الدراسات الثانويّة ، في التاريخ والفكر الإسماعيليين ،من قِبَل ثلاثة أجيال متعاقبة من الدّارسين الإسماعيليين .

وقد يُلحّ التّساؤل في ذهن الباحث في شؤون الفكر والحضارة عامّة أنّه،إذا قرّرنا بأنّ بلاد المغرب في السياسة الفاطميّة ما هي إلاّ مرحلة انتقاليّة ثانويّة،فهل معنى ذلك أن نقرّ بأنّ الحياة الفكريّة فيها ثانويّة كذلك ؟هذا ما نستنتجه من السِّياق العام الذي تتّجه فيه معظم تلك البحوث والدّراسات المنجزة، إذ تركّز على الدّور المشرقيّ ، ولا تلتفت إلى الدَّور المغربي للدوَّلة إلاّ من خلال إنجازات الفقيه الإسماعيلي الوحيد"القاضي النعمان" .

وهذا الطّرح على كثرة من يَعمل بمقتضاه،يحتاج منّا إلى حُكْمٍ يكون بعد بحث ودراسة لتأكيد أو نفي الحضور الفكري لهذه الدّولة في المغرب .

والبحث مرتبط بدور الحكّام الفاطميين في الحياة الفكريّة ، والحكّام أئمّة يَحكمون بمرجعيات دينيّة وسياسيّة،وهنا تبرز إشكاليّة هامش الحرّيات الممنوحة التي اشتكى من ضيقها عامّة أهل المغرب،وهو ما أثار في تاريخ المغرب الإسلامي ثنائيّة الولاء والمعارضة أو أنصار الدّولة وخُصومها ،ممّا عجّل لدى كثيرين إصدار أحكامهم ضدّها،وليس من السهل استئناف حكم أصدره التاريخ .

إنّ دراسة الجوانب الفكرية للنشاط الإسماعيلي ،الذي هو مجال بَحثنا ،لا يَكون فقط من خلال تطور بنيتها الداخلية ، بل أيضا بربط منحنيات تكوينها وتطورها بمواقف وقرارات السلطة الحاكمة ، التي تمثل إفرازا لواقع ثقافي واجتماعي ساد خلال القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر ميلادي.وعلى كلّ حال ،فإنّ أئمّة دور الظهور تحوّلوا من حال الممانعة التي اضطرّتهم إلى السرّ والكتمان،إلى حال المدافعة بالقوّة وبقهر السيف وذلك في مرحلة الظهور ، ويُحسب لهم قيامهم بأعباء الحياة العقليّة ،إلى جانب الحياة السياسية،فاشتغالهم بالتراث الفكري

الغنوصي،وتسخيرهم إمكانيات هائلة ، على التعليم والتأليف في مجـــال الفلسفة والعلوم العقليّة ، كان بدافع الفكر المستند إلى الأهواء والظنون في إتباعه منهج التأويل المفضي إلى القول بالباطن ، ومن هنا فإنّ ما وظّف من إستراتيجية في التعليم،وظّف بدوره لصالح الفكر الإسماعيلي،وهذا سُخّر بدوره لأغراض سياسيّة .

وما يثير الانتباه أن الفكر الشيعي في المغرب كان قابلا للتَّطور داخل الدائرة التشيع، دون المساس بمحورية ومكانة الحاكم (الإمام) ، الذي يتمتّع بمطلق السلطتين الدّينيّة والدّنيويّة. فدولة الإسماعيلية تعد أنموذجا واضحا للدولة الثيوقراطيّة في التاريخ الإسلامي

أسباب اختيار الموضوع :

لم يكن دافعي لاختيار الموضوع - مجال البحث -كونه يدخل في دائرة اهتماماتي العلمية فقط،بل أيضا بقدر ما تكتسي الدراسة من أهمية في تسليط الضوء على المركزية الفكرية والثقافية،في تاريخ الدولة الإسماعيلية، مجسَّدة في شخص الإمام الذي انتهت إليه السلطتين الدينية والدنيوية ، والذي كان له مكانة ودور ، في الحياة العقليّة لطائفته

ولفت انتباهي ما تحتاجه هذه الدّولة من عناية الباحثين خاصّة في دورها المغربي،ووقوع بعض المصادر والمراجع الهامّة بيدي،ممّا شجّعني على اختيار الموضوع ، والاستمرار فيه .

كما أنّ معظم الدّراسات المشرقيّة ،تنظر إلى الدور المغربي للدّولة الفاطميّة على أنّه مرحلة انتقاليّة عسكريّة قصيرة ،خصوصا النشاط الفكري الذي لم ينل حظّه الأوفر من الاهتمام من قبل أولئك المؤرّخين.وهو ما رغّبني بالاهتمام بهذا الدّور،وفي هذا المجال

للوقوف على الرصيد الحضاري الذي أفرز هذا الفكر المذهبي ،وذلك نظرا لما أحدثه من تأثيرات انعكست على تاريخ المنطقة وتأثرت به زمنا غير قليل . والرغبة في إبراز الدور الفكري الدّاعم ،وإن كان في حدود دائرة الولاء للمذهب ، إنصافا لجهودهم.

هذه جملة أسباب حدت بي إلى اختيار الموضوع.

إشكاليّة الموضوع :

على الرغم من أنّ دراسة الحياة العقليّة لأمّة من الأمم أمر صعب ، وخاصّة إذا كانت هذه الأمّة تتبنّى فكرا باطنيّا ، فإنّنا حاولنا معالجة الموضوع انطلاقا من إثارة جملة من التساؤلات ،نحصر بها إشكاليّة الموضوع ،وتؤدّي لنا الغرض من البحث .

والإشكاليات الأساسيّة تتمثّل فيما يلي :كيف نشأت وتطوّرت الدّعوة الاسماعيليّة في دوريها المشرقي والمغربي ؟ ما هي أفكار ومعتقدات الفاطميين ودور الدّعاة ؟ بماذا تميّز الدّور المغربي من عُمر الدّولة سياسيا وعقائديّا ؟ ما هي أهم المراكز العلميّة الرئيسيّة التي أطّرت الفكر الشيعي الإسماعيلي ؟ وما هي أهمّ المؤسسّات الفكريّة الحاضنة لنشاط للنخب الشيعيّة بالمغرب ؟ وما هو دور الحكّام الفاطميين فيها ؟

فيم تمثّلت أنشطة المجالس العلميّة ؟ وبماذا اختصّ الفاطميّون عن غيرهم ؟ ما هو دور الحكّام الفاطميين في تلك الأنشطة ؟ وهل ساهموا فيها ؟ ما هي أهمّ العلوم والمعارف الدّينيّة و الأدبيّة التي اهتمّ بها الفاطميّون ؟ ما هو دور القاضي النعمان في تطوّر الفقه الإسماعيلي ؟ وما هو دور الأئمّة العلمي ؟ وهل ساهموا في دفع الدّراسات الدّينيّة والحياة الأدبيّة ؟

وأُشير هنا إلى جملة صعوبات واجهتني كان من أبرزها:

- رغم وفرة المادّة العلميّة عن الفاطميين ، إلاّ أنّ الجانب الفكريّ من هذه الدّراسات قليل جدّا (في الفترة المغربيّة) ، فمعظم الأبحاث تتّجه للجوانب الأخرى
- صعوبة الوصول إلى بعض المصادر ، التي يصنّفها أبناء المذهب الإسماعيلي بالسريّ للغاية ، ممّا اضطرّني للنّقل عن مراجع اعتمدت مثل هذه الكتب
- هناك جانب من تراث الإسماعيليّة تمّ الاعتناء بتحقيقة ، مع ضبط مصطلحات الدّينيّة المذهبيّة ،إلاّ أنّ بعض هذا التراث أُخرج للطّبع دون تحقيق ، ممّا يجعل الباحث يعجز أحيانا في قراءة هذه الكتب ،التي تعتمد الرموز أحيانا .
- من الصعوبات أيضا هيمنة أعمال القاضي النعمان على النشاط الفكريّ الاسماعيلي ، ممّا اضطرّنا للبحث عن مفكّرين آخرين ، مع العلم أنّ النعمان تناوله باحثون آخرون .
- صعوبة التعامل مع بعض أمناء المكتبات،وعدم تعاونهم في تسهيل تقديم الكتب المطلوبة .

الخطّة المتّبعة في البحث:

للإجابة عن هذه التساؤلات السالفة الذّكر ، رأينا أن نتّبع الخطّة التاليّة :

الفصل الأوّل : تناولت فيه نشأة الطائفة الإسماعيليّة بعد وفاة الإمام السادس جعفر الصّادق (ت148هـ) ، وتتبّعت بإيجاز مراحل التطوّر الدّعوي والعقائدي للإسماعيليّة في المشرق مع أئمّة دور السّتر، ثمّ في الدَّور المغربي ،والذي قام فيه الدّاعي أبو عبد الله بدور هام مهّد به لقيام الدّولة . ولّما كان الغرض هو معرفة الآثار الفكريّة لهذه الجماعة وجب علينا الإلمام بمنظومتها العقديّة،وما طرأ من تَغيّر على تلك المعتقدات في الدّور المغربي ، ولقد ثبت لنا أنّ الفاطميين قالوا بالظاهر والباطن،وأنّ الغلوّ الذي اشتكى منه الأئمّة أنفسهم ،كان عارضا في التوجّه العام للدّولة ،وهو ما يُبرز دور الأئمّة في إعادة صياغة المعتقد الإسماعيلي ،باعتبارهم أحد المصادر الهامّة للعلم والمعرفة . فالدّور المغربي كان له تأثيره في تعديل ما جاء به الاسماعيليّون من عقائد متطرّفة ولو من باب التقيّة

الفصل الثاني: تحدّثت فيه عن أهمّ المراكز العلميّة ، والمؤسّسات الثقافيّة التي احتضنت النشاط العلمي والثقافي ببلاد المغرب ،وجَعَلْتُ مدخل الفصل إشارة إلى العوامل المؤثّرة في الحياة الفكريّة في العهد الفاطمي، ثمّ تطرّقت لأهمّ المراكز العلميّة التي مثّلت إشعاعا فكريّا لدى الإسماعيليّة خاصّة،تعرّضت من خلال ذلك إلى الدّور الذي أسهمت به تلك الحواضر في ازدهار ثقافي وفكري مثل المهديّة ، وصبرة،والمسيلة ،ثمّ أفردت لدُورِ العلم والمؤسّسات العلميّة مبحثا ، تناولت فيه أهمّ الوسائط الثقافيّة التي أطّرت الحياة الفكريّة كالمساجد ومجالس العلم والحكمة،وحركة التأليف،حاولت بذلك إجلاء الحياة الفكريّة في أزهي مظاهرها عند الفاطميين ، ودور الأئمّة الفاطميين الفاعل والمؤثّر ،في تأسيس تلك المراكز العلميّة ، أو نشاط تلك المراكز العلميّة ، سواء لدى الإسماعيلية أو لدى خصومهم من أهل السنّة المالكيّة .

الفصل الثالث: خصّصته للحديث عن أنشطة المجالس العلميّة في بلاد المغرب في الفترة الزمنيّة التي شغلها حكم الفاطميين،مبرزا دور الحكّام الفاطميين في تلك الأنشطة وكان أهمّها مجالس المناظرات التي جمعت خصوم الدّين في مجلس واحد ،و أبانت عن اختلاف كبير في الطرح والرؤية ، ومن أهم تلك الأنشطة ، انتعاش حركة التأليف والتي كانت مظهرا بارزا لسياسة الأئمّة في تَخليد فكرهم ، عن طريق التأليف ، وفي مجالس الحكمة وهي مجالس خاصّة ، يتلقى فيها العلم الباطني ، وهي ميزة هذا الفكر الذي يُفرّق بين مريديه ، ويُنزلهم حسب التدرّج المعرفي على مراتب في

الفهم والتقبّل ، وجعلت نهاية الفصل حديث عن دور الحكّام الفاطميين في نشاط تلك المجالس ،وبيّنت ميلهم الواضح إلى دعم مذهبهم ،كلّ ما يزيد من رسوخه وهيمنته على المذاهب الأخرى ،وميّزت بين موقف عبيد الله وابنه القائم المتشدّد والرافض لأيّ فكرة للتعايش مع الخصوم ، وموقف المنصور والمعزّ لدين الله الذَين استقرّا على رأي إظهار الموافقة ،وعدم أخذ الناس بالشدّة في تقبّل ديانتهم .

الفصل الرابع : ركّزت في هذا الفصل على أهمّ مجالين ، مثّلا قمّة الإنتاج الفكري الفاطمي ، وهي الدّراسات الدّينيّة والحياة الأدبيّة ، ففي مجال الدّراسات الدّينيّة تناولت الفقه الفاطمي ،وهو من علوم الظاهر عندهم ، وما ساهم به القاضي النعمان ، باعتباره المشرِّع الأكبر للدّولة والمذهب ، و النعمان صنيعة المعز لدين الله ،وإحدى حسناته على الإسماعيلية إلى اليوم ، ثمّ بحثت في التأويل الإسماعيلي ، وذكرت نماذج من طريقتهم في التعامل مع النصّ القرآني الصريح ،وفي نهاية الفصل أبرزت ما للأئمّة من نصيب في هذه الدّراسات الدّينيّة ، سواء بالأشراف والتوجيه ،أو بالكتابة والتأليف .

ثمّ تطرّقنا إلى الحياة الأدبية شعرا ونثرا ، وعرضت لأهمّ شعراء المرحلة ، وأدبائها ، مع إبراز مساهمات الأئمّة في النشاط الأدبي الذي كان مظهره ، تلك الخطب البليغة والأشعار الجيّدة ، التي تُنسب للأئمّة .

وأنهيت بخاتمة للفصول ، جعلتها خلاصة للموضوع ،أثبتّ فيها أنّ الحياة الفكريّة في المغرب على العهد الفاطمي،كانت امتدادا للعهد الأغلبي في الازدهار والنشاط الثقافي .

عرض وتحليل المصادر والمراجع :

ساعدني على إنجاز هذا العمل ، مجموعة من المصادر الأصليّة والمراجع والأبحاث التي تتعلّق بالحياة الفكريّة ؛ فاعتمدّت على كتب الطّبقات والتراجم بالدّرجة الأولى ،وعلى الكتب التي تؤرّخ للحياة للحضاريّة بالمغرب ، ثمّ الكتب التي تعالج الفــرق والمذاهب الإسلاميّة بالدّرجة الثانيّة ، حيث أنّ الدّراسات الشّرعيّة والأدبيّــة هي جوهر الحياة الفكرية وما يَعنينا في هذا المجال هو إيضاح مدى أهمّيّة هذه المصادر والمراجع ومساهمتها في إطار ما انفرد به كلّ مصدر عن آخر .

أهمّ المصادر والمراجع الإسماعيلية :

يلاحظ أنّه من بين المصادر الأصليّة التي بقيت ، تحتلّ أعمال الفقيه الشيعي أبي حنيفة النعمان منزلة كبرى ،إذ أنّ أهمّيّة هذا المؤلّف تتجلّى في أكثر من ناحيّة ،فهو معاصر لما
سجّله من أحداث،كما ساهم في تطوّر الفكر الإسماعيلي،تحت رقابة وتوجيه من الأئمّة وبفضل التشجيع توّجت أعمال النعمان –كما أراد المعزّ–خدمة للدّولة وأنصارها ، في ميدان القضاء والدّعوة ،وفي تنشيط حركة التأليف .

أهمّ كتب النعمان المعتمدة ، كتاب **"افتتاح الدّعوة وابتداء الدّولة"** الذي يُعتبر قصّة متكاملة عن الحركة الإسماعيليّة منذ أن ابتدأت في المغرب ، بفضل جهود الدّعاة الأوائل الذين جاؤوا من مركز الدّعوة في اليمن إلى أن تطوّرت إلى نظام خلافة عتيدة ، ورواية النعمان في " افتتاح الدّعوة " ،اعتُمدت عند كلّ من ابن خلدون والمقريزي والنويري ، فالكتاب وثيقة تاريخيّة هامّة ، قد يؤثّر على جانب الموضوعيّة فيها المذهب الخاصّ ، أو اتّصال المؤلّف الوثيق بالأئمّة .

ويُعتبر كتابه **" المجالس والمسايرات"** أيضا وثيقة هامّة عن الدّور المغربي للدّولة الفاطميّة حين تضمّن صورة صحيحة عن أقوال الأئمّة التي تضمّنت توقيعاتهم وآرائهم ومواقفهم المختلفة ، ممّا جعله أشبه بسجّل يومي ،رصد فيه النعمان سيرة الأئمّة بكلّ أمانة ودقّة .

كما يُعدّ كتابه الثالث" **الهمّة في آداب اتّباع الأئمّة"** شرحا مستفيضا لأهمّ واجبات المريدين نحو الإمام المعصوم ،وهي الطاعة المطلقة .

وفي **"دعائم الإسلام"** أقوم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين ، ويشمل العبادات القائمة على سبع دعائم ،والمعاملات التي رتّبها في خمس وعشرين باب(كتاب)،والجزء
الأوّل قيّم للباحث في علم الكلام ، ويغلب على معالجته للموضوعات الصبغة الدّينيّة الكلاميّة ،كما نجد بها مسائل تشريعيّة .

ويأتي كتاب **" سيرة الأستاذ جوذر"** لأبي عليّ منصور العزيزي الجوذري ،في طليعة الكتب الفاطميّة الهامّة ،إذ يُقدّم وثائق رسميّة هامّة ،بين عاميّ 323 و 363هـــ وهي صورة جزئيّة مباشرة لأربعين عاما من حياة الدّولة ، ولتعليقات المؤلّف المُدرجة بين التوقيعات قيمة كبيرة لأنّه عرف ظروفها حين لازم مولاه جوذر .

كما استفدنا من كتب الدّاعي إدريس في **"عيون الأخبار وفنون الآثار"** ، ولا سيما السبع الرابع والخامس والسادس ، وهو أشمل كتاب في تاريخ الحركة الإسماعيليّة ويُمثّل وجهة نظر الدّعوة ؛ومن كتبه الهامّة كتاب**"زهر المعاني"**وهو كتاب هام في علم الباطن الذي يدّعونه جعله في 21 بابا ،شمل مجمل عقائد الإسماعيليّة،ما كان منها علميا أو عمليّا.

ومن كتب الملل والنحل ،يُقدّم النعمان في **"أصول اختلاف المذاهب"**،والكرماني في **" المصابيح في ثبات الإمامة"** معلومات هامّة عن قضيّة النصّ ، وأنّها في الإمام عليّ بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين ، ثمّ إسماعيل من أبناء جعفر الصادق ، وممّا تضمّنته كتب**:"المجالس المستنصريّة"** و **"السيرة المؤيّدة"** استفدنا حقائق هامّة عن الشيعة وعن فرقة الإسماعيليّة واختلافاها ، واتّضحت هذه الحقائق في أبحاث مصطفى غالب في **" تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة"** وما جمعه من **" أربع كتب حقّانيّة"** شملت كتاب **" العالم والغلام "** ورسالة **" ضياء الحلوم "** و **" معرفة النفس الناطقة"** ورسالة **" مبتدأ العوالم ومبدأ دور الستر ولتقيّة "** ؛ كما ساهمت كتب باحث الإسماعيلي آخر وهو عارف تامر في تقديم مادّة معتبرة عن تاريخ الفرقة وتطوّرها الفكري من خلال كتب **:"** **"الإمامة "** و **" تاريخ الإسماعيليّة"** ، بالإضافة إلى ما جمعه وحقّقه في **: " ثلاث رسائل إسماعيلية"** و **"خمس رسائل إسماعيلية"** ، ومن الكتب المعتمدة ، كتـــاب **: " عبقريّة الفاطميين "**لمحمد حسين الأعظمي ، و**" طائفة الإسماعيليّة "** لكامل حسين ، كلّ هذه المؤلّفات تضمّنت معلومات ذات قيمة في هذا البحث ، وتعكس آراء أبناء الطـــائفة ونظرهم لتاريخ الدّعوة **.**

كما استفدنا كثيرا من أعمال تقيّ الدّين المقريزي المتعاطف مع الفاطميين ، فمن خلال كتابه **" المقفّى الكبير "** اتّضحت لنا تراجم لبعض الشخصيّات ، كما أنّ كتابه **" اتّعاظ الحنفا"** يُعتبر أهمّ وثيقة تاريخيّة عن العصر الفاطمي ، بدوريه المغربي والمصري ، ولقد اتّسمت إشارات المقريزي في كتابه هذا ، بقدر كبير من الضبط والدّقة ، وتأثّره بالمدرسة التاريخيّة المغربيّة حيث أشار في بعض المواطن إلى مؤرّخ صنهاجة وبلاد المغرب في القرن الرابع للهجرة ،وهو الرقيق القيرواني ؛ كما اعتمدنا على كتـــاب **" الخطط"** الذي أفادنا في كثير من جونب هذه الدّراسة **.**

أهمّ المصادر والمراجع السنيّة :

أهمّها كتب الطبقات، وميزة كتب الطبقات أنّها تقدّم معلومات مفصّلة عن حركة الجدل وموضوعاته ورجاله ،وهي الحركة التي كانت في العصر الأغلبي ثمّ استمرّت بعد ذلك في عنف

وشدّة في العصر الفاطمي ،فأبو العرب تميم (ت333هـ) في " **طبقات علماء إفريقية** " ، يشير إلى المالكية والأحناف الذين اشتهروا بالجدل والمناظرة ، والاضطهاد الذي تعرّضوا له على يد الفاطميين؛والخشني في كتابه"**قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**"يُشير إلى أنّ الجدل المذهبي اشتدّ ،ولجوء الفاطميين إلى استخدام سلطاهم الماديّة للإقناع والإرهاب .

ويحفل كتاب " **رياض النفوس**" لأبي بكر المالكي ، وكتاب"**معالم الإيمان**" للدبّاغ بمعلومات كثيرة عن هذا العصر ، ومن كتاب " **ترتيب المدارك** "للقاضي عياض السبتي الكثير من التراجم للشخصيات التي عاشت في العصر الفاطمي ،وما لاحظناه على كتب الطبقات أنّ هناك إهمال تامّ للتعريف بعلماء الشيعة ودعاهم وأدبائهم .

كما تحفل كتب التاريخ العامّة والخاصّة بإشارات مفيدة ومتنوّعة ،في موضوع الحياة الفكريّة بالمغرب،فابن حمّاد الصنهاجي يُقدّم معلومات هامّة حول سيرة الأئمّة مواقفهم تجاه الخصوم في كتابه " **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم** " ،ويُقدّم ابن عذاري في كتابه "**البيان المغرب**"وجهة نظر السنّة تجاه الفاطميين،إذ يَعمل على كشف سياسة الفاطميين المغرضة ،ويُوضّح كيف أبدى المهديّ التشيّع القبيح ، وحمله الناس على اعتناق المذهب الجديد،كما يورد الشعر الذي يُعبّر عن الغلوّ في تعظيم الأئمّة ،وأهميّة ابن عذاري تظهر في أهميّة مصادره بالنسبة للحوادث ،فهو ينقل عن الورّاق والبكريّ وابن قطّان والرقيق وابن شرف والقضاعي .

كما يُعدّ كتاب "**العبر** "لابن خلدون من المصادر الهامّة ، رغم تأخّره النسبي ،ودفاعه عن النسب الفاطمي ، فيمدّنا بمعلومات مستفيضة عن الأئمّة ومراحل حكمهم ، ويأتي ابن أيبك الداويدار في كتابه" **الدرّة المضيئة**" ،ليضيف معلومات هامّة للبحث في الفترة الفاطميّة ،ومواقف الأئمّة السياسية والدّينيّة .

أمّا فيما يَتعلّق بجهود المعاصرين ،فقد استفدنا من دراسات وأبحاث حسن إبراهيم حسن وله كتابان بالاشتراك مع طه أحمد شرف وهو كتاب "**:عبيد الله المهديّ** "وهذا الكتاب هو ترجمة للإمام المهديّ ،تناول فيه المؤلّفان حياة عبيد الله ، مركّزين على بداية الدّعوة ثمّ نجاحاتها في بلاد المغرب ؛وكتاب آخر هو" **تاريخ الدّولة الفاطميّة في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب**" ، وفي هذا الكتاب تناول المؤلّف ما تعلّق بتاريخ الدّولة الفاطميّة في الفترة المغربيّة من بداية الدّعوة

ثمّ تطوّرها مع فترات الحكم المتعاقبة ، وهو استعراض تاريخي لم يتناول فيه مواجهة الدّولة مع خصومها،إلاّ فيما يَخصّ ثورة أبي يزيد الخارجي معتمدا في دراسته لها على مصادر تاريخيّة عامّة .

وللدّكتور موسى لقبال رحمه الله كتاب**"دور كتامة في تاريخ الدّولة الفاطميّة"** ورغم تناول الباحث لموضوع دور القبيلة على مسرح الأحداث في المغرب ، وعلقتها بالحركة الإسماعيليّة منذ القرن الثالث الهجريّ ، حتّى رحيلها إلى مصر ، فلقد استفدنا من مؤلّفه الكثير من حيث التراجم الواردة ، ومنهجيّته في التصقّي والبحث .

ولحسن حسني عبد الوهاب **" كتاب ورقات "** و **" مجمل تاريخ تونس"** ، وفيه من المعلومات القيّمة ما كان رافدا مهمّا في موضوع بحثي ، حيث أسهب في الحديث عن دار الحكمة ودورها ، كما تحدّث عن الجانب الثقافي الحيوي للدّور المغربي من تاريخ الدّولة الفاطميّة ، الذي شكّل أساس تطوّر وازدهار الفترة المصريّة .

كما أفادتني أطروحة الدّكتورة المشرفة –رافعي نشيدة- والتي تَناولت فيها بإسهاب ، الحياة الأدبيّة والثقافيّة بالمغرب ، مع كثرة التراجم للعلماء وإسهامات الأئمّة في رحاب الفكر الشيعي الإسماعيلي .

وفي مجال الدّراسات الأدبيّة ،استفدّت من مؤلّف الباحث:محمّد توفيق النيفر **"الحياة الأدبيّة في العصر الفاطمي"** ومحمّد اليعلاوي وكتابيه **" ابن هانئ الأندلسي "** وكتاب **"الأدب في العهد الفاطمي "** إذ اكتست هذه المؤلّفات أهميّة بالغة خلال الفصل الرابع مع تسليط الضوء على الحياة الأدبيّة في هذا العصر . فأوردت بعض نماذج من الشعر والنثر ، مع إيراد مناسباتها وأهمّ الترجمات للأدباء والشعراء .

ومن المراجع الهامّة التي استفدت منها ، جهود الباحث : فرهاد دفتري ، حيث ضمّ الكتاب الذي جمعه ورتّب مقالاته ، وهو كتاب **" الإسماعيليّون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم"**تضمّن أهمّ الأنشطة الفكريّة والقضايا العقائديّة التي ميّزت الإسماعيليّة في الفترة المبكّرة ، كما أفادني كتابه **" المناهج والأعراف العقلانيّة في الإسلام "** في الإحاطة بأهمّ تطوّرات الفكر الإسماعيلي في الفترة المغربيّة ، والباحث بول ووكر الذي وضعني كتابه **" الفكر الإسماعيلي في العصر الحاكم بأمر الله "** أمام خصائص الفكر الإسماعيلي من خلال مقارناته الدّقيقة بين الكرماني وما سبقه من المفكّرين الإسماعيليين ونذكر جهود الباحث إسماعيل قربان بونولا في كتابه

"التعليم عند الفاطميين" الذي استفدت منه في تتبّع النشاط التعليمي الذي تميّزت به المرحلة الفاطميّة ، وأفادني بمعلومات عن طرق التعليم ،ومراتب المتعلّمين من أبناء المذهب الإسماعيلي .

المراجع الأجنبيّة :

ومن بين المؤاجع الأجنبيّة التي استفدت منها كتاب فرهاد دفتري : The Ismailis Their History and Doctrines ،الذي يتتبّع الشيعة الإسماعيليّة في تطوّرهم الدّعوي والعقائديّ ، ومـــرحلة استقرارهم في بـــلاد المغرب ونشاطاتهم في نفس الموضوع يُناقش الباحث إيفانوف ، أصول الإسماعيليّة في كتـــابه The rise of the Fatimide ، ويناقش باستفاضة مشكلة النسب الفاطمي والمرحلة التي سبقت نشأة الدّولة ، كما تناول الباحث : هنري كوربـــان لأهمّ عقائد الاسماعيلية في كتابه : Cyclical Time and Ismaili Gnosis حيث تطرّق إلى التفسير الكوني وربطه بالعقيدة الإسماعيلية ، وفق نظريّة المثل والممثول في المعتقد الباطني ،وهي فكرة وضعت المعتقد الإسماعيلي أمام تفسيرات كونيّة ، حاولت به أن تطابق النظام الكوني بنظام الدّعوة ، في مراتبه ووظائفه ؛وتعرّض روجر إدريس إلى أهمّ المراكز الفكريّة التي ساهمت بأنشطتها في كتابه عن الأمراء الزيريين :

La Berberie Oriontale sous les Zirides

شكر وعرفان:

وفي ختام هذه المقدّمة ،لابدَّ من كلمة شكر للأستاذة الفاضلة المشرفة عليّ ، الدّكتورة **رافعي نشيدة**،التي كانت نِعْمَ العون والمرشد،والتي لم تبخل عليّ بالنصح والتوجيه فلها منّي كلّ التقدير والاحترام ، كما أشكر بامتنان زملائي في الدّفعة الذين ساعدوني في إتمام هذا البحث،وأخصّ بالذكر الأخ الفاضل:عبد العزيز شاكي،وعبد الله بن حفاف وشعيب خنّوف ، والأستاذ : الطيّب عويشة ، والأخ المحترم : أورياش محفوظ ، وكلّ أساتذتي الذين تعلّمت منهم من السّنة الأولى إلى الجامعة .

الفصل الأوّل :

نشأة الدّعوة الإسماعيلية وانتقالها إلى المغرب

أ ــ نشأة الدّعوة الإسماعيليّة

ب ــ تطوّر الدّعوة الإسماعيليّة

ب(1) في المشرق

ب(2) في المغرب

ج ــ التطوّر العقديّ للدّعوة الإسماعيليّة .

ج(1) اعتقادهم في الألـٰـهيّات

ج(2)اعتقادهم في الرّسل والأئمّة

ج(3)العقيدة الإسماعيليّة في الدّور المغربي

أ- نشأة الدّعـــوة الإسماعيليّة .

تُعتبر الطائفة الإسماعيلية،فرقة من الفرق الكبرى التي انتسبت للتشيّع،وانتشرت بدعواه[1]،ومثل بقيّة الجمـــاعات الشيعيّة، يَتتبَّعون تطوّر أطوار تاريخهم ، إلى زمن النبي (ص) ، ويُقيم أصحابها صـــحّة دعوتهم بإيصال نسبهم إلى فاطمة الزهراء وعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهما) ،ولا شكّ أنّ الفترة المبكّرة من تاريخ الدعـــوة الإسماعيليّة ، هي الجانب الأكثر غموضا في كلّ تاريخ الحركة ، وتمتدّ هذه المرحلة من بدايات الحركة الإسماعيليّة في منتصف القرن الثاني،حتى إعلان الدولة الفاطميّة(297هــ).

وتكمن أصول الشيعة الإماميّة بفرعيها: الإسماعيلي و الإثنيّ عشري،في الخلاف الذي نشب على إثر وفاة الإمام جعفر الصّادق (149هــ/765 م) ، حول من يلي الإمامة من أولاده ،فاختلفوا حولهم وانقسموا إلى عدّة فرق :منها الموسويّة[2]والإسماعيليّة حسب بعض المؤرخين[3] ،والإسماعيلية هم الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر إلى ابنه إسماعيل ، ونصّ عليه باتفاق من أولاده ، وقد انقسمت إلى فرقتين :

أ) فرقة منتظرة لإسماعيل الذي مات في حياة أبيه [4] وقال أتباعها : إنه لم يمت إلا أن أباه " أظهر موته تقيّة من خلفاء بني العباس وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة "[5] .

ب) فرقة قالت بأن الإمام بعد جعفر حفيده محمد بن إسماعيل ، وأقرّت موت إسماعيل في حياة أبيه

---

(1) سليمان بن عبد الله السلومي : أصول الإسماعيليّة ،ط.1 ، دار الفضيلة، الرياض ،2001 ،ص.159 .

(2) هي الفرقة التي أطلق عليها فيما بعد الإثنيّ عشرية ، وقال أتباعها بإمامة موسى الكاظم ، الإبن الأصغر للإمام جعفر الصادق ،نصا منه عليه ، ثم لابنه عليّ الرضا ، ثم لابنه محمد الجواد ، ثم لابنه عليّ الهادي ثم لابنه الحسن العسكري ثم محمد القائم المنتظر . الشهرستاني : الملل والنحل ،تحقيق: أمير عليّ مهنّا وعلى حسن فاعور، ط.3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1993 ،ج.1 ،ص .17 .ويلقبونه بالمهدي ويعتقدون أنه دخل سردابا بدار أبيه بالحلّة.محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد ، دار الفكر العربي، القاهرة ،ص.81

(3)وِفْقَ رواية الشهرستاني(نفس المصدر والصفحة) فإن أولاد جعفر الصادق هم: محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعليّ ، وقد قال العمارية بإمامة ابنه محمد ،والمبـــاركيّة بإمامة إسماعيل ، وقال آخرون بإمامة عبد الله الأفطح (و لم يسمّهم) ومنهم من قال بإمامة موسى بن جعفر . وحسب النوبختي فإنّ الشيعة افترقت إلى ست فرق ،ذكر منها الناووسيّة التي قالت إن جعفر بن محمد لم يمت وهو حيّ ينتظر ،كما ذكر فرقة المباركيّة وسمّاها الإسماعيليّة الخالصة التي ذهبت إلى أن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل . النوبختي : فرق الشيعة ، تحقيق : عبد المنعم الحفني ، ط.1، دار رشاد ،القاهرة ، 1992 ،ص.77-78-79 وما بعدها من عدّة صفحات .

(4) عبد القاهرالبغدادي:الفرق بين الفرق ، تحقيق :محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا ،القاهرة، د.ت ، ص. 62-63 .

(5) الشهرستاني : نفس المصدر، ص. 127.

وترى أن جعفر نَصَب إسماعيل الإمامة بعده ، للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل [1]لأن النص لا يرجع القهقرى ، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره [2] وهذا راجع إلى كونهم يعتبرون أقوال الإمام كنصوص الشَّرع تماما لا يجب إعمالها ، ولا يسوغ إهمالها،والبدء على الله محال ، وقد سمي هؤلاء المباركية ، نسبة إلى زعيمهم مبارك [4] واختلفوا بدورهم إلى طائفتين :

1 ــ طائفة وقف أتباعها على محمد بن إسماعيل[5]،وترى أن أدوار الإمامة انتهت به،إذ كان هو السّابع من ذريّة النبيّ(صلى الله عليه وسلم)،وأدوار الإمامة سبعة عندهم وهؤلاء هم السَبْعيّة [6] .

2 ــ وطائفة ساقت الإمامة في المستورين أو المكتومين،لأن الإمام عندهم قد لا تكون له شوكة فيستتر،ويكون دعاته ظاهرين،إقامة للحجّة على الخلق،فإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته[7] ويسمى هؤلاء أيضا الباطنيّة إما لحكمهم بأن لكل ظاهر باطن ، ولكل تنزيل تأويل [8]،وإما نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور ، وقد أطلقت عليهم ألقاب كثيرة [9] .

---

(1) البغدادي : المصدر السابق، ص.63.

(2) الشهرستاني : المصدر السّابق ،ص127ــ128. وهو معنى قول الله عزّ وجل " وَجَعلَها كَلِمَةً بَاقِيةً فِي عَقِبِه" فلا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين.عماد الدّين إدريس ، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع الرابع ، تحقيق : مصطفى غالب ،ط.2 ،دار الأندلس، بيروت ، 1984 ، ص. 335 .

(3) محمد أبو زهرة: المرجع السابق ،ص.89-90 .

(4) النوبختي :المصدر السّابق ،ص. 79 .وكان مبارك مولى إسماعيل ، ويرى أتباع هذه الفرقة أنه لا يجوز تحويل الإمامة إلى موسى بعد وفاة أخيه إسماعيل ، لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين ، ولا تكون إلا في الأعقاب، ولم يكن لأخوي إسماعيل ، عبد الله وموسى حق، كما لم يكن لمحمد بن الحنفيّة حق مع عليّ بن الحسين ، أنظر : حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميّة في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، مصر ،1964 ، ص.38.

(5) الشهرستاني :نفس المصدر، 128.

(6) لقبوا كذلك لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة ، ولقولهم أن تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل .أبو حامد الغزالي:فضائح الباطنيّة،مراجعة :محمد عليّ القطب ،المكتبة العصريّة ،بيروت ،2001 .ص.25. وقد أطلق عليهم السبعيّة لتمييزهم عن الإثني عشريّة .حسن إبراهيم حسن :نفس المرجع، ص.31.

(7) أنظر : أبو زهرة ، نفس المرجع، ص.90.

(8) الشهرستاني : نفس المصدر، ص. 147. أو أنهم لقّبوا بالباطنيّة لدعواهم أن لظواهر القرآن بواطن ، انظر : الغزالي ،نفس المصدر ،ص.21.

(9) يسمون بالعراق الباطنيّة والقرامطة والمزدكيّة ، وبخرسان التعليميّة والملحدة . الشهرستاني : نفسه،ص. 128.

أول المكتومين محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر[1]،وقد هاجر إلى خوزستان[2]، ثم تركها إلى بلاد الدّيلم[3] و لم يسمع عنه شيء بعد ذلك [4] ، ورواية الاسماعليين تقول : إنّ محمد بن إسماعيل بقي مستترا طوال حياته،متنقّلا من بلدة إلى بلدة[5]،متخفّيا خائفا من سلطان بني العبّاس وبطشهم ولذلك لقّب بمحمد المكتوم ، وكان المجاهر بدعوته والقائم بأموره والمتكلّم باسمه : ميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون [6] . ومات الإمام سنة 193هـــ ، في فرغانة [7] ،أو في تدمر ، أو في محمود أباد [8] بعد أن خلّف ولداً ، إماما للقوم ، وبذلك دخلت الإسماعيليّة في دور الستر الذي أدى إلى انقطاع أخبارها حتى أواخر القرن الثالث الهجري .

---

(1) هناك اختلاف كبير عند الإسماعيلية حول عمر محمد بن إسماعيل ، وهو ليس بالخلاف اليسير فمنهم من ذكر أنه لم يكن مولودا عند موت والده ، ومنهم من حدد سنّه بست وعشرين عند وفاة أبيه ، فيذكر جعفر بن منصور اليمن أنّ عمره كان أربع عشر سنة .جعفر بن منصور اليمن : سرائر وأسرار النطقاء ، تحقيق ،مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت، 1984 ،ص.259 ؛ويذكر عماد الدين إدريس أنّ عمره كان ثلاث سنوات.زهر المعاني،تحقيق:مصطفى غالب، ط.1، بيروت المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع،1991 ،ص.200 .وله رأي آخر في كتابه: عيون الأخبار ذكر فيه أنّه كان ابن ست وعشرين سنة أنظر : عيون الأخبار، السبع الرابع ،ص.351.

(2)أحد أقاليم الدّولة الإسلاميّة في القرن الثالث الهجري ، كان الغالب على أهل الإقليم ،حسب ابن حوقل ، مذهب الاعتزال والقول بالوعد والوعيد ، وشيوع التأويل وحقائق الكلام . أنظر : صورة الأرض ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 ، ص.230 .

(3) يذكر ابن حوقل أنّ الدّيلم كان أكثر أيّام الإسلام كفّارا ، يسبي رقيقهم ، وتوسّطهم العلويّة. نفسه : ص.320 .

(4)محمد كامل حسين:طائفة الإسماعيليّة،تاريخها ونظمها وعقائدها،مكتبة النهضة المصريّة، 1959،ص.14؛وحسب حسن إبراهيم حسن فإن محمد بن إسماعيل فرّ إلى الريّ ومنها إلى دماوند حيث استقر بقرية سمّيت محمد آباد،نسبة إليه ، وسار أبناؤه على منواله . تاريخ الدولة الفاطميّة ، ص.39 ؛ كما يرى محمد كامل حسين أن هذه الهجرة قد تكون بسبب التفاف الشيعة حول عمّه موسى الكاظم من دونه،فأراد أن يجد لنفسه أتباعا ويقيم دعوة له في الأقاليم التي هاجر إليها نفس المرجع ،ص. 14 .

(5) عماد الدّين ادريس:عيون الأخبار ، السبع الرابع ، ص. 351 ؛ جعفر بن منصور اليمن:المصدر السابق، ص. 100 .

(6) عماد الدّين ادريس : زهر المعاني ،ص.47 .

(7) عماد الدّين ادريس:عيون الأخبار ، السّبع الرابع ،ص. 356 .

(8) نور مبين : تاريخ الإسماعيلية ، نقلا عن :إحسان إلهي ظهير ، الإسماعيلية تاريخ وعقائد ،لاهور ،إدارة ترجمان، باكستان السنّة ،د.ت ، ص. 86 .

وتواجهنا مسألة تاريخ ظهور هذه الفرقة ، هل ظهرت بعد وفاة إسماعيل وفي حياة أبيه جعفر الصّادق (تـــ149هـــ/765م) ، أو بعد وفاة جعفر مباشرة ، حيث تُنوزع على حقّ الإمامة من بعده؟ أو بعد ذلك بمدّة طويلة تجاوزت مائة عام ؟

ترى أقدم المصادر[(1)]أنّ الخطّابيّة -أصحاب أبي الخطّاب[(2)] – دخلوا في فرقة محمد بن إسماعيل وقد قُتل أبوا الخطّاب سنة (138هـــ) ، لكن يبدوا أنَّ الخطّابيّة الأوائل لم يَقولوا بإمامة محمد بن إسماعيل،وإنّما فرقة متأخّرة منهم، ومن ثمّ يَصعبُ تحديد نَشأة الإسماعيليّة إذا ربَطناها بالخطّابيّة [(3)] ولكن إذا ربطناها بالمباركيّة [(4)] ، فهذا يجعلُنا نرتفع بظهور الإسماعيليّة إلى منتصف القـــرن الثاني الهجري أو قُبيل ذلك بقليل [(5)] ،لذلك يرى عبد الرحمن بدوي أنّ المباركيّة هم الإسماعيليّة الأولى وأنهم استمرّوا من منتصف القرن الثاني الهجري ، إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، حيث تشعّبت عنهم فرقة القرامطة ،في حين تُمثّل الإسماعيليّة الثانيّة دعوة القرامطة [(6)] .

ويبقى تحديد تاريخ ظهور الدّعوة صعبا على الباحثين ، وذلك لابتداء أمرها بالسريّة والكتمان[(7)]

---

(1) أوسع من كتب عنه وعن عقائده هو :سعد بن عبد الله القمّي (تـــ299-301هـــ) ويليه فيهذا الخصوص شيعي آخر هو :النوبختيّ (توفى ما بين 301-310هـــ) ، ومن كتب أهل السنّة من ذكر الخطّاب وأصحابه وأفكاره كالبغدادي : الفرق بين الفرق ،ص.247 وما بعدها ؛الشهرستاني :المصدر السابق ،ص.210 ومن المراجع أنظر: إحسان إلهي ظهير : المرجع السابق ، ص.46 وما بعدها ؛ هينس هالم : الغنوصيّة في الإسلام ، تر. رائد الباش ، ط.1 ، منشورات الجمل ، كولونيا-ألمانيا ،2003 ،ص.139 وما بعدها من عدّة صفحات .

(2) سنورد له ترجمة خاصّة في حديثنا عن عقائد الإسماعيليّة .

(3) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ،ط.1 ، بيروت ،1973 ،ص.833 .

(4)المباركيّة :نسبة إلى المبارك ،مولى إسماعيل بن جعفر ،وقد حكى مقالتهم النوبختي في :فرق الشيعة ،ص.78-79.

(5)عبد الرحمن بدوي :نفس المرجع ،ص.833 .

(6) نفسه :ص.835 ؛ وعن نشأة القرامطة ،ودولتهم ،وعلاقتهم بالفاطميين ،أنظر :ميكال دي خويه :القرامطة ،ترجمة وتحقيق : حسيني زينة ،ط.1 ، دار ابن خلدون ، بيروت ، لبنان .

(7) إذا اعتبرنا أنّ أبا الخطّاب من مؤسّسي المذهب الإسماعيلي ، فإنّ معنى ذلك أنّ بداية ظهور الإسماعيليّة هي الفترة التي سبقت وفاة أبي الخطّاب (138هـــ) وإذا اعتبرنا أنّ الإسماعيلية هم القرامطة،فيكون ظهور الإسماعيليّة ، هو نفس تاريخ ظهور حركة القرامطة،أي سنة 278هـــ/871م ، وبين هذين التاريخين ،كما هو واضح ،مدى زمني شاسع يبلغ 140 سنة .هاشم عثمان:الإسماعيليّة بين الحقائق والأباطيل،ط.1 ،المؤسّسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،1998 ،ص.20-21 .

ب- تطوّر الدّعوة الإسماعيليّة

ب(1) في المشرق :

بدأت مرحلة السّتر والكتمان في الفترة التي تلت محمد بن إسماعيل[1]ولقد حاول الاسماعيليّون تغطية هذه الفترة الغامضة،وإغلاق الثغرة المخلّة بتسلسل إمامة أئمّتهم بعد محمد بن إسماعيل،فطبّقوا نظرية الاستتار على عدد من أئمّتهم،واختلفوا في أسمائهم وألقابهم وعددهم اختلافا كثيرا[2]،وذلك للتلبيس عن الضدّ ، ومن اتّبعه من أبناء جنسه[3].

ويصف محمد كامل حسين هذه الفترة بقوله :" إنها فترة غامضة أشد الغموض ،حتى أنّ بعض مؤرخي وكتّاب الإسماعيلية ،تحدّثوا عن هذه الفترة رمزا دون تصريح ،مما يجعل موضوع الحديث عن دور السّتر شاقا وعسيرا على كلّ باحث في تاريخ الإسماعيلية ، فإنّ الشيعة عامّة و الإسماعيلية بوجه خاص ، اتّخذوا التقيّة،مذهبا من مذاهبهم "[4]،و يؤكد حسن إبراهيم حسن:" أنّ المؤرخين لم يصلوا بعد إلى رأي قاطع عن نسب الفاطميين إلى إسماعيل بن جعفر الصّادق أو إلى ابن ميمون القدّاح "[5] .

والمهتمّ بنسب الفاطميين يجد أنّ سلسلة الأئمّة بين محمد بن إسماعيل والمهديّ ،مازالت مشكلة من أعقد المشـــاكل في التاريخ الإسلامي ، فالمؤرخون السّنة يروون لها روايات عديدة و مختلفة ، والاسماعيليون وغيرهم ممن يدّعي حق الفاطميين الشرعي،لا يبدوا أنهم متّفقون فيما بينهم عليها .

---

(1) عُرف الخلفاء المباشرون لمحمّد بن إسماعيل بلقب" المستورون في ذات الله ".ابن أيبك الدوداري:الدرّة المضيئة في أخبار الدّولة الفاطميّة،تح.صلاح المنجد ،يُصدرها قسم الدّراسات الإسلاميّة بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة،ج.1 ،ق.6 ،ص.4.

(2) هناك آراء متعددة متباينة في ذكر عدد الأئمة المستورين عند الإسماعيليّة ، راجع بشأنها :إبن حمّاد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحيق ودراسة :التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ،دار الصحوة ،القاهرة ،د.ت،ص. 35 ؛ويعترف داعي الدعاة عماد الدين إدريس"بأن الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الأئمّة بأسماء مختلفة ما اتفق في ذلك اثنان " ، كما أشار لذلك بقوله : وكان الدّعاة أيام الأئمّة المستورين ، منذ استتار الأمام محمد بن اسماعيل ، يسمونهم بغير أسمائهم ، ويختلفون في الأسماء إخفاء لأمر الله ، وسترا لأوليائه ،وكثر خوض الخائفين وقول القائلين.عيون الأخبار ،ج.4 ،ص.393 - 394 .

(3) عمدا الدّين إدريس: زهر المعاني ،ص.202 .

(4) طائفة الاسماعيليّة ،ص.19 .

(5) تاريخ الدّولة الفاطميّة ،ص.79 .والجدير بالذكر أنّ هذا الاختلاف قائم بين أبناء الطائفة الإسماعيليّة ،فمنهم من يذهب إلى القول بأنّ عبيد الله ،إمام ،لكنّه مستودع . حسن إبراهيم حسن وطه شرف :عبيد الله المهديّ ،مكتبة النهضة المصريّة د.ت، ص.167-168 .

وتتّفق بعض المصادر الإسماعيلية على ذكر أسماء الأئمّة في دور الستر في مؤلّفاتهم الظاهريّة والسريّة ونذكر هؤلاء الأئمّة بالتسلسل ،لاشتهاره في عهد عبيد الله ، دون الجزم بصحّة هذا النسب .

أئمّة الإسماعيلية في دَوْرِ السِّتر :

- عبد الله الرضا بن محمد بن إسماعيل :

وُلد عبد الله بن محمد الملقب بالرضا أو العطّار[1] في نيسابور[2] ؛ ويعتبر أول الخلفاء عند الاسماعيليّة ، ويذكر صاحب كتاب دستور المنجّمين أنّه عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل [3] وأحاطه أبوه بفريق من دعاته المخلصين ، وهكذا نصب "محمد بن إسماعيل " له حجبا ، وأمر كلّ واحد من الحجب والحجج أن يتسمّى باسمه، فمن أخذ العهد على المستجيب سمى له أحد أولئك الحجب،حتى يمضي الوهم إليه سترا على صاحب الأمر[4] ، كما بالغ في إخفاء أمر ابنه عبد الله حتى لا يقع في قبضة العباسيين[5] وهذا ما جعل التحقّق من شخصيّة الأئمّة المستورين متعذّرا على الناس ، سنيِّين كانوا أم شيعيين ، وأصبح من الصّعب التفريق بين الحجج والأئمّة لاتفاق أكثرهم في التسميّة،أضف إلى ذلك أنّ رؤساء الدّعاة في جزر الدّعوة الرئيسية وبحارها كانوا يختلفون فيما بينهم، في ذكر أسماء الأئمّة حتى كان من أهم العوامل التي حفظت الأئمّة المستـــورين وحالت دون التعرّض لأشخاصهم .

اتخذ عبــــــد الله **الرضا** من حجّته : عبد الله بن ميمون القدّاح [6] حجّة له وحجابا [7]

---

(1) عماد الدّين إدريس :زهر المعاني ، ص.205 .

(2) نفسه.ويرجّح حسن إبراهيم حسن أنّه ولد في عهد الرّشيد أو بعده . أنظر: عبيد الله المهدي ، ص.40 .

(3) دستور المنجّمين ،نقلا عن: حسن إبراهيم حسن ، نفس المرجع والصفحة .

(4) عماد الدّين إدريس: نفس المصدر، ص.205 .

(5) اشتدّ دور الستر في عهد هذا للإمام إذ يصفها صاحب كتاب زهر المعاني " بالظلمة بالليل الشديد ، وذلك لما غلب الباطل على الحق ،ولشدّة دولة الظلمة من آل عبّاس،وعظم الريب والوسواس .." أنظر: ،نفس المصدر ، ص.209 .

(6) يعتبر عبد الله بن ميمون القداح من أعظم حجج الأئمّة الإسماعيليّة في دورهم الأول ،ويلقّب بالقدّاح لأنّه كان كأبيه يشتغل بالقداحة،وقد أحاط تاريخه كثير من الغموض والمبالغات.إحسان إلهي ظهير: المرجع السابق ،ص.85 .

(7) تسمَّى الإمام عبد الله الرضا باسم حجّتة عبد الله القدّاح ، ويظهر أن لكل منهما اسما بل أسماء أخرى ، والمهم عندنا أنّ اتّفاق اسمي الحجّة والإمام ينبغي أن لا يجعلنا نخلط بين شخصيهما ،أو أن ننفى وجود واحد منهما كما نفاه بعض السنيين والإسماعيليّة .حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع،ص ،41 ؛ويقول الدّاعي إدريس في عبد الله هذا : أنّه" كتم نفسه " وستر حجّته وحدوده ، فكان حجّته وحجابه عبد الله بن ميمون . نفس المصدر، ص. 208 .

إذن كانت هناك دعوة سريّة إسماعيليّة منظمة في أيام المأمون[1]،وكان استتار **الرضا** قد بلغ غايته ،كما كانت بلاد خوزستان مكانا رئيسيا لنشاط الدّعوة في عهد **عبد الله** هذا ،حيث تزوّج في نهاوند،واستقرّ بالأهواز،إلا انّه كان كثير الترحال، فنراه يقصد مازندران(طبرستان)[2]، ثم يعود إلى الأهواز ؛ أدرك هذا الإمام النهضة العلميّة التي راجت في عهد الرشيد وبلغت ذروتها في عهد المأمون ،إلا أنّه لم يُظهر علمه لأحد،ولا أطلع عليه ولا عرفه إلا حملة العرش(كبار حدود دعوته) القائمون بأمر الله ، أمناء خليفته وفضلاء حججه المنصوبون في دعوته [3].

ويعرف **عبد الله الرضا** عند الإسماعيلية بالإمام عبد الله الأكبر ، ويعتبر أول الأئمّة المستورين الذين استقرّوا بسلميّة[4]،وذلك أن العباسيين تتبعوه في عهد المأمون،فقتلوا ابنه وفتكوا بعامة أسرته مما اضطره إلى الهرب مع ابنه أحمد – ولى عهده في الإمامة – فانتقل هنا وهناك ،فقصدا مازندران فالأهواز ، ثمّ اتّجها على سامرا ،ومنها على سلمية من أعمال حمص ،وادّعى عبد الله للهـــاشميين أنه واحد منهم،وبقي في سلميّة موضع الاحترام والتبجيل لتقواه وجوده،كما لم يصرّح باسمه ولا باسم ابنه أحمد إلى حين وفاته [5].

---

(1)الخليفة العبّاسي السّابع ، امتدّ حكمه بين 198-218هـ/813-833م،عن ترجمته أنظر :السيوطي:تاريخ الخلفاء تح.أحمد إبراهيم زهوة وسعيد بن أحمد العيدروسي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط.2005،ص.237 وما بعدها من عدّة صفحات . وقد أدّى اطّلاع المسلمين على بعض فلسفات الأمم الأخرى في عهده إلى نشأة الفكر الذي يُعلي من قيمة العقل ،ويجعله حَكَما على النصّ دون حدود أو قيود،ولقد سمح المأمون لأولئك الذين اعتمدوا على العقل والمنطق في كلّ شيء بالتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم ،فتلبّست بعض الطوائف بالفلسفة،وتسلّحت بالعقل خارج حدود الدّين ، والطّائفة الإسماعيليّة مثال واضح كما سنبيّن ذلك .

(2) طبرستان : بفتح أوّله وثانيه ،وكسر الرّاء ، وصفها ابن حوقل بكثرة الماء والثمار .صورة الأرض ،ص.323 . وعدّ ياقوت من بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل ،وهي قصبتها.معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1977 ،ج.4 ص.13.

(3) عماد الدّين إدريس: زهر المعاني ، ص. 208 .

(4) يذكر عارف تامر بأنّ سلمية سميت بهذا الاسم تخليدا لذكرى معركة سلاميس التي انتصر فيها اليونانيون على الفرس عام 480 ق.م .عارف تامر:تاريخ الإسماعيليّة،الدّعوة والعقيدة، لندن –قبرص،رياض الريس،ط1، 1991 ،ص.179 ويذكر ياقوت الحموي ، أنّ الاسم اشتقّ من " سلم مائة "نسبة إلى المائة رجل الذين نجوا من الموت عندما اجتاح الدّمار مدينة المؤتفكة وأنّ هؤلاء المائة قد نزلوا في سلمية وعمروها في القدم .ياقوت الحموي:نفس المصدر،ج.3 ، ص.240-241

(5) ويُرجَّح موت عبد الله في أواخر عهد المأمون أو في أثناء حُكمه ببغداد .ح.إبراهيم حسن :عبيد الله المهدي ، ص.43 .

- أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل(1) :

قام **أحمد** بعد أبيه بأمر الإمامة ، واتّخذ سلمية مقرا لدعوته ، وعبد الله بن ميمون حجّة له (2) كما اتّخذه أبوه من قبل،وهناك من يذكر أنه ساهم في النشاط الثقافي وقتئذ (3)و لم تذكر المراجع الإسماعيلية والسّنية تاريخ وفاته ، إلا أنها تذهب إلى القول بأنّه تزوّج وهو بسلمية(4) ،وأنجب فيها ابنه وخليفته **(الحسين)** ، فكان أحمد ثاني الخلفاء وابنه الحسين ثالثهم ، ويرى البعض انه أنجب ابنا ثانيا هو محمد الملقب بسعيد الخير (5) **.**

وقويت الدّعوة أيّام **أحمد بن عبد الله** واشتهرت ، وأعلن بها الدّعاة ، فظهرت (6) وكان هذا الأخير ينتقل تحت السِّتر والتقيّة ، تارة إلى الكوفة والدّيلم ، وتارة إلى سلمية وتارة إلى عسكر مكرم ، يظهر بزيّ التجار ، ويخفي فضله فلا يعرفه إلاّ الأخيار (7) **.**

---

(1)حسب مصطفى غالب فإنّ اسمه محمدّ التّقيّ بن أحمد الوفيّ .مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيليّة،دار الأندلس،بيروت د.ت،ص.152 و337 .

(2) اعتاد الأئمّة الإسماعيليّة،منذ أيّام جعفر الصّادق أن يُعيّنوا نوابا عنهم أي حججا لهم،وأن يكون هؤلاء الحجج من سلالة ميمون القدّاح الذين يرجعون كما يعتقد الإسماعيليّة إلى سلمان الفارسي ،وأنّ بيتهم في الإسلام وقبله كان بيت الأئمّة المستودعين ، ومن ثمّ كان لزاما على الأئمّة الإسماعيليين أن يتّخذوا حججهم من بيت هؤلاء النوّاب ، ويتّضح ذلك من تنصيب ميمون القداح وابنه عبد الله حجّتين لمحمد بم إسماعيل وأبنائه،حتّى الإمام أحمد بن عبد الله ،وهذا يجعلنا نعتقد أنّ الإمام الحسين بن أحمد قد اتّخذ حججه من أفراد ذلك البيت . أنظر : مصطفى غالب : نفس المرجع ، ص.98 ؛حسن إبراهيم حسن وأحمد طه شرف: عبيد الله المهدي ،ص.65 .

(3) يذكر مصطفى غالب أنّ الإمام أحمد التقيّ ، ترك مؤلّفات علميّة وفلسفيّة كثيرة من أهمّها : كتاب تأويل الزّكاة وكتاب الشواهد والبيان لمباحثة الإخوان وكتاب أسرار النطقاء وكتاب الأنوار الفضّية ومعرفة الأنفس الذكيّة وكتاب الإيضاح.يقول غالب أنّ هذه الكتب موجودة في مكتبتي الخاصّة قيد التحقيق،وقد أهداني إياها الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم ، أنظر :نفس المرجع،ص.97 ؛كما تنسب إليه رسائل"إخوان الصفا ".عماد الدّين إدريس :عيون الأخبار ،السبع الرابع ،ص.367 ؛ حسن إبراهيم حسن وطه شرف:نفس المرجع. ص.43-44 .

(4) عماد الدّين إدريس:نفس المصدر،ص.367 ..

(5) حسن إبراهيم حسن،وطه أحمد شرف :نفس المرجع،ص.45.

(6)عماد الدّين إدريس :نفس المصدر،ص.394 .

(7) نـــفسه .

-الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل :

يكنى الحسين المقتدى وأحيانا الزكي[1] ، وكان أبعد شهرة من أبيه ، فمن الناحية العلميّة عمل على تثقيف أشياعه "وبثّ العلوم الشيعيّة وأظهرها "[2] وشرح الرّسائل في كتاب سمّاه " **الجامعة"** [3] .أمّا من ناحية رواج الدّعوة فقد انتشرت في كثير من بقاع العالم الإسلامي في عهد الحسين،يرجع ذلك إلى جهود الدّعاة وحجّته أحمد الحكيم[4]كما تميّزت الدعوة في عهد الحسين بانتشارها في اليمن على يد تابعه ابن حوشب ، وفي بلاد المغرب على يد الدّاعيين : الحلواني وأبو سفيان ، وبين القرامطة على أيدي أبناء القدّاح وفي بلاد فارس وخرسان على أيدي أبناء القدّاح أيضا[5] ، واتّسعت دائرة نشاط الدّعوة ،لتشمل مناطق تخيّرها الإمام لتكون منطلقا آمنا للحركة.

وقد استطاع الحسين أن يبلغ ذلك النجاح،لأنّ الدّولة العباسيّة قد أخذ الضعف يدبّ في جميع أجزائها ، ولأنّ الخلفاء لم يعد لهم النفوذ الذي كانوا يتمتّعون به في العصر العبّاسي الأوّل [6] ولذلك أحدقت بهم الثورات ، حتّى أنهم لم يستطيعوا التفرّغ للقضاء على الإمام الحــــسين وعلى دعوته ، وقد نتساءل،كيف استطاع الإمام البقاء في سلمية آمنا مطمئنا دون أن تناله يد العبّاسيين والسنّيين ؟ ويفسّر حسن إبراهيم حسن ذلك،بجود الإمام وكرمه وثروته الضخمة،وبذله للأموال الطائلة ، هذا إلى ادّعائه أنّه هـــاشمي وإمعانه في التخفّي وتفاني أنصاره في طاعته ،كلّ هذا ساعد على إقرار الدّعوة في سلميّة خاصّة وفي كافّة أنحاء العالم الإسلامي عامّة[7] ، وهكذا استطاع أئمّة الإسماعيليّة وحججهم أن يُديروا دفّة الدّعوة إدارة مُحكمة دون أن ينالهم أذى أو تلاحقهم سيوف العبّاسيين ،ولّما تولّى عبيد الله المهديّ أمر الدّعوة ،كان هؤلاء الأئمّة قد مهّدوا له السبيل ، وأزالوا ما اعترضه من العقبات ،وقد تمّ نجاحه المنقطع النظير على أيدي الأئمّة الذين سبقوه .

---

(1)حسن إبراهيم حسن و أحمد طه شرف: المرجع السابق، ص.45 .

(2) عماد الدّين إدريس: عيون الأخبار ، السبع الرابع ، ص.395 .

(3)يَذكر مصطفى غالب أنّه في عهد الإمام عبد الله تقدّمت الدّعوة الاسماعيليّة تقدّما عظيما ،فازدهرت العلوم وانتظمت الدّعوة انتظاما دقيقا . تاريخ الدّعوة الاسماعيليّة ،ص.155 .

(4)حسن إبراهيم حسن وطه شرف : نفس المرجع ،ص.45 .

(5) نفسه :ص.156 .

(6) نفسه:ص.305 وما بعدها .

(7) نفسه :ص.46 .

نشاط الدّعوة في المشرق :

وبالرغم من الغموض الشديد الذي كان يكتنف الدّعوة الإسماعيليّة قبل قيام الدولة الفاطميّة عندما كان الأئمّة ودعاقم يتّخذون الستر تقيّة على أنفسهم ،خوفا من بطش العباسيين،فقد تمكّن عدد من الباحثين المُحدثين،بفضل الكشف عن بعض المخطوطات الإسماعيليّة أن يعثروا على أسماء بعض الدّعاة الذين عاشوا في تلك الفترة،فمنهم الحسين بن حوشب،الملقب بمنصور اليمن[1]، الذي تولى الدّعوة في اليمن ، ومنه أوفد تلميذه أبا عبد الله الشيعي[2] إلى المغرب، ومنهم الدّاعي فيروز، وكان من أجلّ الناس عند الإمام ومن أعظمهم منزلة والدّعاة كلّهم أولاده ، ومن تحت يده وهو باب الأبواب الأئمّة[3] .

ويذكر كتاب استتار الإمام،أسماء مجموعة من الدّعاة،اجتمعت للبحث عن الإمام المستور، والد عبيد الله ، وهم أبو غفير وأبو سلامة ، وأبو الحسن الترمذي وجياد الخثعمي وأحمد الموصلي ،وأبو محمد الكوفي ، وهؤلاء جميعا لا نعرف عنهم شيئا[4]، وفي دور الظهور الذي بدأ بعبيد الله المهديّ في المغرب، وصلت إلينا أسماء عدد كبير من الدّعاة،كما وصلت إلينا بعض كتبهم[5] .

---

(1) القاضي النعمان :رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، ط .الشركة التونسيّة للتوزيع ، تونس ص .3 ؛ وقد ذكرت المصادر أسماء أخرى له منها :رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجار.ابن الأثير:الكامل في التاريخ راجعه وصحّحه :محمد يوسف الدّقاق ، ط.1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ،م.6 ،ص. 126؛أو رستم بن الحسن بن حوشب.ابن خلدون: كتاب العبر ، مراجعة :سهيل زكار ،دار الفكر، بيروت ،ط.2000 ج.4 ص.41 .وعنه أنظر : القاضي النعمان :رسالة افتتاح الدعوة ،ص : 32.

(2) نفسه ،ص:56 ؛تقيّ الدّين المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا،تح.جمال الدّين الشيال ،ط.2 ، لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة ،1996 ،ج.1 ،ص:51؛ابن حماد :أخبار ملوك بني عبيد وسيرقم ص:8؛وذكرت مصادر أسماء أخرى من بينها: أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكرياء .ابن خلدون: العبر ،ج.4 ،ص. 65.وحسين بن أحمد بن زكرياء .و.ايفانوف:مذكرات في حركة المهدي الفاطمي،سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهديّ مجلّة كلّية الآداب بالجامعة المصريّة،المجلّد 4،ج2، ديسمبر 1936،ص.121.

(3) باب الأبواب ،أوداعي الدّعاة هو دون الحجّة وفوق الدّعاة .أنظر مقدّمة تأويل الدّعائم ،لمحمد حسن الأعظمي دار المعارف بمصر ،د.ت ، ص. 39 ؛ محمّد السعيد جمال : دولة الإسماعيلية في إيران ، ط.1 ، الدار الثقافية للنشر القاهرة، 1999 ، ص.44 .

(4) محمد السعيد جمال الدين : نفسه ،ص.44 .

(5) نفسه .

عمِل أئمّة الإسماعيليّة على نشر " **العلم والحِكمة**" من خلال دعاهم ، وجعلوهم من حدود الدّين إمعانا في إسباغ الفضائل عليهم ، فبدأت الدّعوة تَنتشر انتشارا عظيما على أيدي دعـــاة أفذاذ [1] وحدّدوا لهم صفات يُمكن تَلخيصها في ثلاث أشياء : العلم والتقوى والسياسة[2] .

ففي غرب بلاد فارس ،كان أوّل الدّعاة رجُلٌ يُقال له خَلَفْ ، أوفده عبد الله بن ميمون القدّاح قائلا له:"توجّه إلى الرِّي[3] ، فسائر من في الرِّي وآبة وقم [4] وكاشان وولاية طبرستان ومازندران رافضة ،يَدعون للشيعة وسوف يَستجيبون لدعوتك [5] ؛ وبعد موت خَلَف ،تولّى أمر الدّعوة ابنه أحمد بن خَلَف ، وقد تَمكّن من السيطرة على رجل يُقال له غيّاث ، وكان عارفا بالأدب والنّحو وجَعله خَليفة له في الدّعوة ، فطعّم غيّاث هذا أصول المذهب الإسماعيلي بآيات من القرآن وأخبار عن النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ،وأمثال العرب والأشعار والحكايات ،وألّف كتابا سمّاه "البيان" ذَكر فيه المعنى اللغوي للصّلاة والصّوم والطّهارة والزكاة ، والألفاظ الشرعيّة ، ولم يَكُن القرن الثالث الهجري يوشك على الانتهاء حتّى كان المذهب قد انتشر وشاع في تلك المنطقة [6] .

---

(1)قسّم الاسماعيليّة العالم –مجال دعوهم- مثل السّنة الزمنيّة ،إلى اثنيّ عشر قسما ،سمّوا كلّ واحد منها "جزيرة " ولا يزال تَحديد هذه الجزائر غير واضح لدى الدّارسين ،لاختلاف أسمائها وحدودها نوقد جعلوا على كلّ جزيرة داعيا وهو "داعي دعاة الجزيرة"أو "حجّة الجزيرة"يُساعده ثلاثون "داعيا نَقيبا" يُراجعهم ويَستعينُ بهم في كلّ ما يَتَعلّق بجزيرته ،ولكلّ "داعي نَقيب"أربعة وعشرون داعيا ،نصفهم ظاهر ونصفهم مُستتر .محمّد كامل حسين : طائفة الإسماعيليّة ،ص.133 ؛ وبعمليّة حسابيّة نجد أنّ عدد الدّعاة الذين بثّهم الإمام في العالم المعروف لديهم كان حوالي 8640 داعيا ،لكلّ داعية عمل خاصّ لا يَتعدّاه حفاظا على نظام الدّعوة .مصطفى غالب :تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة ،ص.29 .

(2)محمّد السعيد جمال الدّين :دولة الإسماعيليّة في إيران ،ص.42 .

(3) ذكرها ياقوت بقوله :"والرِّي مدينةليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها وإن كانت نيسابور أكبر عوصة منها ".معجم البلدان ،م.3 ،ص.117 .

(4)قمّ : إحدى مُدن الجبال ،ذكر ابن حوقل أنّ جميع اهل قمّ شيعة ،لا يُغادرهم أحد والغالب عليهم العرب ولسانهم الفارسية صورة الأرض ،ص.315 .

(5) محمّد السعيد جمال الدّين : نفس المرجع ،ص.46 .

(6)نفسه ،ص.47 .

وإلى العراق ،أرسل أحمد بن عبد الله بن ميمون ، الحسين الأهوازي داعيّة هناك ، فلمّا انتهى إلى الكوفة لقي حمدان بن الأشعث وهو قرمط الذي إليه ينتسب القرامطة[1]،واتبعه قرمط،وتابعه كثير من الناس .فلمّا مات الأهوازي أسند الأمر من بعده إلى أشعث بن حمدان قرمط[2] ، وكان من كبار أصحابه زكرويه بن مهرويه والدّاعي عبدان ،ثمّ خلف هؤلاء أبو سعيد الجنابي وحسن بن زكريه وأبو الطاهر وغيرهم.فكان على أيديهم فتح اليمن والمغرب وسواد الكوفة ثمّ البحرين[3] فتسلّط على جزء من اليمن الحسن بن فرح بن حوشب،وعلى الجزء الآخر عليّ بن الفضل،كما تسلّط أبو عبد الله الشيعي على بلاد المغرب ، وأسس الدّولة الإسماعيليّة هناك.

كان من أشهر دعاة الإسماعيليّة : أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفيّ [4] الذي توجّه سنة 268هــ /881 ــ882م إلى اليمن من سَلَمْيَة[5] وكانت حينذاك مركزا للدعوة الإسماعيليّة ، فأظهر الدعوة للمهديّ ، وابتنى حصنا بجبل لاعة [6] ، واستولى على صنعاء من بني يعفر[7] واستولى على أكثر بلاد اليمن ، وفرّق الدعاة في اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب[8] ومن بينهم أبو عبد الله الحسين ابن أحمد بن محمد المعروف بأبي عبد الله الشيعي.

---

(1) يتّفق جمهور المؤرّخين على أنّ حركة القرامطة في العراق كتنت جزءا من الذدعوة الإسماعيليّة ،وأنّها اسم آخر لهذه الدّعوة وأنّ انفصال القرامطة عن الاسماعيليّة كان في التسعينات من القرن الثالث الهجري ،عندما هاجر عبيد الله المهدي من سلمية إلى المغرب ،أنظر :الشهرستاني : الملل والنحل ،ص.337 ما بعدها ؛ الغزالي :فضائح الباطنيّة ،ص.11.

(2) إحسان لهي ظهير :الإسماعيليّة تاريخ وعقائد ،ص97 .

(3) نفسه .

(4) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ،ص3؛وقد ذكرت المصادر أسماء أخرى له منها:رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجار. ابن الأثير:المصدر السابق ،م.6 ،ص.126 ؛أورستم بن الحسين بن حوشب.إبن خلدون :المصدر السابق ، ج.4 ،ص.41 ؛ وعنه أنظر : القاضي النعمان :نفس المصدر، ص : 32.

(5) بلدة تقع على بعد حوالي 50 كلم شمالي شرق حمص. عنها أنظر : معجم البلدان ،3، 124

(6) حسب ياقوت الحموي فإن لاعة مدينة في جبل صبر ، من نواحي اليمن الى جانبها قرية يقال لها عدن لاعة. معجم البلدان ، 4، 341 ــ342 .

(7) نسبة إلى يعفر بن عبد الرحمن بن كريب الحوالي الحميري الذي أسس امارة شبام أقيان في عهد الخليفة العباسي المعتصم ، أي قبل سنة 229 هــ / 882م أنظر : ابن خلّكان:وفياة الأعيان وانباء أبناء الزمان ،تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، 1977،ج 9 ، ص. 251 ــ252.

(8) النعمان:افتتاح الدعوة ، ص :48 ؛ ابن خلدون : كتاب العبر ،ج.4،ص.65.

لكن القاضي النعمان يقول بأنه أُلحق بابن حوشب،عندما تمكّنت الدعوة باليمن وظهر أمرها حتى يستفيد من طريقة عمله وتجاربه ،ثمّ يتّجه إلى بلاد كتامة [1]من المغرب لنشر دعوة الشيعة،ومكث إلى جانب المنصور ما يقرب من سنة " من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم إلى الحج في العام المقبل يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته لا يفارقه (...) فلما حضر وقت خروج أهل اليمن إلى مكّة للحج خرج معهم " [2] وهكذا بدأت رحلته إلى المغرب .

وحسب هذه الرّواية ، فإنّ رحلة أبي عبد الله إلى المغرب كانت صدفة ، في حين يرى مؤرخون آخرون أنه اتجه بالتعيين إلى بلاد المغرب،بعد موت داعيين كانا هناك هما الحلواني وأبو سفيان [3].

---

(1) حسب ابن خلدون فإن هذه القبيلة من ولد كتام بن برنس ، ويقال كتم ،ونسابة العرب يقولون أنهم من حمير وكانوا مستقرين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا ،إلى جبل أوراس من ناحية القبلة ، أي من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة ، العبر ،6 ،301 ؛وحسب القاضي النعمان فإن حدود بلد كتامة تبعد عن سلطان رقّادة مسيرة عشرة إيّام وأن المدن التي تقع في حدودها هي ميلة وسطيف وبلزمة وطولها مسافة خمسة ايام وعرضها مسافة ثلاثة ايام افتتاح الدعوة ، ص .64 فما بعدها .

(2) افتتاح الدعوة،ص .60 ،قارن مع ابن خلدون:العبر،ج. 4،ص 66.وحسب الحاجب جعفر فإنّ سبب توجّهه إلى المغرب يرجع إلى أن ابن حوشب الذي بلغ هدفه أصبح مستغنيا عنه لذلك كاتب الإمام ابن حوشب ، بإنفاذه الى مصر ففعل وسار أبو عبد الله فلما وصل إلى مكة اجتمع بالكتاميين فصحبوه الى مصر ثم الى بلدهم بالمغرب.سيرة الحاجب جعفر بن عليّ ، ص .121 ــ 122 .

(3) ابن الأثير:المصدر السابق،ج. 6 ، 127 ؛المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،تحقيق:محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ،ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1998،ج.2 ،ص.152 ؛وحسب ابن خلدون فإن هذين الشخصين هما الحلواني وابن بكار . العبر ، 4، 66؛ ولا يقول من أرسلهما الى المغرب في حين اختلفت المصادر الأخرى في هذه النقطة ، فبعضها يقول أن من أرسلهما هو أبو عبد الله جعفر بن محمد وذلك سنة 145هــ /762م . افتتاح الدعوة ، ص .54) ؛ انظر: المقريزي :اتعاظ الحنفا ،تحقيق :جمال الدين الشيّال ، القاهرة ، 1948 ،ص.41 ،هامش1 ؛ ويقول ابن الأثير بأن الذي أنفذ الحلواني وأبا سفيان هم أبناء عبد الله القدّاح.الكامل ،ج. 6 ،ص. 126.

ب(2) في المغرب :

لا شكّ أنّ المذهب الشيعي قد دخل إلى إفريقية بصورة أكثر سريّة وتنظيما،قبل وصول الدّاعي أبي عبد الله الشيعي،حيث وصل أول تسلّل شيعي إسماعيلي في أواسط القرن الثاني/الثامن ميلادي قبل نحو 135 عاما من وصول أبي عبد الله الشيعي إلى هناك ، وهي بعثة الداعيين : أبي سفيان والحَلْواني [1] .

وقد اختلفت المصادر حول مكان نزولهما ،فحسب القاضي النعمان فإن أبا سفيان استقرّ بتلا وهي مدينة بتونس ، تقع على بعد 45 ميلا إلى الجنوب من الكاف ،فابتنى مسجدا وتزوج وأقام هناك ينشر الدَّعوة ، وأما الحلواني فترل الناظور بسوجمار وفعل مثل رفيقه،ومات أبو سفيان بمرمجنّة وعاش الحلواني بعده دهرا طويلا [2] ،وأما ابن خلدون فيقول بأن أحدهما نزل ببلد يسمى مرمجنّة والآخر بسوق جمار،فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما،فأقاما سنين كثيرة وماتا،وكان أحدهما قريب الوفاة من الأخر [3].وقد قيل لهم "اذهبا إلى المغرب فإنّما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلّلة فيبذر حبّه فيها [4] ؛والراجح من جهود الدّاعيين في هذه المرحلة المبكّرة من الدعوة ،أنّهما لم يقوما بالدّعوة بالمعنى المعروف في الاصطلاح الإسماعيلي ،وإنّما قاما بشيء أبسط ومختلف ،تمثّل في نشرهم محبّة أهل البيت وفضلهم الذي صاحبه دون شك نشر الأصول العامة للمذهب الشيعي وهو الذي أطلق عليه القاضي النعمان "ظاهر علم الأئمّة " [5].

وهكذا سيترل " صاحب البذر " في آخر الأمر أرضا محروثة ،قد ظلّ أهلها من البربر منذ الفتح يتلقّون الآراء السياسية والدّينيّة الواردة من المشرق ، وتأثّر عدد منهم من أبناء كتامة بالدّعـــاية الشيعيّة التي بثّها فيهم الحلواني[6].

---

(1) القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة ، ص.85 ؛ أيمن فؤاد السيّد :الدّولة الفاطميّة بمصر ،تفسير جديد ،ط.1 ، الدار المصريّة اللبنانيّة ، القاهرة ، 1992،ص.45 .

(2) القاضي النعمان :نفس المصدر ،ص :54؛ أنظر : المقريزي:المصدر السابق ،ص:41.

(3) إبن خلدون :المصدر السابق ،ج.3،ص.451.

(4) القاضي النعمان :نفس المصدر ،ص.57-58 .

(5) فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطميّة بالمغرب ،تعريب :حمادي الساحلي ، ط.1 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ص.79-80 .

(6) أيمن السيّد : نفس المرجع ،ص.46 ؛ النعمان:نفس المصدر ،ص.140 .

ـــ نشاط أبي عبد الله الشيعي :

ارتبطت الدّعوة الإسماعيليّة في المغرب بنشاط أبي عبد الله الشيعي ،وهو أكثر الدّعاة حظّا في تحقيق مشروع الدّولة ، وقد اختلف المؤرّخون حول اسمه ، فنجد ابن خلدون في العبر [1]،يذكر أن اسمه "الحسن بن أحمد بن محمد بن زكرياء ، بينما نرى المقريزي في إتعاظ الحنفاء[2]والقاضي النعمان في افتتاح الدعوة [3] يسميانه " الحسين" مع الاحتفاظ بباقي النسب ،كما وردت هذه التسمية في الكامل لابن الأثير[4] ووفيات الأعيان لابن خلكان[5].واختلفوا أيضا في أصل الرجل فالقاضي النعمان ذكر أنه كوفيّ[6] بينما أثبت المقريزي بأنه من رامهرمز [7]،أما ابن الأثير [8]وابن خلكان [9] فيذكران أنه من مدينة صنعاء ، ويؤكد ابن عذاري هذه الحقيقة [10] .

يذكر الحاجب جعفر عن أبي عبد الله أنّه كان رجلا صوفيّا،وكان مع أخيه الأكبر أبي العبّاس جارين لأبي عليّ الدّاعي بالكوفة وكانا شيعيين ، ولّما سافر أبو عليّ الدّاعي إلى مصر، تقرّبا من صهره فيروز ، فأخذ عليهما وربّاهما وفقّههما ، ثمّ استأذن الإمام في إرسالهما إلى مصر ،على أن يلتحق ابو عبد الله بأبي القاسم ،داعي اليمن ،ويبقى أخوه في مصر ليُساعد أبا عليّ ،فوافق الإمام وقصد الأخوان مصر ،ثمّ تركها أبو عبد الله إلى اليمن .

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق،ج.3،ص.451.
(2) المقريزي :المصدر السابق، ج.1 ، ص.55.
(3)القاضي النعمان : المصدر السابق، ص. 30.
(4) ابن الأثير :المصدر السابق ، ج .6 ، ص . 450 .
(5) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج .2 ، ص.192 .
(6) القاضي النعمان : نفس المصدر ، ص 30 .
(7) المقريزي :نفس المصدر ، ص .51.
(8) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص .451.
(9) ابن خلّكان :نفس المصدر ، ص.192.
(10)بن عذارى :البيان المغرب ، تحقيق ومراجعة : ج .س .كولان و إ. ليفي بروفنسال ، ط.3 ، دار الثقافة ،ببيروت ، ص.124. واختلف المؤرخون أيضا في الوظائف التي وليها ، قبل قيامه بالدور الكبير،فقيل بأنه كان محتسبا .المقريزي : نفس المصدر ، ص .51 ؛ بسوق الغزل بالبصرة ، وقيل إنما احتسب أخوه أبو العباس محمد .ابن خلدون : نفس المصدر ، ص .451 .

لُقِّبَ أبو عبد الله الشيعي بالمعلِّم ، لأنه كان يعلّم الناس مذهب الإسماعيلية الباطنية [1]، ويطلق القاضي النعمان عليه اسم صاحب البذر [2]؛وأبرز المؤرخون صفاته ، فوصفه ابن الأثير بأنه كان على علم وفهم ودهاء ومكر [3]،ووصفه المقريزي بأنه"أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال [4] ، ووصفه ابن عذارى بأنه كان ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة [5]،وقال عنه ابن خلّكان بأنه من رجال الدُّهاة الخبيرين بما يصنعون [6] ، وقال عنه القاضي النعمان"وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة،وأن أكثر علمه الباطن [7] .

وقد اتصل أبو عبد الله بالحجاج الكتاميين [8] بمكّة ، وعرف كيف يستميلهم ، ورحل معهم في اتجاه مصر فلما وصلوها "أظهر لهم أنه يريد المقام،فأظهروا الغمّ لفراقه وقالوا:ما يقيمك هنا ؟ قال: أطلب التعليم ،فابتهجوا لذلك وقالوا: ما ترى أنك تجد بلدا أجدى عليك في التعليم من بلدنا " [9] ولكنه أظهر التمنّع رغبة منه في استمالتهم ولتكون رحلته معهم بإرادتهم وتحت حمايتهم ،فواصل معهم السير فكانت طريقهم من طرابلس على قسطيلية ، لأنّها الجّادّة ، فلم يدخلوا إفريقيا [10] .

---

(1)المقريزي :المصدر السابق ،ج.1، ص .51.

(2)القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص .29 .

(3)ابن الأثير : المصدر السابق ، ص .45.

(4)المقريزي :نفس المصدر،ج.1 ،ص.68 .

(5)ابن عذرى : المصدر السابق ،ج.1 ، ص.124 .

(6)ابن خلّكان : المصدر السابق ، ص

(7) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص 30.

(8) يقدّر ابن عذاري عددهم بنحو عشرة رجال ،وكانوا ملتفين على شيخ منهم .نفس المصدر والصفحة ؛ويقول ابن خلدون بأنه لقي رجالات كتامة ورؤوسهم وفيهم من لقي الحلواني وابن بكار وأخذوا عنهما .العبر ،ج. 4 ،ص.66 ، وحسب القاضي النعمان فقد كان من بينهم حريث الجميلي وموسى بن مكارمة وكانا قد اعتنقا مذهب الشيعة على يد الحلواني . نفس المصدر،ص :34 ؛ويذكر ابن الأثير بأن حريث الجميلي وموسى بن مكاد كانا من رؤساء الكتاميين.الكامل،ج.6 ص.127 .

(9) نفسه : ج.1 ،125.القاضي النعمان:نفس المصدر،ص.39 .

(10) النعمان:نفسه ،ص.40 ؛وحسب ابن عذري فإن أبا عبد الله قال لهم (لا بد لي من المقام بالقيروان حتى أطلب فيها حاجتي فإن اتفق لي فيها غرضي ، وإلا نهضت إليكم ، فأقام بالقيروان يتعرّف أخبار القبائل حتى تأكد من أنه ليس في قبائـــل افريقية أكثر عددا وأشد شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة ، عند ذلك نهض عند صاحبه الشيخ الكتامي الذي كان وصف له مترله وموضعه في قبيلة كتامة ، وكان أحرص أصحابه عليه . البيان ،ج.1 ،125 .

ويذكر القاضي النعمان أنه عند وصولهم إلى سوجمار [1] استقبلهم رجال من الشيعة ، وهم : أبو المفتّش وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبد الله الأندلسي ، بسبب وجود صاحبهم معهم فاستضافوهم ، وانتهز الدّاعي هذه الفرصة ليبدأ نشاطه فكشف عما في نفسه لبعض من وثق بهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق ، وقال بأنه هو صاحب البذر الذي كان الحلواني يبشر به [2] ثم تابعوا رحلتهم حتى وصلوا حدّ كتامة في 15 ربيع الأول 280 هـ[3]/ماي- جوان 893م،و لم يستقرّ إلا في فج الأخيار الواقع في جبل إيكجان [4] حيث نزل على بني سكتان [5] ، وهناك وجد أرضا خصبة لنشاطه السياسي والديني فبدأ يدعو لآل البيت [6] .

---

(1) جعلها النعمان من أرض سُماتة . المصدر السابق ،ص.40؛ويُسمّيها ابن الأثير بـ" سوق حمار".الكامل ،ج.6 ،126-127)؛وهي عند ابن خلدون " سوف جمار ".العبر،ج. 4 ،ص.65.

(2) نفسه :42 فما بعدها .

(3)نفسه:ص.47 ،ويوافق القاضي النعمان في هذا التاريخ ابن الأثير : الكامل ج.6،ص. 127 ؛لكن وصوله حسب بعض المصادر كان في 15 ربيع الأول سنة 288هـ/ فيفري - مارس 901م.المقريزي:اتعاظ الحنفا، ج.1 ،56 ؛ ابن خلدون العبر، ج.4،ص. 66.

(4)نفسه،ص.48 ؛ ويتفق مع القاضي النعمان في هذه التسمية المقريزي:اتعاظ الحنفا ج.1، 57 ؛ وتسمّيه مصادر أخرى إنجان . ابن الأثير : الكامل، ج. 6 ، 127 ؛ ابن خلدون: العبر ،ج. 4 ، 67 ؛أو أكجال . ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ،ص.7.

(5)نفسه: ص.47؛ويسميهم المقريزي بني سليمان .نفس المصدر،ص.56 ؛ وهم حسب القاضي النعمان قوم موسى وحريث افتتاح الدعوة ،ص .48 .

(6)حسب ابن عذاري فإن أبا عبد الله الذي تخلّف عن الحجاج في القيروان سار إلى كتامة بعدما تأكد له أنها أقوى القبائل ونزل على شيخ الكتاميين الذين رافقوه من مكّة ، وصار يعلّم الصبيان وصلّى بالناس ولما قدم له الشيخ أجرة تزيد عن أربعين دينارا ، اعتذر عن قبولها وطلب منه أن يساعده في الدعوة لآل البيت انطلاقا من الخاصة من بني عمّه الأقرب فالأقرب. البيان المغرب ،ج.1،ص.126 -127؛ حسب القاضي النعمان فإنه وصل اكجان برفقة حريث وموسى وأبي القاسم الورفجومي وأبي عبد لله الأندلسي ، وأرسل الحجاج الآخرين إلى كل مكان ،وأقبل الناس إليه فكان يجلس لهم ويحدّثهم بظاهر فضائل عليّ والأئمّة من بعده فإذا أحس في الواحد ما يريد ألقى فيه شيئا بعد شيء حتى يجبه فيأخذ عليه العهد بأن يكتم سرّه .نفس المصدر،ص.49.

واستطاع أبو عبد الله أن يؤثر في الناس بحلاوة لفظه[1] فأقبل النّاس على دعوته [2] ومن دخل في دعوته نسب إليه فقيل له "مشرقي"وسمّي أتباعه "المشارقة"بينما سمو أنفسهم"إخوانا "[3]، وشاع الخبر بين الناس أنّه يدعو إلى أمر مكتوم وأن من دخل فيه لم يظهر منه شيئا ولو لأخص الناس به ، ويكتفي بعبارة " أبلغ توقن " كجواب لمن تسأله عما دخل فيه وما قيل له ،غير أن هذا الأسلوب في الدعوة أدى إلى قيام نوع من المعارضة أو على الأقل اتخذه المعارضون حجّة لهم وصاروا يقولون "لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستر ، وما هو إلا خلاف دين الإسلام "[4] .

ومن أعماله قبل غزوه لرقّادة ، إلغاء صلاة التراويح في شهر رمضان ، بحجّة أنها ليست من سنّة النبيّ (ص)،وإنّما سنّها عمر (رضي الله عنه) ، وعوّضها بتطويل القراءة في صلاة العشاء الأخيرة [5] وانقسم عليه الكتاميون إلى مؤيّد [6] ومعارض [7] وقام نزاع مسلّح بينهم،ولّما انتصر المؤيّدون على المعارضين وأخضعوهم دخل الشيعي في صراع مباشر مع الدولة الأغلبية، وأخذ يستولي على مدنها الواحدة بعد الأخرى إلى أن سقطت عاصمتها رقّادة في يده يوم السبت 1رجب 296هـ مارس أبريل 909م بعد فرار أميرها زيادة الله إلى مصر[8] .

---

(1) ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ج. 1 ، ص.128 .

(2) النعمان:المصدر السابق، ص : 49 فما بعدها من عدّة صفحات .

(3) كان إذا دعا أحدهم قال : يا أخانا ، وكانوا يتداعون بينهم كذلك .أنظر: افتتاح الدعوة،ص . 52.

(4) افتتاح الدعوة ، ص .53 .

(5) البيان ،ج.1 ،ص. 127 .

(6) من بين مؤيديه بنو سكتان ، الذين نزل عليهم . أنظر :النعمان:نفس المصدر،ص83-84فما بعدها .

(7) من بين معارضيه يذكر القاضي النعمان ، فتح بن يحي المسالتي ويقال له الأمير ، ومهدي بن أبي كناوة رئيس لهاصة وفرح بن جيران رئيس أجانة وأبو تمتم فحل بن نوح رئيس لطّية ، وزيادة الملتوسي بالإضافة الى عمال الأغالبة : موسى بن عيّاش صاحب ميلة وعليّ بن عسلوجة صاحب سطيف وحيّ بن تميم صاحب بلزمة.افتتاح الدعوة ، ص.79- 80.

(8)النعمان:نفس المصدر ، ص.234 ؛ابن خلدون:المصدر السابق ،ج. 4 ،ص. 74 ؛ ابن عذارى :نفس المصدر ،ج. 1، ص. 149 .

بمجرّد سقوط الدولة الأغلبية أخذ أبو عبد الله يعمل على توطيد سلطته في البلاد ،فاتخذ بعض الإجراءات السياسية والاقتصادية والمذهبيّة ، منها أنه أمر مناديا فنادى في القيروان بالأمان التام للعامَّة ،ورجوع من كان تنحى عن وطنه إليه،فرجع الناس إلى وطنهم..وأخرج العمّال إلى البلدان ونادى فيها بالأمان وطلب أهل الدعارة والفساد... وقتلوا حيثما ثقفوا [1] ، وأمر بجمع ما تركه زيادة الله من جواري وسلاح ودواب ومال [2] ، وبضرب السكّة ،ولم ينقش فيها اسما لأحد [3] وبأن يزاد في الآذان بعد حي على الصلاة "حيّ على خير العمل"،وأسقط من آذان الفجر "الصلاة خير من النوم "[4]ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب،وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء [5]،ففعلوا ولم يذكر اسما لأحد[6]. ولما استقرّت أمور افريقية،استخلف على رقّادة أبا زاكي تمّام بن معارك الأجّني وأقام معه [7] أخوه أبو العباس [8].

---

(1)النعمان :المصدر السابق ،ص .246 ؛ قارن مع ابن الأثير : الكامل ،ج.6 ، 459 .

(2) نفسه :ص. 247 ؛الكامل ،ج.6 ،459 ؛ونقش فيها "الحمد لله ربّ العالمين"حسب ابن عذاري :البيان ،ج.1 ، 48.

(3) نفسه: ص. 250 ؛ الكامل ،ج. 6 ، 459 ؛ البيان المغرب ،ج. 1 ،ص. 151.

(4) ابن عذارى :نفس المصدر ،ج. 1 ،ص. 151.

(5) النعمان :نفس المصدر ، ص . 249-250 ؛ ابن عذارى:البيان ،ج. 1 ،ص. 151 .

(6)ابن الأثير :نفس المصدر ،ج. 4 ،ص. 459 .

(7) النعمان : نفس المصدر، ص .275 ؛ ووصف ابن عذاري أبو العبّاس أخو أبو عبد الله الشيعي بأنّه " كان عجولا ، كثير الكلام ، ضعيف العقل،حتى أنه أراد أن ينفي من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة ، فلم يجبه أخوه" .البيان المغرب ،ج. 1 ،ص. 150 ــ 151 ، ومثل هذا الخلاف يكفي أبا عبد الله كان لا يعتمد على أخيه .

(8) كان عبيد الله قد أرسله من طرابلس إلى أرض كتامة . النعمان :نفس المصدر،ص. 151 ــ152 ؛ الكامل ،ج.6 ، ص.129 العبر ،ج. 4 ،ص.71؛ولما مرّ بالقيروان ألقى عليه القبض زيادة الله وحبسه ، ثم هرب وتسلل إلى طرابلس وتمكّن منه زيادة الله ، لكنّه أطلق سراحه . افتتاح الدعوة ، ص. 260 .

وقصد سجلماسة في رمضان من سنة 296هـ[1]/مايو ـــ يونيو 909م،لإنقاذ الإمام عبيد الله [2] وكان قد بعث إليه يخبره بما حققه من انتصارات وأنّه في انتظاره [3]فخرج من سلميّة[4]في الوقت الذي اكتشف بنو العباس أمره وطلبه الخليفة المكتفي[5]وانتهى به المطاف إلى سجلماسة[6] حيث ألقى عليه القبض أميرها اليسع بن مدرار[7] وسجنه ، وعندما أخبره زيادة الله بأنه المهدي الذي يدعو إليه الشيعي[8] وقد مرّ أبو عبد الله بطبنة [9] حيث أوقع بقبائل عرضت في طريقه اتصل به عنها سوء حال [10] .

---

(1) النعمان :المصدر السابق، ص.236 ؛ابن الأثير:المصدر السابق،ج. 6،ص. 133 ؛ابن عذارى:البيان،ج.1،ص. 152 .

(2) أوردت المصادر آراء كثيرة ومختلفة حول اسمه ونسبه،عن هذا الموضوع أنظر:ابن خلّكان:وفيات الأعيان ،ج. 2،ص. 301 ؛ابن خلدون:العبر،ج. 4 ،ص. 70؛المقريزي:الخطط ،ج.2 ،ص.152 ؛ابن الأثير :الكامل ،ج.6 ،ص.124 ؛ ابن عذارى:البيان المغرب ،ج. 1 ،ص. 158 ؛المقريزي: اتعاظ الحنفا ،ج.1 ،ص. 24 فما بعدها ؛ البغدادي:الفرق بين الفرق ،ص .169؛ابن الأبّار :الحلّة السيراء ،تحقيق :حسين مؤنس، ط2 ، دار المعارف،1985.ج. 1،ص.175 ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميّة ، ص .57 فما بعدها .

(3) ابن خلدون : نفس المصدر ،ج.4 ،ص.70؛ ابن الأثير:نفس المصدر ،ج.6 ،ص.130.

(4) عن خروجه الى المغرب أنظر:ابن خلدون:نفس المصدر،ج.4 ،ص.71؛ابن الأثير :نفس المصدر،ج.6 ،ص.130؛ حسب ابن الأبار فإنّه لما خرج القرمطيّ بالشام طلبه فهرب الى مصر ثم إلى بلاد المغرب.نفس المصدر،ج. 1،ص. 191.

(5)هو عليّ (المكتفي بالله) بن أحمد المعتضد بن الموفّق بن المتوكّل ، أبو محمد ،عاش ما بين 264 ـــ295هـــ/876 ـــ908م ، وتولى الخلافة سنة 289هـــ /901 ـــ902م السيوطي : تاريخ الخلفاء،ص.291- 292.

(6) حسب ابن حماد فإنه وصلها يوم الأحد 7 ذي الحجّة سنة 296هـــ/أوت ـــ سبتمبر 909م.أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص .7؛مما يتعارض مع ماذكره ابن عذاري بأن عبد الله الدّاعي كتب إلى عبيد الله وهو بسجلماسة يعلمه بانتصاره على جيش ابراهيم بن حبشيّ ، ووجّه إليه بمال كثير ستة 292هـــ/904ـــ905م. البيان المغرب ،ج.1 ،ص. 138 ـــ139.

(7) هو اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن سمغون بن مدلان المكناسي .ابن عذارى :نفس المصدر،ج. 1 ، ص.157. تولى إمارة سجلماسة سنة 270هـــ/883 ـــ884م،حسب ابن أبي دينار فقد كان عاملا لبني الأغلب.المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، طبعة تونس ،1286هـــ ، ص.55

(8) ابن الأثير : نفس المصدر ،ج.6 ، ص.130 ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ،ج.1 ،ص. 62 ؛ ابن خلدون : العبر ،ج. 4 ص.71ـــ72

(9)النعمان :نفس المصدر،ص.236 .

(10) نفسه :ص.236ـــ237؛ترى وداد القاضي أنّ هذه القبائل قدّ تكون أهل تاهرت وأصحابها من بني رستم .افتتاح الدعوة ، ص.236 ، هامش 5 .

وقضى على الدولة الرستميّة [1] بالإستيلاء على تاهرت [2] ولمّا قرب من اليسع حاول أن يدخل معه في مفاوضات لكنّه فشل [3] وانتهى الأمر بقيامه بهجوم على المدينة ، وتمكن من اكتساحها وتخليص الإمام وابنه من السجـــن[4] ، ومنذ ذلك الوقت تسلّم عبيد الله زمام الأمور [5] ، لينتهي بذلك دور السّتر الذي بدأ بـــمغادرة أوّل أئمّتها (محمد بن إسماعيل) المدينة المنوّرة ،نحو نيسابور وانتهت بظهور عبيد الله (296هـ/909م) [6] .ولا يُمثّل قيام الدّولة الفاطميّة نهاية للدّعوة التي امتدّت إلى خارج المملكة،حيث بقيت تمارس نشاطها داعية للإمام ،وبقي الإمام (الحاكم) مهوى أفئدة مريديه ، سواء أكانوا داخل الدّولة أو خارجها .

---

(1) حظيت الدولة الرستمية بتيهرت باهتمامات بعض الباحثين، نذكر منهم على سبيل المثال:
بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160 ــ 296 هــ/ 777 ــ909 م)،دراسات في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبوعات لافوميك، الجزائر، 1985.

(2) ابن عذاري : البيان ،ج.1 ،ص. 153 ؛ الطبقات ،1 ،94 .

(3) افتتاح الدعوة ، ص : 238 ؛اتعاظ الحنفاء ،ج.1 ،ص.65 ؛ العبر ،ج. 4 ،ص. 75 ؛ حسب الحاجب جعفر فقد راسل اليسع في إخراج المهدي وضمن له الانصراف عن بلده عن الموادعة فامتنع وضيّق عليه وسيق عن المينة بالحرب سيرة الحاجب جعفر ،ص.124.

(4) ابن عذاري:البيان المغرب ،ج.1 ،ص. 531؛ حسب إبن خلّكان فإنه لما بلغ اليسع خبر وصول جيش أبي عبد الله قتل المهديّ في السجن ثم هرب ودخل الشيعيّ السجن فوجد المهديّ مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينقض عليه ما دبّره من الأمر إن عرفت العساكر بقتل المهديّ فأخرج الرّجل إلى العساكر وقال هذا هو المهديّ . وفيات الأعيان،ج. 2 ، ص. 302 ــ303.

(5) أنظر بن عميرة محمد :دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب ،الجزائر ،1984،ص 171 .

(6) أنظر :المقريزي ، اتّعاظ الحنفا ، ص.4 ؛ محمد كامل حسين،طائفة الإسماعيلية تاريخها ونظمها ،ص.25 .

أئمّة الإسماعيليّة في دور الظُّهور :

وما دام موضوع بحثنا يَكشف عن الدّور الذي قام به خلفاء الدّولة الفاطميّة الأربعة في الحياة الفكريّة بالمغرب ،فإنّنا ملزمون بتقديم تراجم مُختصرة لهم،مرجئين الحديث عن أدوارهم في الحياة الفكريّة إلى الفصول اللاحقة .

- عبيد الله المهديّ (296 - 322هـ/ 909- 934م) :

أثار المؤرخون جدلا حول نسب عبيد الله (1)، ويرجع ذلك إلى مبدأ التقية وما ترتب عليها من حياة السِّتر والكتمان التي عاشها الأئمة في حالة الغيبة(2) ،فالروايات التي تُعرض لعبيد الله شابا ، لا تُعرّف بشيء عن شخصه ،أو عن صفاته وهو ولي العهد للإمامة . ويذكر المثبِّتون للنسب الفاطمي اتّصال نسب عبيد الله بإسماعيل بن جعفر الصادق (3)، فيذكرون أنه : أبو محمد سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل(4)؛

---

(1) أوردت المصادر آراء كثيرة ومختلفة حول اسمه ونسبه ، عن هذا الموضوع أنظر : وفيات الأعيان ،ج2 ، ص .301 ؛ العبر ،ج4 ،ص.70 ؛ الخطط ، ج2 ،ص.152 ؛الكامل ، ج6 ، ص.124 ؛ البيان ، ج1،ص.24 ؛ اتّعاظ الحنفا ، ج1 ،ص24 فما بعدها ؛ الحلّة السّيراء ،ج1 ،175 ؛ آراء الإسماعيليّة مختلفة في اسمه فالكثير من الإسماعيليّة يسمّونه عبد الله .الكرماني: راحة العقل ،تحقيق:مصطفى غالب ،ط.2، دار الأندلس ،بيروت ، 1983 ،ص27 ،والبعض يسمّيه سعيد الخير .النعمان: كتاب افتتاح الدعوة ص.249 ؛ إدريس عماد الدّين:زهر المعاني ، ص.66 ؛ عيون الأخبار ، السبع الخامس ،ص.89 .والبعض من المتأخرين منهم من يسمّيه بمحمد ، أنظر :تاريخ الدعوة الإسماعيليّة لمصطفى غالب ص.101.

(2) دور الستر يبدأ بمغادرة أوّل أئمّتها محمد بن اسماعيل ، المدينة المنورة ، نحو نيسابور خوفا من مراقبة الخليفة العبّاسي الرشيد (170ـــ193هـــ/786ـــ809م) ،انتهت بظهور عبيد الله (296هـــ/909م) .أنظر:المقريزي: اتعاظ الحنفا ، ص.4 محمد حسين كامل: المرجع السابق،ص.25 .

(3) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج.3 ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،ص.57 .

(4)أهم سلاسل النسب عند مؤيّدي نسب عبيد الله لإسماعيل:النيسابوري :استتار الإمام ،(من كتاب:الجامع لأخبار القرامطة ط.3 ،دار حسّان للطباعة والنشر ، دمشق ،1987 ، ص.95 ؛الداعي ادريس:زهر المعاني ، ص.64؛وأورد ابن خلدون سلسلة تبدأ بمحمد المكتوم ، أوّل أئمّة السّتر ، ثمّ ابنه جعفر المصدّق ، ثم ابنه محمد الحبيب،ثم ابنه عبيد الله . كتاب العبر ج4،ص. 39 ؛ وهو نفس ما ذكره المقريزي ، اتّعاظ الحنفا ، ص.17 ،18 .

ويعتبره المُنفون لنسبه الفاطمي أنه: سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح [1]إذ لما توفي عبد الله بن ميمون القداح،ادّعى ولده البنوة ،وآلت إليه الزعامة منذ مات أحمد بن عبد الله سنة 280هـ [2] فآلت إليه تبعا لذلك رتبة حجة الإمام المستور ،مع العلم أنه ولد سنة 259هـ أو 260هـ،وأنه كان تحت وصاية عمه أبي الشلعلع بن عبد الله القداح؛ورث قدرة تنظيم كبيرة عن عمه وصهره ، أحمد بن عبد الله ،كما عرّفه أبوه الحسين أسرار الدعوة من قول وفعل،وأين الدعاة ،وأعطاه المال والعلامات،وأوصاه"إنك ستهاجر بعدي هجرة كبيرة،وتلقى محنا شديدة "وشاع خبره أيام المكتفي [3] . جاء وصفه عند ابن الأبّار بالنجدة والشهامة ؛ مفوها فصيحا، عالما أديبا [4] ووصفه القاضي النعمان بالكرم والجود بالمال في حدود الاعتدال ، مع الضبط والحزم ، إلى جانب حب العدل[5]، يلبس النفيس من فاخر الثياب[6] يفوح منه أريج الطيب،وهو قليل الاكتراث لحديث المنجمين فيما يحددونه من أوقات السعد والنحس ،تلازمه كتبه في الحل والترحال [7].

---

(1) اختلفت الآراء اختلافا كبيرا ،عند الحديث عن ميمون القدّاح ، فيذكرون أنّه كان فارسيّا مجوسيّا من الأهواز، وأنّ تظاهر بالإسلام والتشيّع والدعوة لآل البيت،فقبض عليه،وأودع سجن الكوفة في أواخر عهد المنصور،وبعد خروجه من السجن ادّعى أنّه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر ، إلى أن نجحت دعوته في عهد أولاده الخلفاء الفاطميين أنظر مثلا : الحمّادي اليمني ، كشف أسرار الباطنيّة ، ص20،16 ؛ عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص: 266 ،274، 277، 278 ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ،ص.173،33. أمّا المصادر الإسماعيليّة تذكر بأنّ ميمون وابنه عبد الله،كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر .أنظر :زهر المعاني ،ص.49،47

(2) جاء في دائرة المعارف الإسلاميّة ، أنّ أعداء الخلفاء الفاطميين التقليديين ،صرّحوا بأنّ أبناء الأسرة الفاطميّة أدعياء ومغتصبين لا ينتسبون إلى عليّ وفاطمة ، بل أنّ عبيد الله هو" ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمونة عن القدّاح ، وأنّ اسمه الحقيقي هو السّعيد إلاّ أنّه غيّره أثناء وصوله إلى المغرب،فأخذ لقب المهدي وادّعى بأنّه علويّ . مشكلة النسب الفاطميّ أنظر : رشاد الإمام ، عبيد الله ومشكلة النسب الفاطميّ ، المجلّة التونسيّة للعلوم الاجتماعيّة العدد 40 ، إلى 43 ، 1957 ،ص.60 .

(3) القاضي النعمان: افتتاح الدّعوة ، ص.157 -158 .

(4) الحلّة السيراء ، ص .193 .

(5) افتتاح الدّعوة ، ص.304 .

(6) أنظر : الدّاعي ادريس ، ص.25 ، حيث نصّ على أنّه لم يستمع إلى نصيحة المنجم له بتأجيل سفره من سجلماسة إلى القيروان .

(7) عن خروج المهديّ من سلميّة إلى المغرب ، وأحداث الرّحلة ، أنظر : رسالة استتار الإمام ، وسيرة جعفر الحاجب .

- القائم أبو القاسم نزار بن عبيد الله (322-334هـ/934-946م) :

هو أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله [1] , ولد في سلمية سنة ثمان وسبعين ومائتين ،كان لصيقا بوالده أثناء ولايته العهد دون إخوته الخمسة ،وكان عبيد الله يعلن في مجالسه إعجابه بالقائم لذلك محّضه ثقته منذ صغره [2] و أناط به أعظم مسؤولية وهي قيادة الجيش،وفتح الأمصار . بويع له بالإمامة في 15ربيع الأول سنة 322هـــ[3]/فيفري–مارس 934م،ولقّب بالقائم بأمر الله [4] قضى في السلمية سبع عشر سنة ،وفي ولاية العهد خمس وعشرون سنة ، أما مدة حكمه فاثنا عشر سنة،أي أن حياته امتدت خمسا وخمسين سنة[5] .

لم تتحدث الصادر التاريخية عن طفولته ونشأته في سلمية ، تزوج بعد وصوله إلى المغرب بعشر سنوات،من أسرة كتامية معروفة بآل عمار[6]،وخرج عليه في سنة 332هــ أبو يزيد الخارجي[7].

---

(1) هذا على رأي من يقول إن القائم ابن لعبيد الله ،لكن هناك مصادر إسماعيلية تنص وتؤكد على أن عبيد الله إمام مستودع وبعد وفاته سلّم الإمامة إلى القائم الإمام المستقر الذي يعتبر من نسل إسماعيل ، وعبيد الله من نسل ميمون القداح ، وعلى هذا يعتبر القائم ابنا روحيا للمهدي أو ولده المنتسب إليه بتعليمه وإفادته ، أنظر : عبيد الله المهدي لحسن إبراهيم حسن ص.78؛ وهناك نص آخر مهم جدا للقاضي النعمان يقول عن المهدي :أنه أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله له ، فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره   فقال له :الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت. المجالس والمسايرات ،تحقيق:إبراهيم شبوح وآخرون ،ط.1 ،دار المنتظر ، بيروت 1996. ص . 410.

(2) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ص161. وقد وردت أخباره في البيان المغرب ج1،ص.208؛ اتّعاظ الحنفاء ، ص .74؛ افتتاح الدّعوة ،331 وما بعدها .

(3) الحلّة السيراء ، ج1 ، ص.286 . وكان أبوه قدّ ولاّه العهد بعدما استقامت له الأمور في بـــداية المائة الثالثة وسمّاه وليّ عهد المسلمين . أنظر : افتتاح الدّعوة ، ص.324.

(4) ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ،ج5 ،ص.19 ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1، ص.208 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4،ص.51 . والقائم اسم يطلق على صاحب الزّمان ، أيّ الناطق لكل دور ،أيّ النبيّ المرسل ، "بما يقوم به من نشر العلوم والحقائق " . أنظر : زهر المعاني ، ص. 437 . كما تطلق عبارة القائم خصوصا على آخـــرناطق يختم دور السّتر ويفتح دور الكشف ، وهو المعروف عند الإسماعيليّة ب" قائم القيامة " ، المجالس والمسايرات ، هامش ص.413 .

(5)عارف تامر :القائم والمنصور الفاطميّان ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت 1982 ،ص.7 .

(6) عارف تامر : نفس المرجع ،ص.8 .

(7)حول ثور أبي يزيد النكّاري أنظر : محمد بن عميرة :دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي ،المؤسسّة الوطنيّة للكتاب ،الجزائر ،1984 ،ص.197 وما بعدها من عدّة صفحات

المنصور بالله أبو الطّاهر إسماعيل(334-341هـ/946-953م):

ولد برقّادة سنة 301هــ ، وهو الصّحيح ، وقيل : ولد بالمهديّة في أوّل ليلة من جمادى الآخرة سنة 303هــ ، وقيل : ولد بالعراق ، وهو خطأ ، وقيل : ولد سنة302هــ[1].

أقام إلى أنّ أظهر القائم بأمر الله أمره ، وفوّض إليه عهده ، في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان ،سنة 334هــ/ 12 أفريل 946م[2]،وكانت سنُّه آنذاك ثلاثا وثلاثين سنة، وتوفيّ القائم بأمر الله لثلاث عشرة خلت من شوّال(سنة 334هــ / الأحد 19 ماي 946م) ، فكتم المنصور بالله موته و لم يظهر عليه حزنا ، خوفا أن يتّصل ذلك بأبي يزيد ، وهو بالقرب منه [3].

استفتح عهده بإطلاق المحبوسين ،الذين حبسهم القائم،بسبب القدح في الدولة،وقتل الرجال الذين كانوا يسعون في فساد الدّولة وخراب المملكة[4]، ووصل الفقراء والمساكين،وولّى المهديّة جوذر الأستاذ ،وهو من أهل السابقة الحسنى ،وجعل له الحلّ والربط في جميع الأمور [5]

وكانت فتنة أبي يزيد،عند تولّيه قد استفحلت وعمّت أرجاء افريقية،فجمع قواه وقضى عليها بجهد جهيد[6]وكان فصيحا بَليغا حادّ الذهن،حاضر الجواب[7]،تولّى المهديّ تربيته،فكان يطلعه على كتب الدّعوة وعقيدة أهل البيت [8]، فنشأ محبّا للكتب والعلم.

---

(1)المقريزي : اتّعاظ الحنفا ،ج.1،ص.88 .

(2) فرحات الدّشراوي : الخلافة الفاطميّة ،ص.277 .

(3)المقرزي :نفس المصدر ،ص.86 .

(4) النعمان :افتتاح الدّعوة ،ص.334 ؛ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاصّ من كتاب عيون الأخبار للدّاعي عماد الدّين إدريس ،تح. محمد اليعلاوي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1985 ،ص.350 .

(5) عماد الدّين إدريس : نفس المصدر والصفحة .

(6) أنظر : النعمان : المجالس والمسايرات ،صص.72 ،113 ،447 .

(7) المقريزي: نفس المرجع ،ص88 .

(8) النعمان : المجالس ،ص.502 .

المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ (341-365هـ/653-975م)

ولد أبو تميم معدّ بالمهديّة سنة 319هـ/930م [1]،وارتقى الخلافة عند وفاة أبيه المنصور يوم 29 شوال سنة 341هـ/ مارس 953م [2] حظي في قصر القائم برعاية خاصّة من قِبَل جدّه الذي أحاطه بعطفه وسهر على تربيته [3] ،وحسب رواية النعمان ، فقد تمّ تَعيين المعزّ وليّا للعهد في حياة جدّه القائم [4] ، وإذا اعتمدنا رواية صاحب سيرته المُخلص القاضي النعمان ، فإنّ المعزّ كان يَتحلّى بجميع المواهب.

تذكر بعض المصادر السنيّة صراحة إلى أنّ المعزّ يعدّ من كبار شخصيّات عصره ،وأنّه كان ذا ولع بالعلوم ودراية بالأدب،فضلا عمّا عرف عنه من حسن تَدبير وإحكام للأمور،يقول المقريزي " أخذ المعزّ نفسه بتعلّم اللغات ، فابتدأ بالبربريّة فأحكمها ، ثمّ الروميّة ،ثمّ السودانيّة،ثمّ استدعى الصقلبيّة [5] ؛ ويقول عنه ابن تغري بردي : " وكان المعزّ عاقلا ، حازما وأديبا جوادا ممدّحا فيه عدل وإنصاف للرعيّة [6]، يوصي ولاّته دوما والعمّال بالعدل والأمانة ، ويُحذّرهم من إخفاء ما يَجب تبليغه للإمام ،ويَحثّهم على الرفق بالرعيّة والتحرّي في التهمة قبل إنزال العقوبة [7]،وهكذا أتاح لنا كتاب المجالس معرفة سيرة المعزّ من خلال كلامه وأفعاله،وسيَأتي التفصيل في الحديث عن مصدريّة الإمام في العلم والمعرفة عند الإسماعيليّة ،ممّا خوّلهم- إلى جانب السّلطة الدّنيويّة- سلطة دّينيّة مطلقة ، ممّا رشّحهم لدور يَقومون به في الحياة الفكريّة .

---

(1)ترجمت له عدّة مصادر نذكر منها : ؛ ابن حمّاد :أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ؛ابن الأثير:الكامل، ج.7 ،ص.241 ؛ابن الأبّار :التكملة ،نشره ابن أب شنب ،مطبعة فونتانة الشرقيّة ، الجزائر، 1957؛ ابن خلّكان:وفيات الأعيان،ترجمة رقم 398 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ،ج.1 ،ص.223 ؛حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعزّ لدين الله ، ط.1 دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1982 .

(2) فرحات الدّشراوي :الخلافة الفاطميّة بالمغرب،تر .حمادي الساحلي ،ط.1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1994 . ص.327 .

(3) النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.501 .

(4)نفسه ،ص.502 .

(5) المقريزي : المصدر السابق :ص.101 .

(6) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العمية ،ط1، 1992م.ج.4 ،ص.82 .

(7) المجالس والمسايرات ،ص.496

ج ـ التطوّر العقديّ للدّعوة الإسماعيليّة :

ليس للباحث في ميدان دراسة أفكار الإسماعيليّة ومعتقداهم ،أن يطمع في الكثير وسط التكتّم الذي يحيط بتراثها[1] ، ورغم التقدّم الذي عرفته مثل هذه الدّراسات ، إلاّ أنّه لم يحسم الجدل في الكثير من القضايا المطروحة في حقل البحث ،وما دامت دراستنا تتناول الجانب الفكري للدولة الفاطميّة ، وجب علينا أن نقدّم لمحة مجملة عن العقيدة الإسماعيليّة ، وتبيان مرتكزاها ، من خلال ما توفّر من مصادر ومراجع،لنلمّ بقسط ممّا تحملة الدّعوة من أفكار كان قد تشبّع بها الأئمّةوالدّعاة ودخلوا بها إلى بلاد المغرب ونشروها . ومن جهة أخرى مقارنة هذه الأفكار بما كان سائدا في بلاد المغرب ، لفهم جوهر الصراع الفكري الذي انفجر بقيام هذه الدّولة ، ومن جهة أخرى للوقوف على مؤسّسي هذه الدّعوة ، ومدى التطوّر الكبير الذي لحقها في الفترة الفاطميّة .

تعتبر الفترة الإسماعيلية المبكّرة ، أو إسماعيلية "ما قبل العصر الفاطمي"،من أكثر الأطوار الرئيسيّة غموضا في مجمل تاريخ الإسماعيلية[2] ، ولا تتوفّر لدينا سوى معلومات ضئيلة حول تاريخ وعقائد الاسماعيليين ما قبل العصر الفاطميّ،ويبدوا أنّ ااسماعيليين الأوائل لم يُنْتجوا سوى عدد قليل جدّا من الرسائل، مفضّلين الدّعوة إلى معتقداهم بالكلمة الشّفهيّة بدلا من ذلك[3]وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّهم لم يشيروا أبدا إلى أنفسهم ، بالاسماعيليّين ، لقد أطلقوا على حركتهم اسم " **الدّعوة**" أو الدّعوة الهاديّة ،لكن مخالفيهم سرعان ما راحوا ينعتوهُم عموما "بالملاحدة "الذي قصد منه الإساءة إليهم[4]،إذ كان تزعّم الإسماعيليّة لحركة الغلوّ

---

(1) أشار الباحث محمد كامل حسين إلى أنّ كتب العقائد احتفظ بها رجال الدعوة باليمن وفارس وبلاد الشام والمغيّبة اليوم عند رؤساء الطائفة بالهند ،ومن تقاليد الإسماعيليّة الحرص الشديد على الكتب وسترها حتى لا يقربها إلاّ رجال الدعوة ،بل من بلغ درجة رفيعة من رجال الدعوة ، ولهذا يصعب على الباحث أن يحصل على مخطوطات الفاطميين إلاّ بشقّ الأنفس .انظر :مقدّمة سيرة الأستاذ جوذر ، سيرة الأستاذ جوذر ،تقديم وتحقيق:محمد كامل حسين ومحمد عبد الوهاب شعيرة طبعة دار الفكر العربي . ص.30 .

(2) حول بعض نتائج البحوث في الاسماعيليّة المبكّرة انظر :ف.دفتري :الاسماعيليّون تاريخهم ونظمهم ،تر.سيف الدين القصير ، دار الينابيع ، دمشق ،1994-1995.

(3) فرهاد دفتري :خرافات الحشّاشين ،ترجمة :سيف الدّين القصير ، ط.1996،دارالمدى للثقافة والنشر ،دمشق ص.32 .

(4) نفسه ، ص.35 .وحول تاريخ الإلحاد في الإسلام أنظر : عبد الرحمن بدوي :من تاريخ الإلحاد في الإسلام ط.2 ،دار سينا للنشر ، القاهرة ،1993 .

ذا أثر كبير في معتقداتها التي تمثّل تطرّفا شديدا ،أثار تأفّف الفرق الأخرى واستنكارها [1] ويشير الباحثون إلى الظروف التي نشأت فيها العقائد الإسماعيليّة وتطوّرها في مراحلها الأولى ، إذا صادفت يقظة فكريّة ، بدأت بقيام الدّولة العبّاسيّة في عصر أبي جعفر المنصور (136-158هـ) ولقد كانت هذه اليقظة نفسها أثرا من آثار حركة النقل من الفارسيّة والسريانيّة واليونانيّة إلى العربيّة[2]، فلم يكد القرن الثاني الهجري يوشك على الانتهاء حتّى تمّ للعالم الإسلامي الوقوف على أهمّ كتب أرسطو الفلسفيّة ،وعلى نخبة من كتب الشروح لأهل الفلسفة الأفلاطونيّة الحديثة وعلى جملة من كتب جالينوس الطبيّة وطائفة من الكتب العلميّة الفارسيّة والهنديّة،ولقد بلغ التأثير اليوناني أمده في عصر المأمون(198-218هـ) .

وحسب ما ذكـــره كثيرون ممن اعتنوا بنشأة الفرق من المتقدّمين ومن المتأخّرين خاصّة من المستشرقين ، فإنّ لأبي الخطّاب[3] صلة وثيقة بنشأة الإسماعيليّة وتكوينها ، وصياغة معتقداتها التي تبنّتها الطائفة الإسماعيلية؛ذكر القمّي أبا الخطّاب في موضعين من كتابه أوّلا:عند ذكره الغلاة من الشيعة الكيسانيّة كفرقة مستقلّة،وثانيا: ضمن الفرق التي افترقت بعد وفاة الإمام جعفر[4] ويرى عبد الرحمن بدوي أنّ الخطّابيّة الأوائل لم يقولوا بإمامة محمد بن إسماعيل وإنّما فرقة متأخّرة منهم لذلك يرى أنّه من الصّعب تحديد نشأة الإسماعيليّة إذا ربطناها بالخطّابيّة ويرى أنّ المباركيّة هم الإسماعيليّة الأولى، وأنّهم استمرّوا من منتصف القرن الثاني

---

(1) محمد السعيد جمال الدّين : دولة الإسماعيليّة في إيران ، ص.31 .

(2) نفسه ،ص.31 .

(3)أبو الخطّاب : هو محمّد بن أبي زينب مقلاص الأجدع (حسب رواية الأكثر) ،أو محمّد أبي ثور (حسب رواية المقريزي) ،يكنّى بأبي ظبيان وبأبي إسماعيل . النوبختي:فرق الشيعة ، ص.39 ،69 . استدلّ بعضهم على أنّ أبا الخطّاب لم يكن يُكنّى بأبي إسماعيل ،إلاّ أنّه كان مُربّيا لإسماعيل بن جعفر ، ومتبنّيا له بالأبوّة الروحيّة ،انظر : برنار لويس ،أصول الإسماعيليّة ،ص.110 ؛ انظر ايضا مقال ماسنيون عن سلمان ،تر .عبد الرحمن بدوي في كتاب شخصيات قلقة في الإسلام ،ط.2 ،دار النهضة العربيّة ،القاهرة ،1964 ،ص.19 .

(4) فرق الشيعة ، ص.52 ؛ وقد ذكرت كتب السنّة أبا الخطّاب وأصحابه وأفكاره ، أنظر مثلا:البغدادي:الفرق بين الفرق ،ص.247 ؛والجدير بالملاحظة أنّ الإسماعيليّة لم يذكروا في كتبهم أبا الخطاب إلاّ قليلا . انظر مثلا:دعائم الإسلام ،ج.1 ، ص.49- 50 ؛ عماد الدّين إدريس : عيون الأخبار ، السبع الرابع ، ص.387 .

الهجري ،إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، حين تشعّبت عنهم فرقة القرامطة ، في حين تمثّل الإسماعيليّة الثانيّة دعوة القرامطة [1].

إنّ المعتقد الإسماعيلي مرتبط أشدّ الارتباط بدراسة الفلسفة ، وتاريخ كلّ إقليم على حدى فالإسماعيليّون في اليمن ، بتقاليدها ونظمها الاجتماعية، وتأثير البيئة والمجتمع على الأفكار وعقائد معتنقيها غير الإسماعيليّة في سوريا ، وفي سوريا غير إيران ، وهما غير بلاد المغرب ومن هنا يمكن القول بأنّ الدراسات الإسماعيليّة في اليمن،تحتاج إلى دراسة الزيديّة ،وأثرها في الإسماعيليّة ،كما أنّ الدراسات الإسماعيليّة في إيران تحتاج إلى دراسة الزرداشتيّة والمانويّة و أثرها في الفلسفة الإسماعيليّة وفي سوريا ، تحتاج إلى دراسة الصوفيّة و الخطّابيّة والعلويّة [2] .

والمؤكّد أنّ الدعوة الإسماعيليّة مرّت بمراحل زمنيّة متعدّدة،كانت خلالها تتطوّر من زمن إلى زمن تبعا للظروف والأحوال ، فقد ثبت للإسماعيليّة دعوى في كلّ زمان ومقالة جديدة بكلّ لسان [3] ونجد لدى كتّاب الفِرَق والمؤرّخين مقولة واحدة ، تجاه جميع الفرق التي اصطلح على تسميتها بالباطنيّة[4]،وهذا ما يدعونا إلى ذكر عقائدهم من كتبهم ، والتركيز على الثابت من تلك العقائد المتّفق عليها بين الإسماعيليّة جميعا منذ وجدت الإسماعيليّة .

وتشكّل الإلهيات المبحث الرئيس في التراث الإسلامي ، وفي الفلسفة الإسلاميّة بمختلف محاورها فلسفيّة مشائيّة ،علم الكلام ،تصوّف ، والسبب هو الخصوصيّة الدّينيّة إسلامية لكلّ منتوج فكري للحضارة الإسلاميّة ،والفكر الإسماعيلي لا يُستثنى من هذه القاعدة لكونه تراثا عقديّا ممزوجا بآراء فلسفيّة واضحة المعالم .

---

(1) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ،بيروت ،1997 .ص.834 .

(2) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيليّة ، ص.148-149 .

(3) الشهرستاني : الملل والنحل ،ص.421 . يرى محمد كامل حسين وجوب تطبيق منهج التطوّر التاريخي في دراسة العقائد الإسماعيليّة. مقدّمة كتاب :سيرة الأستاذ جوذر ،ص.17 ،فإنّ إيفانوف يقترح تقسيم مراحل تطوّر هذه العقائد إلى ثلاث مراحل : مرحلة الإسماعيليّة المبكّرة التي تنتهي بقيام الدّولة الفاطميّة (297هـ) ، والمرحلة الفاطميّة حتّى بداية القرن السادس ، وفترة آلموت ،وتبدأ من بداية القرن السادس ،حتّى القرن التاسع .

(4) الإسماعيليّة لا تقول بالباطن فقط ،بل إنّ الظاهر أساس من أُسس عقائدهم أيضا ،فأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معا ،بل كفّروا من اعتقد بالباطن دون الظاهر . محمد كامل حسين ، نفس المرجع،ص.148

ج(1) اعتقادهم في الألـــــ'هيّات :

يصف الإسماعيليّة أنفسهم بأنّهم أهل التوحيد،ويحاولون دائما التأكيد على هذا المعنى[1] إلى حدّ نفيّ الصفات عن الله سبحانه ، لأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، ولذا لا ينفون عنه التشبيه[2]،بل ينفون التسميّة والحدّ والصّفات والزمان والمكان عنه [3]،يذكرالكرماني بأنّ التوحيد يشتمل على سبع نقاط أساسيّة : في الله الذي لا إله إلا هو ، وبطلان كونه ليسا ؛ في أنه تعالى لا ينال بصفة من الصّفات، وأنّه لا بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ،ولا يحس به محسّ ؛ في أنّه تعالى لا صورة ولا مادّة ؛ في أنّه تعالى لا ضدّ له ولا مثيل؛في أنّه لا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب عنه بما يليق به ؛ في أنّ أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والإثبات ، ما يكون من قبيل نفي الصّفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى[4].

وخلاصة حجاجه هنا هو أنّه لا يجوز أن نصف الله بصفة الوجود ، وحتّى لا يصدم المشاعر الدّينيّة يستعمل كلمة:"أيس"بدل"وجود"،ذلك أنّ وصفه بالوجود يقتضي كونه محتاجا إلى الوجود وبالتالي محتاجا إلى غيره ، والله لا يحتاج إلى أحد .

---

(1) يُشاركهم في هذا الإدّعاء فرقة المعتزلة ،الذين قطعوا شوطا بعيدا في تحديد مفهوم الوحدانيّة ، واعترف الدّاعي حميد الدّين بمساهمتهم في هذا المجال ،لكنّه كان ناقدا متشدّدا لأخطائهم ولفشلهم النهائي في متابعة المنهج الذي بدؤوه بهمّة كاملة .أنظر : بول ولكر ،الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله ،تر . سيف الدّين القصير دار المدى للثقافة والنشر ،دمشق ،ط.1 ،1980 ، ص.130 .

(2) التشبيه :في اللغة الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ،فالأمر الأول هو المشبّه ، والثّاني هو المشبّه به ،وذلك الشيء . المعنى هو وجه التشبيه،وفي اصطلاح علماء البيان هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف محمد الشريف الجرجاني : كتاب التعريفات ،مكتبة لبنان ،بيروت ،1985 ص.60.

(3) يقول إبراهيم الحامدي :" إنّ الغيب سبحانه وتعالى ، جلّ جلاله ، لا يقال عليه باسم من الأسماء ، ولا يوصف بما به مبدعاته تدعى، ولكن لا بدّ من استعارة الأسماء الحسنى كما قال تعالى : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . ففعلنا ما أمَرَنا ، وقصدنا ما به عرفنا ، فتوحيده معرفة حدوده ،وسلب الإلهيّة عنهم له تجريده ، وسلب الأسماء والصّفات عنه لهم تنزيه ، فهو تعالى لا ينفى ، ولا يعطّل ، ولا يقال عليه ما يقال على مخترعاته ، ولا يبطل . كنز الولد ،ص.8، 13.

(4) أنظر : الكرماني ، راحة العقل،ص.56،35؛ السجستاني:كتاب الافتخار ، تحقيق وتقديم: إسماعيل قربان حسين بونوالا، ط.1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2000 ،ص.81، 99

واللافت للنظر في الاعتقاد الإسماعيلي، أنّه لم يتّجه بعد الحديث عن الوجود الإلهي إلى الحديث عن التوحيد،والسرّ في ذلك يعود إلى أنّ موقف الإسماعيليّة من التوحيد تابع لموقفهم من الأسماء والصّفات ، وهو موقف رافض لوجودها ، ومعلوم أنّ هذه الطائفة مُغَالية في إثبات التتريه لله سبحانه [(1)]،وما يُقال على الأسماء والصّفات يقال على التوحيد عندهم ،فهو يدلّ على جمع ما هو مفرّق ،أو عدّ ما هو قابل للعدّ ، والله عندهم لا متعدّد ولا مجتزئ فيُجمع [(2)] ، والبديل عن كلّ هذا الرفض للأسماء والصفات ، ومن ثمّ التوحيد هو نقد العقل بالعقل،بمعنى على الإنسان أن يجتهد أكثر ، في إثبات أنّ العقل عاجز عن الوصول إلى معرفة حقيقة الله ،واعتمدوا في استدلالاتهم على وجود الله أسلوب الفلاسفة وعلماء الكلام بالإدراك ، وهو إدراك يتمّ حسب الإسماعيليّة بالفطرة وببرهان العليّة بمختلف أنواعه : العلّة الكافية والعلّة الغائيّة ،وببرهان الحركة والسّكون والكثرة والوحدة ، والنظام والاتساق،وكلّ هذه براهين استعارها الإسماعيليّون من الفلسفة ،وممن سبقهم من علماء الكلام [(3)] .

ولنَفْيِهم الصّفات والأسماء عن الله سبحانه،وجِّه إليهم تهمة التعطيل ، أذ أنّ الإله الذي يشير إليه الإسماعيليّة غير موجود ،لا ذاتا ولا صفة ولا اسما ، ومع ذلك نرى الكرماني يُبرّئ طائفته من تهمة التعطيل،إذ التعطيل نفي الصفات أو عدم نسبة صفة إلى الله ،لا نحو الهويّة المتعالية –سبحانها- الذي يرى نفيها هو التعطيل الصريح ،الذي يُكسب النفس بوارا [(4)].

وبالجملة لا يوجد في اللغات (عندهم) ما يُمكن الإعراب عنه بما يليق به، لأنّه مُباين للمحدثات وغير مناسب لها ولا من جوهرها ، إذ ليس للحروف دلالة على هـــويّة ظهرت عنها المبدعات والمنبعثات والمكوّنات التي منها هي ، والله من ورائها في ذروة العزّة [(5)] .

---

(1) التتريه :عبارة عن تبعيد الربّ عن أوصاف البشر .الجرجاني ،المصدر السابق ،ص.71 ؛ والتتريه على طريقة الإسماعيليّة هي تعطيل كامل لوجود الله سبحانه .

(2)ساعد خميسي :المنظومة العقديّة الفلسفيّة لدى الإسماعيليّة الفاطميّة ، من كتاب : من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي،ط.1 ، تقديم وتنسيق :بوبة مجاني ،دار بهاء الدّين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ،2007 ،ص.49 .

(3) نفسه :ص.48 .

(4) حميد الدّين الكرماني:المصدر السابق ،147-148 .

(5) نفسه :ص.145 .

ولّما كان تصوّر الاسماعيليّة للذات الالهيّة بهذه الصّفة العدميّة فكيف تمّت الإبداعات؟ كيف حاول الفكر الاسماعيلي إيجاد الصّلة بين مُبدع سالب فاقد للماهيّة ،مع عظيم مبدعاته ؟؟

عند الإسماعيليّة أنّ وجود الموجودات عن الله لم يتمّ عن طريق الفيض[1] ،كما يقول الفلاسفة بل عن طريق الإبداع [2] ، وهذه هي النتيجة الضروريّة عن القول بنفي الصفات عنه وبأنّه ليس كمثله شيء و لا من جنسه شيء .فالإسماعيليّة ينكرون نظريّة الفيض التي قالت بها الأفلاطونيّة المحدثة ، وأخذ بها الفارابي وعرضها في كتبه ،وخصوصا في كتاب" آراء أهل المدينة الفاضلة "[3].

وإذا كان الله عريّا عن كلّ صفة ، فإنّ صفات الكمال موجودة في أوّل مُبدَع أبدعه ، ويسمّيه الكرماني باسم الإبداع ،وهو"الحقّ والحقيقة ،وهو الوجود الأوّل ،وهو الموجود الأوّل،وهو العلم وهو العلم الأوّل ،وهو القدرة ، وهو الأزلي ، وهو العقل الأوّل "[4]وواضح أنّ هذه الصفات التي يخلعها الكرماني على العقل الأوّل ، هي عينها الصفات التي ينسبها المعتزلة إلى الله ، وهذا فارق ضخم بين مذهب المعتزلة وبين مذهب الإسماعيليّة في الصفات ، فصفات العقل الأوّل عند الإسماعيليّة هي بعينها صفات الله عند المعتزلة[5] .

ويستعمل بعض الإسماعيليّة "الإبداع"مرادفا "للكلمة"،وصورة الكلمة هي فعل الأمر:"كن" وإذن فإنّ الكلمة هي الإبداع ،وهي فعل الأمر:"كن" [6].وعن الإبداع أو المبدع الأوّل أو العقل الأوّل انبعث العقل الثاني[7]،أي النفس الكليّة وتسمّى في السنّة الإلهيّة باسم:القلم .

---

(1) الكرماني :راحة العقل ،ص.171 ،173 .

(2) الإبداع : هو الإخراج من العدم إلى الوجود .أنظر: السجستاني ،المصدر السابق، ص.268،267.

(3) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ،ص.978 .

(4) الكرماني : نفس المصدر ،ص.189-190 .

(5) المبدع الأوّل الذي هو العقل الأوّل عند الإسماعيليّة لا يعقل ما هو خارج عنه الذي هو مبدعه سبحانه،بل يدرك ذاته فقط ،وهو المحرّك الأوّل لجميع المتحرّكات ، وإنّه العلّة في وجود ما سواه .أنظر : راحة العقل ص.193-194 .

(6) عبد الرحمن بدوي : نفس المرجع ،ص.988 .

(7) يُلاحظ أنّ الإسماعيليّة يستعملون لفظ "انبعث" بدلا من "خُلق" أو "فاض" أو "صدر " ويميّز الكرماني بين الإبداع والانبعاث تمييزا واضحا .انظر :راحة العقل ،ص.207 .

يحتدم الخلاف بين ثلاثة من كبار مفكّري الإسماعيليّة حول تحديد ماهية هذا المنبعث الأوّل أي النفس الكليّة أو القلم.وسنوجز ما استطال من تلك الآراء في أوضح كتبهم وأبينها[1].

يشرح حميد الدّين الكرماني الدّافع لهذا المبدع الأوّل،فيقول:" إنّ الإبداع الذي هو المبدع الأوّل لّما كان حيّا بذاته وقادرا بذاته وعالما بذاته ..وأحاطت ذاته لقدرتها بذاته، فلاحظها وعقلها إحاطة بها وصارت ذاته،التي هي عقل ، عاقلة لذاته التي هي معقولة لذاته التي هي عقل (....) وأنّه محض الفعل الحـــاصل في الوجود بلا واسطة في الوجود بينه وبين المتعالي سبحانه[2] ؛ إذن فالانبعاث سطوع نور ، وليس انبثاث نور،أي أنّه انعكاس وليس انبثاث، فوجود العقل الأوّل عن الله يسمّيه الكرماني:إبداعا؛ووجود العقل الثاني عن العقل الأوّل يسمّيه إنبعاثا .

والمنبعث عن العقل الأوّل ، هو أوّل العقول المنبعثة في عالم القدس ، وهو عقل قائم بالفعل مثل ما عنه وجد،كالشعاع الموجود عن الشمس ،والمنبعث الأوّل"كامل الاغتباط من جهة السابق عليه في الوجود ، وهو قائم بالتسبيح والتهليل ، مشتاق وله حيران ،كالأوّل مقدّس ، وذلك المَلَك المقرّب المُعرب عنه في السنّة الإلهيّة بالقلم،إنّما سمّي ذلك بالقلم لكونه والأوّل من جنس واحد [3] ويرى الكرماني أنّه لا ينبعث عن العقل الأوّل موجود واحد بل موجودان : أحدهما النفس الكليّة التي عرّفناها ، والثاني هو " الهيولى " وهي في السنّة الإلهيّة هو اللّوح [4] .

---

(1) يُنسب إلى محمد بن أحمد النسفي (تــ331هــ) كتاب عنوانه " المحصول" ، وفيه يعرض لآراء الإسماعيليّة الأوائل في أمّهات المسائل العقديّة ،وقد تصدّى أبو حاتم الرازي (تــ322هــ) لمناقشة ما جاء من آراء ، وذلك في كتاب عنوانه"الإصلاح"،فانبرى لمساجلته هو الآخر أبو يعقوب السجستاني(تــ360هــ)في كتاب سمّاه النصرة ، ثمّ جاء حميد الدّين الكرماني (تــ411هــ) فأقام نفسه حكما بين الرازي والسجستاني وذلك بكتاب "الرياض" . وخلافهم حول المنبعث الأوّل مبسوط في كتاب : مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي صص.996، 1000 .

(2) الكرماني : المصدر السابق،ص.207-209 .

(3) نفسه :ص.219 .

(4) نفسه :ص.225 .والهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادّة ،وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محلّ للصورتين الجسميّة والنوعيّة.الجرجاني:التعريفات،ص.279.

والمنبعث الثاني – وهو اللّوح في الاعتقاد الإسماعيلي - هو الصّادر عن العقل الأوّل ، والعجب أن يعتقدالإسماعيليّون بصدور الهيولى من العقل الأوّل،رغم التباين التّام في الطبيعة بين العقل والهيولى[1] لكن يزول هذا العجب إذا تذكّرنا أنّ هيولى الكرماني غير هيولى أرسطو والفلاسفة[2] ، إنّ هيولى الكرماني هيولى سماويّة إن صحّ هذا التعبير،إذ تصير هذه الهيولى مادّة للعقول ،وهي أصل لوجود السماوات والكواكب والطبائع ، وليس وجودا مجردا عن الصورة[3] ، لأن الهيولى شيء ما يُمكن أن يقبل الصور،فيكون بما قبله من الصور موجودا للحس ،وإنّ وجودها من الأوّل الضروري،إنّها المعرب عنها باللّوح الذي أودع كلّ الصور[4] ،ويقول السجستاني : أنّ الهيولة ظلمانيّة ومتولّدة من النفس على أنّ الكرماني في كلامه عن العلاقة بين الهيولى والصورة يتّجه اتّجاها أرسطيا فيقول " إنّ الهيولى ليست سابقة في وجودها على الصورة ،ولا الصورة سابقة في وجودها على الهيولى بل هما ذات واحدة ، في ذاتها جزءان هما ذات الجسم جسم ،على كون الصورة أشرف من المادّة وعلى كون كلّ منهما– الهيولى والصورة – في ذاته غير جسم" [5] .

وتكتمل الفلسفة الإلهيّة عندهم بالتأكيد على وجود الحدود العلويّة والسفليّة : ففي اعتقاد الإسماعيليّة أن العالم العلوي فيه ماهيات عالية ليست في جسم ولا بجسم ،ويناظرها ماهيات سفليّة في العالم السفلي ، وهم يسمّونها حدودا [6] : حدودا علويّة وحدودا سفليّة .وبالإبداع والانبعاث يوجد من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة،يتمّ بها عالم الإبداع والانبعاث

---

(1)عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق ،ص.1002 .

(2)نفسه .الهيولى:هي المادّة الأولى عند أرسطو وهي كلّ ما يَقبل الصّورة،وهي قوّة محضة ،ولا تنتقل إلى الفعل إلاّ بقيام الصّورة بها . أنظر : المعجم الفلسفي ،الهيئة العامّة لشؤون الطبع ، القاهرة ،1983 ، ص.163 .

(3)صورة الشيء : ما يؤخذ منه عند حذف المشخّصات ،ويُقال صورة الشيء ،ما به يَحصل الشيءُ بالفعل الجرجاني: المصدر السّابق ،ص.141 .

(4)الكرماني : المصدر السابق،ص.228-229 .

(5) نفسه :ص.322-323 .

(6) الحدود : في الاصطلاح الإسماعيلي ، هي سلسلة مراتب العقول السّماويّة (الحدود العلويّة) أو هي سلسلة مراتب الدّعاة (في الحدود السفليّة) من أعلاهم الذي يكون بجوار الإمام وهو الحجّة ،إلى أدناهم الذي يقوم بالدّعاية وهو المكاسر وكلّ حدّ من الحدود هو "أُفق"للحدّ الذي الذي تحته نفهو حدّه.أنظر: الكرماني:نفس المصدر ،ص.139،132؛ كامل حسين: في أدب مصر الفاطميّة ، دار الفكر العربي ،1970 ،ص.19، 22.

ويناظر كلّ حدّ من الحدود في العالم العلوي،نظام ترتيب الحدود السفليّة في عالم الدّين مثل النظام الموجود في ترتيب الأجسام العلويّة ، ولهذا فإنّ الموجود من الحدود السفليّة هو مثل الموجود من العقول العلويّة في عالم الإبداع والانبعاث مثلا بمثل، وقد وضع الكرماني هذا التناظر في الجدول التالي(1) :

الحدود العلويّة		الحدود السفليّة	
(1) الموجود الأوّل هو المبدع الأوّل	الفلك الأعلى	الموجود الأوّل هو النّاطق	رتبة التنزيل
(2) الموجود الثّاني هو المنبعث الأوّل	الفلك الثاني	الثاني هو الأساس	رتبة التأويل
(3)الموجود الثالث	الفلك الثالث (زحل)	الثالث هو الإمام	رتبة الأمر
(4)الموجود الرابع	الفلك الرابع (المشتري)	الرابع الباب	رتبة فصل الخطاب (الذي هو الملك)
(5)الموجود الخامس	الفلك الخامس(المريخ)	الخامس الحجّة	رتبة الحكم فيما كان حقّا أو باطلا
(6)الموجود السادس	الفلك السادس (الشمس)	السادس داعي البلاغ	رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد
(7)الموجود السابع	الفلك السابع(الزهرة)	السابع الدّاعي المطلق	رتبة تعريف الحدود العلويّة والعبادة الباطنيّة
(8)الموجود الثامن	الفلك الثامن(عطارد)	الثامن الدّاعي المحدود	رتبة تعريف الحدود السفليّة والعبادة الظاهرة
(9)الموجود التاسع	الفلك التاسع(القمر)	التاسع المأذون المطلق	رتبة أخذ العهد والميثاق
(10)الموجود العاشر	مادون الفلك من الطبائع	العاشر المأذون المحدود الذي هو المكاسر	رتبة جذب الأنفس المستجيبة

---

(1)الكرماني: راحة العقل ،ص.256 .ونسجّل أنّ ما يقول به الكرماني لا يتّفق مع العقيدة الإسلاميّة في شيء .

ج (2) اعتقادهم في الرسل والأئمّة:

يرى الإمام الغزالي أنّ المنقول عنهم في النبوءات ، قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أنّ النبيّ عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ، بواسطة التالي ، قوّة قدسيّة صافية مهيّأة لأن تُنتقش عند الاتصال بالنفس الكلّية ،بما فيها من جزئيات [1]،وقد أطلقوا على مرتبة النبوّة والرسالة"مرتبة الاستيداع" [2] ،والأنبياء في الاصطلاح الإسماعيلي هم النطقاء [3] .

ويعتقد الكرماني أنّ نفس النبيّ ،من جهة كونها جزءا من عالم الدّين ، وهي متميّزة عن جميع النفوس البشريّة ، بقدرتها على قبول فيض عالم الإبداع من جهة العقل الأوّل قبولا كاملا،لدرجة لا تعادله فيها أيّ نفس أخرى،وإفاضة الفيض هي إرسال الرسل ، والمفاض عليه هو الرسول .

ولأنّ فيض القداسة الروحانيّة ، هو الذي زوّد الرسول بعلمه وقواه الفريدة ، فالرسل يملكون نوعا من العلم يسميه الكرماني " العلم التأييدي"تمييزا له عن نوع آخر يقول عنه "العلم التعليمي" أمّا الوحيّ فهو،في الحقيقة،فيض الروح القدس أو النفس الحقيقية على النبيّ،وكما يقول الكرماني " وفيما يتعلّق بالوحيّ ، فإنّه اسم لما يفهمه على وجه العموم دون شرح أو تفصيل ، ثمّ ينقسم أكثر إلى صنفين اثنين ، أحدهما يفهمه دون وسيط،والثاني يتعلمه من خلال واسطة محسوسة "[4].

---

(1) فضائح الباطنيّة ،ص.46 .يُصرّح السجستاني تحت عنوان : كيفيّة قبول الرسالة من المرسل ،بقوله " إنّ القبول قبولان :قبول سمع ، وقبول وهم ،فالقبول السّمعي يكون بالكلام ، والقبول الوهمي يكون بالخطرات ،والكلام يكون من المتكلّم فيه آلات الكلام،والخطرات من متفكّر فيه خزائن العقل(...) فصحّ من هذه الجهة أنّ قبول الرسل قبول وهميّ ، يخطر في أفئدتهم ما أُرسلوا به ، ثمّ يؤدّون إلى الأمم بلسانهم ولغتهم" . اثبات النبوات ، تحقيق: عارف تامر ،ط.2 ،دار المشرق ،بيروت ،د.ت .ص.147-148 .

(2) وتقابلها مرتبة الاستقرار ، وهي مرتبة الإمامة والوصاية . مقدّمة ديوان المؤيّد ،ص.80 .

(3) الناطق (جمع النطقاء) : النطقاء عند الإسماعيليّة سبعة ، ويطلق هذا المصطلح عند الإسماعيليّة على ستّة من الرسل وهم : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) ، والناطق السابع ، هو القائم ، ويسمّى أيضا قائم القيامة .أنظر : منصور اليمن : كتاب الرشد والهداية ؛ السجستاني : كتاب الإفتخار ص.150،138؛ السجستاني:اثبات النبؤات ، ص.193،181.

(4) الوحي عند الإسماعيليّة هو اسم لما يُعلم كُلّيا من غير تفسير وتفصيل ،وهو مراتب أعلاها شبيه بالشرر الذي يُضيء الذات الشريفة بنور القُدس المتّصل بها من خارجها .أنظر :الكرماني ،المصدر السابق، ص.561 .

وعدد الرسل من أصحاب الشرائع قليل، وهم يبتدئون بآدم الذي كان أوّل من صاغ الشريعة[1] يليه نوح ، أوّل من نسخ الشريعة وأحلّ واحدة أخرى محلّها ، ثمّ جاء إبراهيم الذي كان أوّل من أكمل الدّين وأتمّه ، ثمّ قام موسى بتجديد شريعة آدم ، وعيسى جدد شريعة نوح ، وأخيرا جاء محمّد وجدّد شريعة إبراهيم [2] ، ودورنا الحالي هو دور محمد [3] خاتم الرسل، وشريعته هي الشريعة التي يجب إتباعها ،حتّى يبدأ الدّور السابع ،بظهور محمّد بن إسماعيل،وهو القائم [4] ، أو صاحب الزمان ،وتظهر على يديه العقيدة الباطنيّة لأوّل مرّة ومن ثمّ يكون الفهم الواقعي للشريعة .

كما زعم الاسماعيليّون أنّ القوّة القدسيّة الفائضة على النبيّ،لا تستكمل في أوّل حلولها وكمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت [5] ، فلا بدّ عند وفاة النبيّ المشرّع ، من وجود شخص آخر للإبقاء على تعليمه .

---

(1) اختلف الرازي والسجستاني والكرماني حول مسألة :هل كان لأوّل النطقاء ،آدم ، شريعة أو لم يكن ؟ فيذهب أبو حاتم الرازي إلى التأكيد على أنّ آدم صاحب شريعة،ويُخالفه السجستاني،بينما يميل الكرماني لرأي الرازي أنظر : حميد الدّين الكرماني : كتاب الرياض ، ص.178-179 .

(2) بول وولكر : المرجع السابق ،ص.168 .

(3) الأدوار : يقول السجستاني : إنّ معنى الدور على نوعين : دور كبير ، ودور صغير ، فالدور الكبير هو يبتدئ من آدم عليه السلام إلى القائم عليه السلام، أما الدور الصغير، فهو بين كل ناطق وناطق،السجستاني : إثبات النبوءات ، ص.181.

(4) القائم : يقول منصور اليمن : القائم هو المهدي وسابع النطقاء ،وهو آخر الأئمّة والنطقاء ،لم تكن بعده شريعة وسيظهر يوم القيامة ، وهو يوم السّاعة ،فكتم الله وقت ظهوره عن نبيّه وعن الناس جميعا ،وأكّد في كتابه هذا التأكيد على نبيّه في قوله (تعالى) : ويسألونك عن السّاعة أيّان مرساها ، قل إنّما علمها عند ربّي ". منصور اليمن : كتاب الرشد والهداية ، ص.194 ،195 ،198 ،201 ؛وعند السجستاني ، القائم هو متمم النطقاء فإذا ظهر ظهرت آيات .. وأنّ القائم هو نهاية الكلّ من الرسل ، وهو يجمع النواميس المختلفة المتفرّقة المتباينة بالكشف عن حقائقها .. وأنّ في عهد القائم يكون بعث الصور الروحانيّة .إثبات النبوات ،ص.191؛ كتاب الإفتخار ، ص.130 ،136.

(5) الغزالي : فضائح الباطنيّة ،ص.46 .

وبعد النبوّة ، تأتي فكرة الولاية في المعتقد الإسماعيلي ، وهم يُعرّفونها بأنّها "سرّ النبوّة وباطنها " ، وهي دعامة من دعائم الإسلام (1) ، والولاية عند الفاطميين هي اعتقاد وصاية عليّ ، وإمامة الأئمّة المنصوص عليهم من ذريّة عليّ بن أبي طالب،وفاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلّم) ووجوب طاعة الوصيّ والأئمّة (2)، فلكلّ نبيّ وصيّ ، ووصيّ محمّد (صلى الله عليه وسلّم) هو عليّ بن أبي طالب، وهذه العقيدة نجدها عند عامّة فرق الشيعة؛ والفاطميّون يفرّقون بين الوصاية والإمامة ، فلم يكن عليّ إماما من أئمّتهم بل وصيّ النبيّ (ص)،وكانت الإمامة بعده على الحسن بن عليّ ،وبعده في الحسين وعقبه (3) .

وقال الفاطميّون إنّ منزلة عليّ بن أبي طالب من النبيّ كمنزلة اللوح المحفوظ من القلم في عالم الأمر ،وقد ذكرنا أنّهم يعتقدون أنّ القلم أو السّابق،هو أقرب الحدود النورانيّة إلى الله تعالى ، وأنّ اللوح أو التّالي هو الحدّ (4) الذي يلي القلم فالقلم ممثول الناطق ، واللوح ممثول الوصيّ (5) ، وأوّلوا كثيرا من الآيات القرآنيّة التي تؤيّد هذا الزعم ، باعتبار أنّ هذه الدّعامة ، من أقوى دعائمهم التي لا يُقبل بدونها قول ولا عمل (6) .

---

(1) اختلف علماء هذا المذهب في ترتيب الولاية ، فالقاضي النعمان وضع الولاية في أوّل الدّعائم ، محدّثا عن الباقر أنّه قال " بني الإسلام على سبع دعائم ، الولاية هي أفضلها" . تأويل الدّعائم ،ج.1 ،ص.7-8 ؛بينما نجد جعفر بن منصور اليمن يرتّبها في آخر الدّعائم .أنظر : سرائر النطقاء ،ص.5 .

(2) القاضي النعمان : كتاب الهمّة ،ص.72 .

(3) مقدّمة كتاب : ديوان المؤيّد ، ص.73-74 . ويذكر محقّق الكتاب أنّ الإسماعيلية الأغاخانيّة اليوم لا يعتبرون الحسن بن عليّ إماما من أئمتهم ، ويذهبون إلى القول أنّه كان مستودعا لأخيه الحسين بن عليّ . نفس المرجع ص.74، هامش 2 .

(4) الحدود :في الاصطلاح الإسماعيلي ،هي مراتب الدعوة في نظامها الفكري .الكرماني :راحة العقل ص.132 139؛ كامل حسين : في أدب مصر الفاطميّة ، ص.19، 22.

(5) المثل والممثول : تستعمل نظرية المثل والممثول في التأويل الإسماعيلي ، فالظاهر هو المثل ، والباطن هو الممثول يقول المؤيّد الشيرازي : " جميع ماخلق الله سبحانه ، أمثالا وممثولات ".المجالس المؤيدية ،ج2 ،ص.54؛السجستاني : كتاب الإفتخار ،ص.398،397 ؛ محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطميّة ، دار الفكر العربي ،1970 ،ص.9، 10.

(6) القاضي النعمان : كتاب الهمّة ، تحقيق: محمّد كامل حسين ،دار الفكر العربي ،د.ت .ص.17 .

ج (3) ـ العقيدة الإسماعيليّة في الدّور المغربي :

وبعد هذا العرض المجمل لعقائد الإسماعيلية ، التي كانوا يدينون بها ، في مرحلة السّتر، يُلزمنا حدود البحث الزّماني والمكاني ، المتعلّق بالمغرب في أوائل القرن الثالث وبداية الرابع الهجري ،إلى النظر في اعتقاد الأئمّة في دور الظهور ،هل بقيت هذه العقائد دون تطوّر بعد قيام الدّولة الفاطميّة أم أن هناك فارقا بين المرحلتين ؟علما أنّ منظّريّ المذهب في مجال الاعتقاد أخذوا بالفلسفة وكانوا من خارج الدّولة[1]،ومنهم من لم يكن يُقرّ بشرعيّة الإمام الظاهر ،ويَذهبُ إلى رأي القرامطة [2] .

أمّا عقائد هذه الطائفة في أوائل دور الظهور ، أي بعد أن ظهر عبيد الله بالمغرب[3] فالوثائق التي تطلعنا على ذلك قليلة ، إلا ما كان من كتابات القاضي النعمان بن محمد ، وكتابات جعفر بن منصور اليمن ، اللَّذَين كانا على صلة قريبة من الأئمّة بالمغرب ، أمّـــا ما كتبه غيرهما ، من رجال الدّعوة الذين كانوا بالمشرق أمثال النخشبي،وأبي حاتم الرّازي والسّجستاني،فلا تنطبق على بيئة المغرب إذ كانوا في بيئة بعيدة،ولهذه البيئات معتقدات وآراء تختلف عن آراء ومعتقدات أهل المغرب[4].ورغم الاعتدال الظاهر للأئمّة وإنكارهم لقول من يقول بالباطن دون الظاهر،أو يُغالي في حقّهم ، إلاّ أنّ الصّلة بقيت قويّة بين معتقداتهم في هذا الدّور وبين بعض الغلاة ، ومعتقدات فرقة الإثنيّ عشريّة والزيديّة [5] .

---

(1) أشار إلى ذلك النعمان في رواية على لسان المعزّ ،في معرض استنكاره على بعض الدّعاة ،وهو دليل على التحرّر الفكريّ الذي ساد عند اسماعيليّة المشرق ، وتَجاوزهم لسلطة الإمام كمرجعيّة .أنظر : المجالس ،ص.408 .

(2) مثل الدّاعي" أبو يعقوب السجستاني " الذي كان يَنتظر ظهور القائم ،أي محمّد بن إسماعيل ،ويَعتبر الخلفاء الفاطميين كخلفاء القائم ، وهو المسؤول عن تعريف المذهب بالأفلاطونيّة المحدثة أنظر : مقدّمة كتاب الإفتخار ص.14-15-16.

(3)كانت عقائد الإسماعيليين الأوائل قد حظيت على يد الفاطميين بشيء من التغيير بغية وضعها موضع الاعتدال مقارنة بالغلوّ الذي طبع الفترة السابقة لقيام الدّولة .أنظر :محمد السّعيد جمال الدّين:المرجع السابق،ص.37-38 .

(4)بل اختلفت فعلا على نحو ما نرى أمثلته في كتاب "المجالس والمسايرات"،الذي ينص مثلا على أنّ بعض الدّعاة حكموا بأحكام وأصّلوا بعض الأصول وأضافوها إلى الأئمّة دون رضاهم وموافقتهم .أنظر: المجالس والمسايرات ، ص. 452،409 ؛وكالخلاف الذي كان بين أبي حاتم وبين النّخشبي،ثم ما كان من انتصارالسجستاني للنخشبي وما كان من محاولة الكرماني أن يوفّق بين هذه الآراء .

(5) أنظر : مقدّمة سيرة الأستاذ جوذر ،ص.18 .

حاول بعض الباحثين إثبات أنّ البربر عرفوا المبادئ الإسماعيلية الفلسفيّة، وأنّ أبا عبد الله الشيعي نشرها بينهم ،متّخذا شعر محمّد البديل دليلا على ذلك، إذ تضمّن معاني إسماعيلية قيلت في وصف الإمام عند دخوله مدينة رقّادة [1] ،بل وهناك من البربر من كان قَسَمُهم الدّال على غلوّهم قولهم: وحقِّ عالم الغيب والشهادة ، مولانا الذي برقّادة [2] .

أمّا الاسماعيليّون فيَذهبون إلى العكس من ذلك ،ويقرّرون أنّ أبا عبد الله الشيعي لم يُعلن قداسة الأئمّة وتأليههم وحلول روح الله فيهم ،وأنّه إنّما دعاهم إلى ظاهر علم الأئمّة[3] وكان غرضه إقامة نظام ديني سياسي على رأسه إمام من أولاد فاطمة ، وأنّ عبيد الله بعد ذلك أنكر الغلوّ وأعلن أنّه لم يَحكم بخلاف ما انزل الله . وقد سجن كلّ من نادى بالغلوّ وقد ذكر ابن عذارى أنّ الكثير من أتباع عبيد الله ، كانوا يَعبدونه عن يَقين ، وأنّ واحدا منهم كان يَصلّي إلى رقّادة أيام كون عبيد الله بها وهي منه في المغرب،فلمّا انتقل عبيد الله إلى المهديّة وهي بالمشرق صلّى إليها وكان يَقول : لَسْتُ ممن يعبد من لا يَرى [4]، و يقول لعبيد الله:ارق على السّماء ،كم تًقيم في الأرض وتَمشي في الأسواق،وكان يَقول القيرواني يقول في عبيد الله :إنّه يَعلم سرّكم ونجواكم [5].

لكنّ الفاطميين أعلنوا منذ اليوم الأوّل ،تَخلّيهم عن كلّ أفكار التأليه،ولا شكّ انّ هذه الأفكار لحقت بهم وهم في دور الاستتار [6] ، وما كان يُشاع عن القرامطة من غلوّ وكفر واعتداء على محام الله ،ممّا ألصق بهم تهمة الإلحاد .

---

(1)ممّا ورد في تلك الأبيات قوله :

حلّ برقّادة المسيـــح حلّ بها آدم ونــــــوح

حلّ بها الله ذو المعالي وكلّ شيء سواه ريح

عليّ سامي النشّار :نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،ط.8 ، دار المعارف ، القاهرة،ج.2 ،ص.372 .

(2) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ،ج.1 ،ص.160 .

(3) التزم أبو عبد الله طريقة أسلافه في الدّعوة برواية فضائل أهل البيت ،والحديث بظاهر علمهم دون باطنه .كما فعل الحلواني وأبو سفيان من قبله . القاضي النعمان: افتتاح الدّعوة ،ص.27 .

(4) ابن عذارى : نفس المصدر ،ج.1 ،ص.186 .

(5) نفسه .

(6) عليّ سامي النشار: نفس المرجع ،ص.373 .

ويَعود الفضل للفاطميين في ردّ عقيدة الغيبة [1]التي كانت تُعدّ من أُصول معتقدات الاسماعيليّة فردّت إلى الاعتدال ،وقالوا بتسلسل الأئمّة من بعد محمد بن إسماعيل حتّى عبيد الله وأطلقوا على الفترة بينهما (دور السّتر) ويَبدأ دور الظهور بعبيد الله المهديّ ، وتقتضي هذه العقيدة الجديدة ، بضرورة وجود إمام في كلّ زمان ، يَتلقّى عنه النّاس أحكام الشّرع،ويَتعلّمون منه أُمور دينهم[2] .

وعلى الرّغم من إقرار الأئمّة بأنّهم بَشَر ،يجري عليهم ما يَجري على غيرهم ،إلاّ أنّهم احتفظوا بالصّبغة القدسيّة فهم ، في نظر الأتباع ، ينظرون بنور الله ، ولهم فراسات صادقة واختبارات حقيقيّة [3] ، ولهذا المعنى ،كان مادحوهم من الشعراء يَرفعونهم إلى مرتبة تَفوق مرتبة البشر[4] فهم باختصار لا يَحتاجون إلى التّعلّم،لأنّهم يُحرزون العلم الإلهي الذي يَنتقل من إمام إلى إمام بفضل الله ، والمؤهّلون لتأويل الذّكر الحكيم تأويلا صحيحا ، لتمتّعهم بالعصمة [5].

---

(1) وهي اعتقادهم أنّ محمّد بن إسماعيل لم يَمت وسَيَرجع . محمد السّعيد جمال الدّين : المرجع السابق، ص.38 .

(2) لذلك سُمّوا بـــ" التعليميّة " أنظر : الغزالي : فضائح الباطنيّة ،ص .25 .

(3) العزيزي الجوذري:سيرة الأستاذ جوذر ،ص.34 .

(4)يَذكر القاضي النعمان عن المعزّ ،أنّه يَعتبر نفسه إنسانا كسائر الناس ،ولذلك فهو يَتبرّأ مما يُنسب إليه من ادّعاء النبوّة . المجالس والمسايرات ،ص.415 . ويُبرّر محمّد كامل حسين إجازة مدحه بما يَليق بالذّات الإلهيّة ، بأنّه يَتّفق مع عقائد الفاطميين في التّوحيد ،من مثل قول ابن هانئ :

ماشئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم أنت الواحد القهار

فالاسماعيليّون كما مرّ علينا ، يَنفون الصّفات عن الله تعالى ، وما ورد منها في القرآن فهي أسماء وصفات للعقل الكلّي الذي هو أقرب الحدود الرّوحانيّة إلى الله ،ويُقابله في الحُدود الجسمانيّة النبيّ ، ولّما كان الإمام هو خليفة النبيّ والقائم مقامه ، فتنطبق هذه الصّفات التي هي أسماء وصفات العقل الكلّي على الإمام .أنظر مقدّمة كتاب : الهمّة في آداب اتّباع الأئمّة ،ص.26 .

(5) العصمة :مَلكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها ،وهي من شروط الرسالة والإمامة عند الشيعة الإسماعيليّة والإماميّة . الكرماني : مصابيح في إثبات الإمامة ،تحقيق: مصطفى غالب ،ط.1،دار المنتظر ، بيروت ،1996، ص.98 ،99 ؛ الجرجاني :التعريفات ،ص.156 .

الفصل الثاني :

دور الحكّام الفاطميين في تأسيس المراكز العلميّة الرئيسيّة وَدُورِ العلم .

أ ــ العوامل المؤثّرة في الحياة الفكريّة في العهد الفاطمي .

ب ــ المراكز العلميّة الشيعيّة :

ب(1) رقّأدة

ب(2)المهديّة

ب(3) صبرة المنصوريّة

ب(4)المحمّديّة (المسيلة)

ج ــ دور الحكّام الفاطميين في نشاط المراكز الشيعيّة .

د ــ موقف الحكّام الفاطميين من نشاط مراكز الفكر السنّي .

هــ دُورُ العلم في العهد الفاطمي .

هــ(1)المساجد في العهد الفاطمي

هــ(2)قُصور الحكّام الفاطميين

هــ(3)نشاط بيت الحكمة .

أ‌ــ العوامل المؤثّرة على الحياة الفكريّة في العهد الفاطمي :

إن البـــاحثين يربطون بين المشروع الديني الباطني والضعف العام الذي ساد العالم الإسلامي سنّيه وشيعيّه [1] ، أي أنهم يعتبرون الحركة الإسماعيليّة عملية تطويق من المغرب للمذهب السنّي والإمامي الإثنيّ عشريّ،استكمالاً للدور الذي يقوم به قرامطة البحرين [2]،ودعاة بلاد فارس شرقاً[3] وبالتالي فإن دخول الدّاعي"أبوعبد الله الشيعي" ثمّ مَقْدَم الإمام "عبيد الله" وكَشْفِ ستره بالظهور علنا في بلاد المغرب ، كان إيذانا بفصل جديد من تاريخ الدّعوة ، وتاريخ بلاد المغرب أيضا .

إننا نقبل مثل هذه الطروحات لكنها مع ذلك تظل محدودة ، ما لم نفهم العوامل المؤثّرة التي ساهمت في مدّ الحياة الفكريّة بأسباب الوجود والاستمرار،أو بمعنى آخر ما لم نفهم صلة الفاطميين بمحيطهم الجديد (المغرب) والقديم (المشرق)،فشبكة الدّعاة المنتشرين في مختلف الجزر كانت تتماهى في محيطها ، تماشيا مع طبيعة الفكر الباطني ، ولكن ضرورات المرحلة الجديدة التي كلّلت بالنجاح في إقامة كيان سياسي،أعطى النشاط الفكري طابعه الظاهري،فكان الإمام" الظاهر" يتّخذ المواقف ويُصدر الأحكام،ويتّخذ السياسات،تحت طائلة مجموعة من العوامل المؤثّرة ،سياسيا واجتماعيا وحتّى عقائديّا ،ممّا أعطى لدور الظهور صبغة جديدة تختلف عنها المرحلة السابقة والتي جاءت من بعد من تاريخ هذا الفكر الباطني .

ولمواجهة الخصوم " السنّة المالكيّة" ،المتمسّكين بتعاليم الإمام مالك ، وما جاء في المدوّنة تسلّح الفـــاطميّون بموروث فكري غنوصي و مانوي وآراء الملل والنحل المختلفة ، ولكنّ غزواتهم في بلاد المغرب لم تكن فكـــريّة بل سياسيّة ، حيث نجحوا بفضل تركيزهم على الجانب التنظيمي السياسي ، واكتفائهم على مستوى الأفكار بنشر فكـــرة المـــهدوية ، بغية جمع الولاء القبلي البربري حول فكرتهم المحوريّة وهي الدفاع عن حق آل البيت (المزعومة) ، و لم يحاولوا نشر آراء

---

(1) أنظر :حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ، عبيد الله المهدي ،ص.305-306 .

(2) عن تاريخ القرامطة أنظر:سهيل زكار ،الجامع في أخبار القرامطة،ط.3،دار حسّان للطباعة والنشر،دمشق ،1987 ميكال دي خويه ،القرامطة ،تح.حسني زينة ،ط.1 ،دار ابن خلدون ،بيروت ،1978 ؛عارف تامر : القرامطة بين الإلتزام والإنكار ، ط.1 ،دار الطليعة الجديدة ، دمشق ،1996 .

(3) عن دعاة الإسماعيليّة في بلاد فارس أنظر : محمد السعيد جمال الدّين ،دولة الإسماعيليّة في إيران ،ص.46-47 وما بعدها من عدّة صفحات .

الإسماعيلية ، في مستوياتها الباطنية ،في نفس المحيط البربري بين مجموعات لا تستطيع تقبل واستيعاب الأفكار الباطنية المعقدة إلا إذا تبلورت في شعارات تحرك العواطف ، ومن هنا فإن طبيعة الحقل الذي واجهته كل الدعوات ضمن الإطار الإسلامي ، ونوعية الخصوم كانت هي العوامل الأساسية التي بلورت نوعية الخطاب الفكري الذي استلزمته كل دعوة وحركة .

شجّع عامل الصّراعات العقائديّة والفتن،على إيجاد جوّ علمي ،من التساجل والجدال كمجالس الجدل ،والمؤلّفات الشيعيّة والسنّية الكثيرة،فأفرز مادّة ثقافيّة غزيرة ،كما سنراه مع القاضي النعمان وجعفر بن منصور اليمن،كما أنّ هذا العامل كان له دور في تكوين حالات التأزّم التي كثيرا تُفجّر الخلق الأدبي والشعري أو الإنتاج الثقافي عامّة [(1)] .

ولعلّ هذا راجع للمستوى الفكري للمغاربة ، قبل وصول الفاطميين ، لا سيما بالنسبة للقبائل الكتاميّة والصنهاجيّة ،مع ملاحظة أنّ المغاربة اعتنقوا الإسلام منذ ثلاث قرون،ولا بدّ أنّ مستواهم قد بلغ درجة معيّنة [(2)] تَسمح لهم بالكتابة والتأليف والمناظرات السياسية ، فكان من الضروري الاطّلاع على مدى استيعاب المغاربة لمفهوم الفكر ، ومدى ارتباط أهل المغرب بالدّراسات الدّينيّة الإسلامية [(3)] ؛فالمثقّف وجد نفسه في هذا المحيط المذهبي الخاصّ الذي يمتاز بالثراء والتنوّع من جهة والعداء والمواجهة من جهة أخرى ، فتأثّر بكلّ ذلك فلا يُمكننا دراسة الحياة الفكريّة الخاصّة في العهد الفاطمي ،أو التعرّف على ملامح المثقّف والأديب في هذا العصر ، أو دراسة أدبه بدون الأخذ بعين الاعتبار هذه المؤثّرات ، ودون وضع المثقّف والأديب في إطار النشاط الذي نشط فيه وأبدع [(4)] .

---

(1) نشيدة رافعي : الحياة الفكريّة والثقافيّة في المغرب في العصر الفاطمي 296 - 362هـــ ،رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط،قسم التاريخ بكلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ، جامعة الجزائر،2002- 2003 م ص.346 .

(2) خاصة في العهد الأغلبي حيث كانت الحياة الثقافيّة والأدبيّة مزدهرة .

(3) نشيدة رافعي :نفس المرجع ، ص.320-321 .

(4) محمد النيفر : الحياة الأدبيّة بإفريقية في العصر الفاطمي بالمغرب ،296-362هـــ ،تونس ،1992،ص.405 -406 على الرغم من التأكيد على أهميّة الصراع الفكريّ الذي طبع الساحة الثقافيّة والعلميّة على العهد الفاطمي،وعدم استعداد خصوم الشيعة (من سنّة مالكيّة وإباضيّة) التنازل عن أنساقهم الفكريّة لصالح الفكر الدّخيل ،والغريب عن البيئة المغربيّة إلاّ أنّ المحفّز تَشكّل داخل دارة الصراع (السنّي الشيعي) مع الإشارة إلى أنّ فترة وجود الفاطميين في المغرب،لم تكن كلّها فترة صراع ومواجهة وخاصّة مع اتّجاه الفاطميين بأنظارهم إلى بلاد المشرق .

ولا شكّ أنّ قيام خلافتين متجاورتين على أُسس مذهبيّة مختلفة ، كان من شانه أن يُحدث صداما بينهما،وهذا ما حدث بالفعل لخلافتي المغرب والأندلس[1]وقد يَبدوا هذا الصّراع في ظاهره سياسيا ، ولكنّه كان في حقيقته صراعا فكريّا بين السنّة والشيعة . فكان إذن للأندلس تأثيرها في الفكر المغربي؛كما كانت هناك هجرات للعلماء والفقهاء إلى الأندلس بعد دُخول الفاطميين هروبا من الاضطهاد الفكريّ،فكان تَشجيع أهل الأندلس للمغاربة يُفسّر على أنّه مجابهة فكريّةبين القوّتين السياسيتين . ويَبقى أهمّ حدث تاريخي عاشته بلاد المغرب في العهد الفاطمي،هو تحوّلها من ولاية إلى مركز خلافة ، تضاهي الخلافتين العباسيّة والأمويّة[2] ولها في مجال الحُكم طموح واسع ، إذ تحمل في فلسفتها السياسية والحضاريّة مبدأ التوسع والهيمنة ، وقد امتدّت دولتهم شرقا وغربا .

ويمكن أن نُحدّد إجمالا القواعد الثابتة لنشاط الفكر الفاطمي فيما يلي :

أ- تعظيم الإمامة (حسب المعتقد الإسماعيلي) في نفوس الناس[3]وذلك بإلباسها صفة الإجلال والتعظيم ، والتقديس ، وادِّعاء العصمة ، وعلم الغيب ، والإلوهية أحيانا .

ب- اتصال حرية الرأي بمزاج الخليفة،وبمنهج التفكير الذي يُبيحه الاعتقاد الإسماعيلي نفسه إذ لا يُمانع من إظهار الموافقة للرأي المُخالف وذلك وفق مبدأ التقيّة .

ج- حصر حريّة التفكير داخل دائرة المذهب ، فمجال الاجتهاد واسع جدّا ضمن تعدّد المعاني التي تستبطنُها النصوص والروايات[5] ،فالفكر الباطني يتميّز بالمرونة .

د- التوسع في بناء الحواضر العلمية تأسيا بالعباسيين والأمويين ،فدور الظّهور أعطى لدار الهجرة أبعادا جديدة ساهم الإمام (الحاكم) في تحويلها إلى أقطاب فكريّة .

---

(1) حول مطامع المهديّ في الأندلس أنظر: الدّشراوي : الخلافة الفاطميّة ، ص.205 -206 -207 .

(2) رافعي : المرجع السابق ، ص.314.

(3) وقدّ مرّ علينا مكانة الإمام في منظومة المعتقد الإسماعيلي في الفصل ألأوّل .

(4) وهو معنى التأويل عندهم ،وهو من أهمّ العلوم عند الإسماعيليّة .أنظر : القاضي النعمان :أساس التأويل تحقيق: عارف تامر،منشورات دار الثقافة،بيروت،د.ت،ص.28 ،32 ؛كامل حسين:في أدب مصر الفاطميّة،ص.18،7 .

(5)دار الهجرة : مجمع للأتباع والأنصار وقواعد دعويّة عند الاسماعيليّة ، تُفرض الهجرة إليها ،وهي مناطق معزولة وتحمل الصفة المؤقّتة ، واستيطانها خالص للأتباع ، مثل تازروت وإيكجان .أنظر بوبة مجاني :الدّعوة الاسماعيليّة والعمران ، ضمن كتاب :من قضايا التاريخ الفاطمي ، ص.154 -155 وما بعدها .

ب ــ المراكز العلميّة الشيعيّة .

ينبغي أن نولي اهتماما خاصّا ، في إطار استعراضنا للحوادث التاريخيّة والحضاريّة العامّة التي ميّزت بلاد المغرب عن غيرها من البلدان التي اجتاحها التشيّع ، لتلك الظاهرة العمرانيّة الهامّة : ظاهرة المدن ، وإذا استعرنا مصطلح ابن خلدون ، أمكن القول بصورة عامّة ، أنّ المدن والأمصار بإفريقيّة والمغرب قليلة ، إذ كان العمران السائد فيها حين الفتح الإسلامي هو العمران البدويّ(1).

والواقع أنّ جلّ المدن التي كان لها شأن في الإسلام قد ارتبطت بالدّولة العربيّة الإسلاميّة في وجودها ونشأتها أو على الأقلّ في ازدهار نموّها،وهكذا فسواء كانت هذه المدن سابقة في وجودها للإسلام أو كانت ممّا خطّه العرب وشيّدوه حين الفتح الإسلامي ، فإنّ الطابع الحضاري ، والدّور الفكريّ الذي قامت به هذه المدن في التاريخ،إنّما تدين بهما للدولة العربيّة الإسلاميّة سواء كانت دولة خلافة ، أو دول مستقلّة عن هذه الأخيرة ، أو مرتبطة بها نوعا من الارتباط،ذلك أنّ العمران والحضارة بمختلف مظاهرهما كانا ينتقلان من مدينة إلى أخرى بانتقال عاصمة الدّولة .

وهكذا فباستثناء القيروان التي بقيت تحتفظ بطابعها الخاص،كمركز ديني ،فإنّ المدن المستحدثة بعد ذلك ، إنّما تطوّر عمرانها ، عندما أخذت تكتسي طابع – العاصمة - للدولة الإسلاميّة ، أمّا المراكز العمرانيّة التي لم تقم فيها دولة فقد بقيت هامشيّة ذات طابع بدويّ في الغالب ، وهو ما يشهد أنّ المدينة الإسلاميّة استمدّت مكانتها العلمية،كحاضرة،من واقعها السياسي،لذلك شكّلت مركزا للثقافة والعلوم ؛ ومادامت الحياة العلمية وخصوصا النواحي الأدبية منها ، كانت تسير في ركاب الأمراء والحكّام ، أينما ساروا ، وحيثما حلّوا فمسيرة الحياة العلميّة كانت تزهو وتتقدّم غالبا في ظلّ الأمراء والحكّام الذين يشجّعون العلم والعلماء والأدب والأدباء .

---

(1) المقدّمة ،ص.281 ؛وكانت هناك قبل الفتح الإسلامي مراكز حضاريّة قديمة في بلاد المغرب ،لكن هذه المراكز على كثرتها كانت باعتبار ضآلة حجمها من جهة واتّساع رقعة الأقاليم الذي توجد فيه من جهة أخرى ،أبعد ما تكون من أن تطبع محيطها بطابع حضريّ ،بل لقد كان المحيط –أعني الباديّة- مهيمنا ، وقد ظلّ ذلك الأمر=

ونكتفي بالإشارة في هذا الصّدد إلى أنّ القوى الحاسمة في التراعات السياسية والحروب التي عرفها المجتمع المغربي ،كانت دائما قوى بدويّة[1]،أمّا الأمصار فلم يكن لهـــا وزن سياسي حاسم. لذلك كانت غزوات الفاطميين وتوسّعاتهم على حساب قبائل ذات عمران بدويّ ،أمّا المدن التي دخلها الفاطميّون وهي معـــاقل المقاومة الفكريّة بعد ذلك ، فلم تُشكّل قاعدة استقرار للفكر الإسماعيلي الدّخيل، إذ حافظ كثير من سُكّان تلك المدن على مرجعياتهم الفكريّة التي كانوا عليها قبل الفاطميين [2] ، مما ميّز عمران شيعة الفاطميين عن عمران أهل السنّة وغيرهم ، إذ لم يستطع أتباع المذهب الجديد ، التكيّف مع المجتمع السنّي فشكّلوا بمرور الوقت ، طبقة تحكم بعصبيّة دينيّة مذهبيّة ، كما نزحوا إلى مدن جديدة بقيت بمدلولاتها المذهبيّة تُعبّر عن الصّفة المؤقّتة لعمارتها ، إذ بقيت توصف دارا للهجرة [3].

وتُسمّى المصادر الشيعيّة المذهبيّة ، القرى أو المدن في بعض الأقاليم التي كان يُتوقّع أن تظهر فيها ومنها الدّولة ، والتي أُتّخذت في ذات الوقت مستقرّا لمسؤولي الدّعوة في الفترة السرّية بـــ **" دار الهجرة"** [4] ،وقد نالت شهرتها من دورها المذهبي ،لأنّ هذا الصنف من العمران أو المدن يَنفرد به المذهب الشيعي دون غيره من المذاهب .

= بعد استقرار الإسلام . محمد علي الجابري : التراث والحداثة ،ط.1، مركز دراسات الوحدة العربيّة ،بيروت ، 1991، ص.177 .

(1) وخير مثال على ذلك قبائل كتامة البربريّة في نصرتها للدّعوة الإسماعيلية والتعصّب لها كما مرّ علينا آنفا.

(2) ولعلّ هذا ما جعل المعزّ يذكر فساد أحوال الناس وما يُحاوله من إصلاح أحوالهم ، وما يناله من صعوبة في سياستهم . القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.507 .

(3)يُحاول الاسماعيليّون تشبيه مراحل دعوتهم ،بمراحل دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،ومنها اتّخاذه المدينة دارا للهجرة ، وقد استنّها للإسماعيليّة محمّد بن إسماعيل ، حين فرّ من المدينة متّخذا دار هجرة في فارس ، ثمّ الدّعاة جميعا في مختلف عهود الأئمّة المستورين . سامي النشّار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج.2 ، ص .370-371 .

(4) كان الاسماعيليّون يعتقدون أنّ بلاد اليمن هي الأرض الصّالحة لإقامة دعوتهم ،فيقولون :"البيت يماني والركن يماني والدّين يماني والكعبة يمانيّة ،ولن يقوم هذا الدّين ويظهر أمره إلاّ من قبل اليمن " النعمان : افتتاح الدّعوة،ص. 8 .

اختلفت دار الهجرة في مرحلة الدّعوة عنها في مرحلة الدّولة ، لأنّ دار الهجرة في هذه المرحلة الأخيرة كانت هي عاصمة الدّولة ، ونوع العمران وحجمه يختلف كلّيا عنه في مرحلة الدّعوة وظهورها بين حواضر العباسيين في المشرق والأمويين في الأندلس ، ألزمها بالقيام بدور تنافسي وخاصّة على عهد المعزّ ، أين عرفت الدّولة مرحلة ازدهارها .

ولّما كانت دُورُ الهجرة قد أُنشأت ابتداءا ، مستقرّا للأتباع فقط ،أي للخصوص من الأشياع ، وبالتالي ،انحصار دورها في الوظيفة الدّعويّة والعسكريّة،فإنّ عبيد الله خليفة الفاطميين الأوّل نزح عنها سنة 297هـ/909م إلى أسباب الترف والدّعة، إلى عاصمة الأغالبة "رقّادة "،حيث القصور المشيّدة،وعزّة المُلك[1]،ممّا يجعلنا نطبّق النظريّة الخلدونيّة على النشاط العمراني للأئمّة في مرحلة ما بعد التأسيس [2] .

وعلى ضوء ما سبق ، تبدو أهميّة المراكز العمرانيّة ، والتي احتضنت مجتمعا جديدا تمّ بناؤه على أُسس مذهبيّة واجتماعيّة واقتصاديّة جديدة ، وأثبت الحكّام الجدد للمغرب ، بأنّهم من طراز الشخصيّات المؤسِّسة للحواضر ، والدّاعمين لتوسيعها ، تأسّيا بالدّولة العبّاسيّة ،كما دعوا الأتباع إلى الهجرة إليها ،لتتحوّل إلى قواعد للفكر .

إنّ طبيعة الفكر الإسماعيلي الذي عاش حالة من الخصومة في المغرب ، لم يغفل عن أهميّة المراكز العمرانيّة في استقطاب النخب الموالية له ، وإزاحة النخب المعارضة ، فاتّخذ الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربه السياسية والدّينيّة،وخير مثال على ذلك،ما نقرؤه من آثار علميّة ، والتي خلفها دعاة الإسماعيلية ، وكان للجدل والنقاش الذي قام بينهم وبين العلماء السّنّيين ،أثر بعيد في هذه النهضة الذي تميّز بها عصر الفاطميين [3].

ونشير في هذا التقديم ، بأنّنا اقتصرنا على المراكز العلميّة التي سادها نشاط فكريّ ساهم فيه الحكّام الفاطميّون ، ودعّموا حركته ، ضمن الإطار الشيعي الإسماعيلي .

---

(1) كانت هذه السياسة من أسباب خلافه مع الدّاعي أبي عبد الله الشيعي الذي أخذ أتباعه بالشدّة والتقشّف .بوبة مجّاني :المرجع السابق ،ص.148 .

(2)المدن حسب النظريّة الخلدونيّة "قرار تتّخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ،فتؤثّر الدّعة والسكون ،وتتوجّه إلى اتّخاذ المنازل للقرار .." .ابن خلدون : المقدّمة ،ص.39 .

(3)حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدّولة الفاطميّة ،ص.422 .

ب(1) مدينة رقّـــــــــادة [1] :

عاصمة الفاطميين الأولى بإفريقية،اتّخذها عبيد الله دار ملكه في ربيع الأول من سنة297هـــ[2] وبقيت فاطميّة اثني عشر سنة إلى انتقال المهدي سنة 308 هــ إلى عاصمة ملكه الجديدة "المهديّة"

وتتفق المصادر التاريخيّة أنّ رقّادة كانت دار الملك لبني الأغلب[3]، منذ أن أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة 263هـــ[4] ، وانتقل إليها فور انتهاء بنيانها عام 264هـــ[5]،واستتبع ذلك بالضرورة انتقال الدّوائر والدّواوين الحكومية ، وقصدها الناس من كلّ حدب وصوب ، فعظم شانها وعلا صيتها ،وبقيت عاصمة للدولة الأغلبية حتى سقوطها عام 296هـــ .كما تشير المصادر أنّ مدينة رقّادة شهدت طيلة بني الأغلب بها ، نشاطا علميا فلسفيا وازدهارا أدبيا ثقافيا ، ورثه الفاطميون عند انتصابهم بها ، وتواصل إشعاع رقّادة الأدبي والثقافي في العصر الفاطميّ،رغم أنّها لم تبق عاصمة أكثر من اثنتي عشر سنة وتنقل النصوص التاريخية أنّ المهديّ لم يستقرّ له أمرحكم بإفريقية و لم يبق في رقّادة أكثر من أربع سنوات ، حتى بدأ التفكير في عاصمة جديدة لدولته ، تكون على ساحل البحر بعيدة عن مراكز القوى المضادة [6].

ويشير البعض أنّ رقّادة ،بالنسبة إلى الدولة الجديدة ،لم تكن سوى عاصمة " ظرفية " مصطنعة وقد كان يمكن لهذه الصّفة الظرفية من أن تحدّ من عملية الإنشاء والتعمير ، لكنّها لم توقف عملية الإشعاع الحضاري ، بل عـــرفت طيلة الفترة الفاطميّة ، حركية ونشاط عظيمين،مهدا لهذه المدينة أن تكون مركزا من مراكز الأدبية في العصر الفاطميّ،بل هي من أهم المراكز على الإطلاق .

---

(1)تقع جنوب مدينة القيروان ، تبعد عنها حوالي 6كلم ، بينها وبين القيروان 4 أميال ، حسب البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،د.ت ،ص. 27.

(2)القاضي النعمان : افتتاح الدّعوة ،ص.300.

(3)هذه تسمية جاءت في كل المصادر .

(4)ح.ح عبد الوهاب:خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب ،تونس ، 1994 ص.87 .

(5) ابن خلّكان ،وفيات الأعيان ، ج3،ص.119 ؛ سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب العربي ،ص.117 .

(6) التجاني : الرحلة ، تقديم:حسن حسني عبد الوهاب ، تونس، 1958 ، ص.320-321 .

وتبين النصوص التاريخية أن المظهر الأول لهذا الإشعاع الفكري ،كان علميا فقهيا عقائديا ترعرع ونما بـــ" بيت الحكمة " الذي ورثه الحكّامُ الفاطميّون من الأغالبة [1]، ومن فضل تلك المؤسسة التي أنشئت اقتداءا بمثيلتها العبّاسيّة،أنّها جعلت من تلك المدينة مركزا ثقافيّا ، ازدهرت فيها العلوم الرياضيّة حول الأمير الأغلبي [2] الـــذي كان مولعا بالكتب، والرّاعي للآداب والعلوم كما كان حريصا على استقدام الأدباء والعلماء البغداديين[3] ، ومولعا بعلم التّنجيم والفلك .

ومن بين العلماء البارزين الذين كانوا يتردّدون على بيت الحكمة أواخر العهد الأغلبي وقد دخل البعض منهم في خدمة الدّولة الفاطميّة،نذكر العالم الريّاضي والشاعر والفقيه: أبا اليسر إبراهيم بن محمّد الشيباني البغدادي [4] ،ومن علماء الأدب: أبا جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي[5] ومحمد بن محمد بن فرج البغدادي [6]ومن الفلاسفة أبا بكر بن القمودي [7] .

وتشير النصوص التاريخيّة ،أن بلاط رقادة في عهد المهدي تنافس فيه كثير من الشعراء، تباروا في مدح الإمام ، وآل البيت وتغنّوا بخصاله وكانوا دعاة للسياسة الفاطميّة ، وذكروا من بينهم : سعدون الورجيني ، وابن الصّقيل والبديل ، وخليل بن إسحاق[8]،وقد كانوا شعراء رسميين للدولة الإسماعيلية قارين ملازمين للبلاط،يتقاضون جرايات قارّة،تسند إليهم شهريا أو سنويا.

---

(1)أسسها في رقاده إبراهيم بن أحمد سنة بعد تأسيس رقّادة 264هـــ/878م،الدشراوي :الخلافة الفاطميّة ص.54 ؛ ح.ح.عبد الوهّاب : مجمل تاريخ تونس ، ص.88 .

(2) الدشراوي :نفس المرجع ،ص.54.

(3) حول النهضة العلميّة في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي أنظر:ممدوح حسين :إفريقيّة في عهد إبراهيم الثاني ص.65، 96 .

(4) أنظر : الافتتاح ،ص.69.وسنورد للشّيباني ترجمة وافيّة في الفصل اللاحق .

(5) أنظر :العزيزي ،سيرة الأستاذ جوذر ،ص.184 ؛ ابن عذارى:البيان المغرب ،ج.1 ،ص.162 .

(6) ابن عذارى:نفس المصدر،ج.1 ،ص.136 .

(7) ح.ح.عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقية التونسية ، ج.1 ،1965 ،ج.1 ،ص.251-252.

(8) سنورد في باب الشعر تراجم وأمثلة عن هؤلاء الشعراء .

ب- (2) مدينة المهـــــــــــدّية[1] :

من مراكز الإشعاع الفكري في العصر الفاطمي مدينة المهديّة ، عاصمة الخلافة الفاطميّة وقاعدة ملك المهدي والقائم الخليفتين الأوليين . بناها عبيد الله سنة 303هـــ ، وقد سمّيت بالمهديّة نسبة إليه[2] ،وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع على رأس بارز من البحر (كهيئة كفّ متّصل بزند والبحر محيط بها) وهي إلى الشّرق من مدينة سوسة ، وتبعد عن القيروان بمرحلتين [3] وهو ما يبيّن مدى نمو العمران في هذه الناحية .

يعزو كثير من المؤرخين بنائها إلى عدّة أسباب ، لعلّ أبرزها شعور عبيـــد الله بعدم القبول في القيروان ورقّادة،نظرا لجوّ العداء الذي كان محتدما بين السنّة والشيعة ،حيث لم يقتصر الخوف من السُنَّة على الانتقال من القيروان ، وبناء المهديّة ، بل تعدّاه إلى أن يفكّر في بناء بلدة صغيرة على بعد رمية سهم فقط عن المهديّة[4] ، تكون فقط لمصالح الناس التجارية ، فيما تكون سكناهم في المهديّة وقد سمّيت هذه البلدة: الزويلة [5] .

أمّا وصْفُ المدينة الملكيّة من الداخل : فقد اشتملت كما هي العادة في بناء المدن العربيّة الإسلاميّة على نواة مركزية تتكوّن من قصر الإمام المهديّ ، وله باب غربي ، وبجواره قصر وليّ العهد وله باب شرقيّ ، وبينهما رحبة فسيحة على ساحل البحر ، في موضع مردوم فيه .

---

(1) تقع على ساحل القطر الإفريقي ، في الجنوب الشّرقي من مدينة تونس ، تبعد عنها حوالي 200كلم ، وفي شرق القيروان ، بناها الخليفة عبيد الله وسكنها سنة 308هــ ، ويعود سبب انتقاله إليها ، انّ رقّادة كانت قريبة من القيروان ، عاصمة أهل السّنّة ، ومعقل المعارضة القويّ للمذهب الشيعي ، أنظر : ابن عذاري ،البيان ص. 184 ؛ القاضي النعمان ، أفتتاح الدّعوة ، ص.327-328 ؛ البكري ، المُغرب ، ص. 29-30.

(2) ابن حوقل ،صورة الأرض،ص.73 ؛ابن حماد،المصدر نفسه ،ص.41-43 ؛حسن حسني عبد الوهاب،خلاصة تاريخ تونس ،ص.97

(3) نفسه،ص.73؛البكري ،نفس المصدر ،ص.29.

(4) كان سكّان يعانون عنتا شديدا من هذا التدبير ، وعندما قيل للخليفة : إنّ رعيّتك في عناء من هذا ، قال : لكن أنا في راحة لأني بالليل أفرّق بينهم وبين أموالهم،وبالنهار أفرّق بينهم وبين أهاليهم ،فآمن غائلتهم .انظر: ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج3 ، ص. 160.

(5)وقد يقال لها زويلة المهديّة . أنظر : ياقوت ، نفس المصدر السّابق ،ج3،ص.160 ؛ح.ح. عبد الوهاب ، نفس المرجع،ص 98 .

وعلى مقربة منها غربا المسجد الجامع[1] ، وما يفسّر عظمة البناء وحسن تنظيمه ، أنّه تمّ بإشراف من المهديّ[2] .وسرعان ما زهت المهديّة بالدّور والقصور والتي كانت موضع تقريظ ابن حوقل بعد ذلك بقليل ، لحسنها ونظافتها[3] .

أراد المهديّ أن تحلّ المدينة الجديدة محلّ رقّادة،وأن تكون قلعة حصينة محصورة في نطاقها الضيّق داخل أسوارها ،يلجأ إليها في الأزمات،فهي لم تكن يوما تعج بالسكان ، أما جمهرة الأهالي فقد استقروا بأنشطتهم الإقتصادية في ربض الزويلة[4] .

وهكذا انتقل مركز الحكم من رقّادة والقيروان ،حيث ذكريات الخصوم المؤرّقة من الأغالبة إلى المهديّة وزويلة ، حيث مقام الإمام ،الذي أصبح محط أنظار المريدين من الأولياء والأنصار ورجال الدّولة ،من أهل الحاشية وكبار القوّاد وأمراء الأقاليم ، الذين كانوا يترددون على الحاضرة طلبا للشفاعة والبركة ، أو طمعا في المكافأة والوظيفة،وكانت المهديّة في نظر هؤلاء أشبه بالحرم المكّي ،حسبما عبّر عنه بعض الشعراء في تلك المناسبة [5] .

إلا أن الخليفة المنصور (334 ــ341هــ / 946 ــ953م) تخلى عن المهدية التي فقدت مترلتها كعاصمة ،واستقر في أواخر صفر من سنة 337هــ/سبتمبر 948م بقاعدته الجديدة "المنصورية"التي أقامها بجوار القيروان،في نفس المكان الذي انتصر فيه على أبي يزيد [6]

---

(1) ذكر لنا البكري مسجدها الجامع فقال : والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنه " . أنظر: المصدر السابق ، ص.30 ؛ أنظر أيضا تفصيل شكل ومعمار المسجد : عبد الله كامل موسى عبده : الفاطميون وآثارهم المعماريّة في إفريقية ومصر واليمن ،صص.39-40-41-42.

(2) القاضي النعمان : إفتتاح الدّعوة ، ص.327.

(3) صورة الأرض ، ص.73 .

(4)كان لهذا الربض سور بسيط استحدث لمواجهة الحصار أيّام حرب أبي يزيد الخارجي ، و لم ينفع هذا السّور البسيط في صدّ أصحاب أبي يزيد .أنظر :ابن الأثير ،حوادث 333هــ ،ص .ثمّ أراد المعزّ بعد إنهاء الحرب الاحتياط لمثل هذه الأزمات فأمر ببناء السور على نحو جديد .أنظر :سيرة الأستاذ جوذر ،ص.112 .

(5) من ذلك ما قاله بعض شعراء أفريقية وقتئذ ،من قصيدة أنشدها بمناسبة نزول عبيد الله ، ومنها

لقد عظمت بأرض الغرب دار لها الصّلوات تقبل والصّيام .

أنظر: ابن عذارى : المصدر السابق ،ص.184 .

(6)فرحات الدشراوي : الدولة الفاطمية بالمغرب ، ص217.

ورغم كونها عاصمة ظرفيّة قصيرة العمر[1] إلا أنّها مثّلت مركزا مهمّا من مراكز الثقافة والعلوم في إفريقية في الفترة موضع اهتمامنا فهي أوّلا : عاصمة سياسية وإداريّة محدثة وهذا الأمر رسم لها بالضرورة دورا علميا وثقافيا واضحا ، تأسيسا على ما سلف ذكره من حتميّة الدّور الثقافي للعواصم السياسية المحدثة،وبالتالي فقد أصبحت مركز جذب كبيرللعلماء والأدباء والأطبّاء وغيرهم سواء من الذين ساروا في كنف الدّولة الفاطميّة طواعية أو الذين اضطرهم الظروف لسكنى المهديّة من أهل السنّة[2].وتذكر الكتب بعض الشعراء الذين حاموا حول مؤسسها،يمدحونه ويمدحونها[3] فذكروا في بلاط المهدي : محمد البديل وابن حيّوس الفاسي ، وابن الصّقيل ، أمّا في بلاط القائم فجاءت أسماء :خليل بن اسحاق وعليّ الإيادي وأيّوب بن إبراهيم[4]وكثير من شعراء المهديّة [5] .

كان هؤلاء الأدباء والشعراء يجدون فيها حياة الرغد والنعيم ،فانتعشت مجالس الأدب والأنس وشاعت أجواء ثقافيّة وأدبية متنوّعة ، يُنشّطها ويديرها من يوجد في المدينة من عناصر أعجميّة من روم وصقالبة ونصارى ويهود ، ثمّ إنّ وجودها في محيط بشري وثقافي وعلمي وأدبي اتّسم بالنشاط والحركة جعلها تستنفد مما فيها من أدب وعلم وثقافة[6] . وبالإضافة إلى هذا ، غدت المهديّة ساحة يحتدم فيها الجدل المذهبي بين دعاة الشيعة وبين علماء المالكيّة،فشهدت المدينة في ذلك الوقت المبكّر من عمرها ، شيوع تلك المناظرات والمساجلات العلميّة ،بين ممثّلي الأقليّة الشيعيّة من الدّعاة [7] .

---

(1)انتقل المهدي إليها سنة 308هـ ،وارتحل عنها المنصور سنة 337 هـ .

(2)يوسف بن أحمد حوالة : الحياة العلمية في افريقية،منذ الفتح حتى القرن الخامس ،450/90هـ،جامعة أم القرى، 2000م.ص.173.

(3) يذكر القاضي النعمان أنّ الشعراء قالوا فيه ومدحوه .الإفتتاح ،ص.300 .ولعلّ كثير منهم لازمه وأصبح من شعراء بلاطه .

(4)محمّد النيفر : المرجع السّابق ،ص.346 .

(5)من بين المؤلفات الأدبيّة المفقودة كتاب لإبن رشيق القيرواني سمّاه "الروضة الموشيّة في شعراء المهديّة " .رافعي نشيدة : المرجع السابق ،ص.400 .

(6) للمزيد راجع : ح.ح .عبد الوهّاب : ورقات ، ج1 ،ص .216 ؛

(7) يوسف بن أحمد حوالة : نفس المرجع،ص.176 .

ب- (3) مدينة صبرة المنصُـــوريَّة [1]:

هي عاصمة الخلافة الفاطميّة،في عصرها الذهبي ، ومستقرّ الخليفتين الفاطميين: الثالث والرّابع المنصور والمعز لدين الله [2]، أُنشئت لتكون"**مدينة عن الإسلام** "بعدما طَرَقَها من أسباب الضعف والعجز في عهد القائم ، وهي الرّمز المضاد لمدينة المهديّة ، فبينما كانت المهديّة في آخر عهدها علامة على" الهزيمة " أصبحت المنصورية عند إنشائها، آية سطوة السّلطان،وقد بناها المنصور على موضع انتصاره على أبي يزيد، أنشأها تحدّيا لكل أعداء الدّولة، إنّها إشارة إلى بدء عهد جديد هو عهد الانبعاث والقوّة[3] ، ويذكر التجاني أنّه " لما تمّ للمنصور أمره،و لم يبق له من ينازعه ،أحبّ الانتقال من المهديّة إلى مدينة صبرة،وهي ملاصقة للقيروان،وقد كان بنى سورها ،وجعل فيها قصرا لنفسه ،فكان انتقاله إليها أوّل سنة سبع وثلاثين ، وذلك أصل تسمية صبرة بالمنصوريّة، و لم تزل صبرة دار ملكهم إلى أن انتقلوا إلى مصر[4]. فلم يمض إذن إلا وقت قصير حتى أصبحت المنصورية العاصمة الفعلية للدولة الإسماعيلية .

---

(1) اضطرّ المنصور بالله بعد انتصاره على ثورة أبي يزيد ، إلى ترك المهديّة ،والانتقال إلى العاصمة الجديدة ،صبرة المنصوريّة التي أسسها المنصور بالقرب من القيروان حتى يجعل المالكية تحت أنظاره .أنظر : القاضي النعمان، المجالس .ص.55 ،72 ،73 ؛ ابن الأثير :الكامل ،ج8 ،ص.422 ، 441 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1 ،ص. 235 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ،ج1،ص.216 ،220 ،225؛المقريزي: اتعاظ الحنفا ،ج.1 75 ،86 ؛المقريزي:المقفى الكبير،تحقيق:محمد اليعلاوي،ط.1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1987 ،ص.146 149 ؛ عماد الدين إدريس ، عيون الأخبار ،ج5 ،ص.172 .

(2) تذكر المصادر أنّ المنصور انتقل إليها في آخر صفر سنة 337هـ.الدشراوي :المرجع السابق،ص.217؛و لم تزل دار ملك بني عبيد إلى أن انتقلوا إلى مصر سنة 362هـ ، فبقيت عاصمة لدولتهم مدّة 25 سنة ،وهي مدّة تساوي فترة بقائهم بالمهديّة (308-337هـ) من شاء التفصيل في قصّة بنائها يرجع إلى ابن حوقل : صورة الأرض ص.73؛ المقدسي : ياقوت ، البلدان ،ج5 ، ص.693 ؛القاضي النعمان ،المجالس ، ص 23-27 ؛ الدّشراوي ،نفس المرجع ،ص.195-237 .

(3) الدشراوي : نفسه،ص.218 .

(4) التجاني : الرحلة ،صص.327-328 ؛ كما وصف لنا البكري مدينة صبرة بقوله " ومدينة صبرة متّصلة بالقيروان ، بناها اسماعيل سنة 337هـ واستوطنها وسمّاها المنصوريّة ، وهي منزل الولاّة إلى حين خرابها ، ونقل إليها معدّبن اسماعيل أسواق القيروان كلّها وجميع الصّناعات ، ولها خمس ابواب .أنظر : المغرب في بلاد إفريقية والمغرب،ص.25.

وتقع هذه المدينة على بعد نصف ميل من القيروان[1]، ويدلّ وصف البكري لها على ازدهار أحوالها التجاريّة ازدهارا عظيما ، كما يدل على ازدهار أحوالها العمرانيّة الدينية والمدنيةّ ، وقد شاهد د.محمد زيتون ، بقايا من مصنع البلّور ، وبعض الزّليج والأدوات والأعمدة[2].

وقد أُقيم قصر المنصور وسط المدينة [3] ، وبنى المعزّ لدين الله الحنايا [4] وعدّة قصور مزدانة بالبساتين والأحواض ، ومن بين المباني والقصور التي شيّدها الفاطميّون نشير بالخصوص إلى قصر الماء والأيوان والخورنق ، ومجلس الكافور ومجلس الريحان وحُجرة التاج وحجرة الفضّة وقصر الخلافة المعزيّة[5] .

ازدهرت في المدينة الحياة العلمية والأدبية والثقافية ، وليس خافيا أنّ الفكر، وخصوصا نواحيه الأدبيّة ، كان يسير في ركاب الأمراء والحكّام أينما ساروا،وحيث ما حلّوا فمسيرة الحياة الفكريّة كانت تزهو وتتقدّم غالبا في ظلّ الأمراء والحكّام،الذين يشجّعون العلم والعلماء والأدباء ، فكانوا يحيطونهم برعايتهم وتشجيعهم وعطاياهم،وأحيانا بإيجاد روح التنافس بين الأدباء والشعراء وغيرهم وكانوا ينطلقون من هذا من حبّ الكثيرين منهم للعلم والأدب أوّلا ، و لرغبتهم ثانيا في إضفاء جوّ من الأبهة والذكر الخالد لبلاطاتهم [6]

و لم يأت عصر المعز حتى أصبحت مركزا من أهم مراكز الإشعاع الأدبي ،فلا نبالغ إن زعمنا أنّها قد عاشت في عهد المعز عصرها الذّهبي إذ تطاولت على سائر المدن الإفريقية ،وزاحمت الفسطاط وقرطبة بل بغداد .

---

(1) لا شكّ في أنّ المكان الذي وقعت فيه المعركة التي انتصر فيها المنصور على أبي يزيد مخلد بن كيداد ، ويوجد بجوار صبرة ،وهي التي أصبحت مدينة المنصوريّة،هذا ما يفهم من كلام ياقوت :معجم البلدان،ج5، ص.695 التجاني:الرحلة ص.338.

(2) محمد محمد زينون : القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميّة ،ط.1 ، دار المنار ، القاهرة ،1988 ،صص.99 100 . للمزيد من التفصيل عن المنصورية ، انظر :الهادي روجر إدريس :الدولة الصنهاجيّة ،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري ،ترجمة:حمادي الساحلي ،ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1992 ،صص .26 -27-28 ؛ عبد الله كمال :الفاطميون وآثارهم المعماريّة ،ص.45-46 .

(3)الهادي روجر ادريس :نفس المرجع،ج.2 ،ص.27 .

(4) حسن ابراهيم حسن :المعزّ لدين الله ،ص.208-209 .

(5)الهادي روجر ادريس :نفس المرجع ،ج.2 ،ص.27 .

(6)يوسف بن أحمد حوالة :المرجع السابق ،ج.1 ،ص.157 .

(4) مدينة المحـــــمدية (المسيلة) :

مدينة تقع بالمغرب الأوسط،في شمال السهول الحضنة،على ضفّة نهر يُقال له واد سهر[(1)] أسسها القائم بأمر من أبيه عبيد المهدي 313 هـــ[(2)] ، فانتقلت إلى مدينة فاطمية ، بعد أن كانت ثغرا للأجناد العربية منذ 154هـــ عندما استقرّ بها يزيد بن حاتم المهلّبي[(3)]،فحكمها ابن حمدون [(4)]،وقد أقامه القائم بأمر الله لبنائها ثمّ استمرّ حكمها في ابني حمدون"جعفر" و" يحي" [(5)] ، وصارت في عهدهما عاصمة منطقة الزّاب ومركزا أدبيا وثقافيا هاما ساعد على ذلك ، ويشير المؤرخون أن ما ساعد على ذلك هو العنصر البشري الذي سكنها فبالإضافة إلى البربر من عجيسة وهوارة ، فقد كان العرب من سلالة الأجناد من بني تميم ومن القيروانيين الذين نزحوا إليها ، عنصرا عاملا منشّطا ، لنشوء حياة أدبية لعراقة هذا العنصر في الحضارة والتأصيل قيم العروبة فيه" [(6)] .

ويقول محمد اليعلاوي في دراسته القيّمة"إنّ بلاد الأخوين كان بمثابة الملجأ للأندلسيين النازحين عن وطنهم ، وأنّ ابن هانئ عند هجرته من إشبيليّة ، لم يَجد المؤازرة والرعاية إلاّ عند مواطنيه الحمدونيين ،والمواطنة هنا مزدوجة : فهم مثله يمنيّا الأصل ، وهم مثله أصيلوا كورة ألبيرة " [(7)] .

---

(1)الهادي روجر إدريس : المرجع السابق ،ج.1 ،ص.91 .

(2) عن ظروف تأسيسها وتعيين عائلة بني حمدون على رأسها أنظر :ابن حمّاد الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،ص.45-46 .

(3)ابن عذاري: البيان المغرب ،ج.1 ،ص.77 .

(4)كان يمنيّ الأصل كما تدلّ عليه نسبة الجذاميّ في اسمه: عليّ بن حمدون الجذاميّ الأندلسي ،وقد أكثر ابن هانئ من الإشادة بهذا النسب القحطانيّ الذي يَشترك فيه مع أمراء المسيلة مثل قوله في ابنه جعفر :

وكم لك عندي من يد يمنيّة   لها حسب بالمكرمات عتيق .

أنظر: اليعلاوي :ابن هانئ المغربي الأندلسي شاعر الدّولة الفاطميّة،دار الغرب،بيروت، ط.1985، ص.84-85 .

(5)نجد ذكرا لهذين الأخوين عند ابن الأبّار : الحلّة السيراء ،ترجمة رقم 111 ؛ ابن خلّكان :وفيات الأعيان ،ترجمة رقم 133 ؛ابن خلدون : العبر ،ج.4 ،ص.32 ؛ فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطميّة ،ص.238 ،240 .

(6) محمد النيفر : الحياة الأدبيّة ،ص.351 .

(7) ابن هانئ المغربي الأندلس ، ص.88 .

أصبحت المسيلة عامرة بالسكّان ،مزدهرة بالصنائع ،يقول ابن خلدون : " واستجدّوا بها دولة وسلطانا ، وبنوا القصور والمتنزّهات ، واستفحل بها ملكهم ،وقصدهم بها العلماء والشعراء، وكان فيمن قصدهم ابن هانئ شاعر الأندلس[1]فظهر أنّ شهرة البلاط الحمدوني تجاوزت المغرب وبلغت المشرق،فطمح بعض شعرائه إلى رفد أمير المسيلة ،كالصنوبري (تـــ945/334م) الشاعر الشامي مثلا ، فقد وجّه إليه من حلب قصيدة يشيد فيها بمجده وكرمه ، فأرسل إليه جعفر على مسالك ثابتة حسب قول ابن شرف،مكافأة بألف دينار[2].

ويشهد شعر ابن هانئ بازدهار العاصمة الحمدونيّة ، وكثرة حدائقها ،وطيب هوائها فيتجاسر على تشبيهها ببغداد (الكامل) :

ورأيت حـــولي وفد كلّ قبيلة حتّى توهّمت العـــراق الزابا

أرضا وطئت الدرّ رضراضا بها والمسك تربا والريـــاض جنابا

وسمعت فيها خطبة كلّ فيصل حتّى حسبت ملوكـــها أعرابا[3]

وكان جعفر سمحا كثير العطاء،مؤثرا لأهل العلم،وهذه المكانة لم تكن لجعفر وحده فليحيى أيضا مقام عند الشاعر ، يقول (الطويل):

وتغدو على يحيى الوفود ببـــابه كما ابتدرت أمّ الحطيم المواسم[4]

وقصائد ابن هانئ تُشعر القارئ بأنّ جعفر بن حمدون شبه مستقلّ بإمارته ، إذ له بلاط وبطانة وحاشية ، وأنّ الحياة بالزاب تتسم بالرغد بل بالترف ،كأنّنا المسيلة عاصمة خلافة لا إمارة،فوفود الشعراء المادحين والعفاة المستجدين تتزاحم على باب الأميرين ،بل الملكين لأنّ ألقاب الملك تكثر على لسان الشاعر :فجعفر ملك "يروع بمرعى ملكه ويَروق"ويحيى أخوه الأصغر يسود البرية كلّها حتّى الملوك العباهل[5] ،ويبدوا أنّ حياة الشاعر بهذه الولاية الناعمة كانت هنيئة مريئة ، فأسلوب العيش بها أندلسي أكثر منه مغربيّ أناقة وظرفا وترفا[6]

---

(1) تاريخ ابن خلدون ،ج.16 ،ص.175 .

(2)ابن شرف :مسائل الإنتقاد ،نقلا عن : اليعلاوي : المرجع السابق ،ص.120 -121 .

(3)أنظر:تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ،شرح وتحقيق:زاهد عليّ ،مطبعة المعارف،مصر،1352 هــ،ص.113 .

(4) نفسه ،ص.723 .

(5) أنظر تعليق محمد اليعلاوي على مدلول كلمة "الملك " عند الشاعر ، ص.80-81 .

(6) نفسه ،ص.186 .

استقرّ ابن هانئ في ظلّ الأخوين خمسة أعوام كاملة من سنة 348 هـ إلى سنة353 هـ فنظّم في مدحهما غرر القصائد[1] ، ولعلّ الفسحة الماليّة التي كان يَحتفظ بها جعفر على ولايته عوض أن يوصلها إلى القيروان ، هي التي عمّرت قصره بالشعراء والعلماء ،وجعلت بلاطه زاخرا بالعلم والفنّ والأدب[2] ، ونجد في سيرة الأستاذ جوذر صدى لتذمّراتهم من هذا الامتياز[3] .

وهكذا كانت الزّاب في هذه الفترة،عاصمة للشعر في كامل المغرب،فهي بغداد كما تغنّى بذلك ابن هانئ [4] ، فكان هذا المركز الأدبي " الشيعي" يُمثّل في عهد المعزّ خاصّة القطب الثاني الذي جمع حوله النشاط الأدبي والثقافي ،وتذكر النصوص التاريخيّة أنّ العلاقة بين القطبين كانت متبادلة ،فهذا النهشلي مثلا هو أصيل المحمدية ، يتركها وهو شاب بعد أن تلقى ثقافة أدبية وعلميّة ليقصد إفريقية،فيكون له في آخر العصر الفاطمي ثمّ الصنهاجي تأثير بالغ الأهمّيّة ،في الأدب والشعر والنقد وابن هانئ بعد أن ذاع صيته بكامل المغرب يُلبّي دعوة الخليفة المعزّ فيلحق ببلاط المنصوريّة [5] فيصبح شاعر الدّولة الرسمي[6].

---

(1) مدح ابن هانئ الأميرين بستٍّ وعشرين قصيدة . اليعلاوي : المرجع السابق ،ص.303 .

(2) نفسه :ص.181 .

(3) العزيزي :سيرة الأستاذ جوذر ،ص.129 -133 .

(4) حول تشبيه الشّاعر للزّاب ببغداد أنظر: اليعلاوي :نفس المرجع ،ص.181 -182 .

(5) نشيدة رافعي : المرجع السابق ،ص.407 .

(6) أثار الباحث محمد اليعلاوي الشكّ في استيطان الشاعر بعاصمة الخلافة ، فهو لا يَذكرها قطّ في شعره ، ولا العواصم الأخرى ،والاشارة الوحيدة إلى المنصوريّة نجدها في التوطئة النثريّة التي تَسبق القصيدة 53 من الدّيوان ويسكت عن مساكن الخليفة والأمراء،فلا تراه يَذكر قصرا ولا بلاط ،ولا يَصف المسجد ولا المتنزّهات، حتّى دار البحر ذلك القصر الذي بهر الشاعر الإيادي،ويَفترض اليعلاوي أنّ إقامة ابن هانئ في العاصمة كانت غير مستمرّة مرجّحا بَقاءه بالزاب . اليعلاوي : ابن هانئ الندلسي، ص.122 -123 .

ج ـــ دور الأئمّة الفاطميين في نشاط المراكز الشيعيّة :

تُظهر الرواية السنيّة عمل عبيد الله ، أوّلَ دخوله مدينة رقّادة ، معتديا على أملاك الغير وذلك بقيامه بطمس معالم أسلافه من الأغالبة،حيث أمر أن تُقلع من المساجد والمواجل والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها،وكتب عليها اسمه[1] ، ونزل بقصر الصحن من قصور رقَّادة ، بينما نزل ابنه أبو القاسم قصر أبي الفتح [2]وخطب له في مسجدها الجامع[3] .

والملاحظ أنّ المدينة لم تَكن خالصة لأتباع المذهب الإسماعيلي ، حيث لم يتوفّر فيها شرط "دار الهجرة" التي سار عليه الأتباع ، كما أنّ موقعها في وسط سهل فسيح ، لا تَصلح أن تكون حاضرة وحصنا للفاطميين ، فأخذ عبيد الله يرتاد الأماكن ليبني عاصمة الجديدة .

وتبدوا خبرة عبيد الله في اختياره لموقع بناء المهديّة واضحة [4] ، وهناك إشارة هامّة زوّدنا بها ابن عذارى حول الأهميّة الاقتصاديّة للمهديّة ، والتي أرادها لها عبيد الله حين أمر بأن يكون طريق الحاج على المهديّة ، لأداء ما وظّف عليهم من المغارم ، وأن لا يتعدّى هذا الطريق أحد [5] . بالإضافة إلى أهميّتها الدّينيّة للأتباع [6] ؛ ولا شكّ أنّ المهديّ أمدّها بالدّور الفاعل أثناء مكوثه بها حيث ضعفت عندما تحوّل عنها [7] ، كما كان اختطاطها ينمّ عن نظرة مستقبليّة للأحداث الدّاهمة [8] .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ،ج.1 ،ص.159 .

(2) عبد الله كامل موسى عبده : الفاطميّون وآثارهم المعماريّة ،ص.37 .

(3) القاضي النعمان: افتتاح الدّعوة ،ص.299 .

(4) أنظر: ابن عذارى: نفس المصدر ،ج.1 ،ص.169 .

(5) نفسه ،ص.186 .

(6) يذكر ابن عذارى أنّ الغلاة من أتباع المذهب الاسماعيلي اتّخذوا المدينة قِبلة ،كما اتّخذوا عبيد الله إلها ، واستجازته لقول لمحمد البديل فيه : **حلّ برقّادة المسيح حل بها آدم ونـــوح**

حلّ بها الله ذو المعالي وكلّ شيء سواه ريح .

أنظر : ابن عذارى : نفس المصدر ،ص.160 .

(7) عبد الله كامل موسى : نفس المرجع ،ص.37 .

(8) النعمان : نفس المرجع ،ص.327-328 .

أمّا مدينة المنصوريّة التي اتّصلت بالقيروان ،فقد ازدهر عمرانها واتّسع[1]،وهو دليل على انبعاث وقوّة [2] ، ويُصاحب ذلك انتشار العلم ، الذي يكثر حيث يكثر العمران [3] وتمثّل تأثير المنصور والمعزّ في كونهما أديبين شاعرين ، نظما الشعر وألّفا الخطب،وكانت لهما مشاركة فعليّة في فنون النحو واللغة والنقد ، وولع كبير بالعلوم النقليّة والشرعيّة[4] كما سجّلوا دورا بتوفير الأطر الملائمة للإبداع الشعري والتأليف الأدبي أو الفقهي،ويلاحظ أن هذا النشاط إنّما كان امتداد لما كان من نشاط ازدهر في عهديّ المهديّ والقائم في المهديّة ولكنّه في عهد المعزّ أصبح أكثر شمولا وتنظيما .

كما أثّر المعزّ في الحياة العلميّة ، بل كان له حذق كبير بالصناعات اليدوية ،ويذكر النعمان أنّه كان صاحب اختراعات عجيبة ، لم يسبق إليها كالقلم الخازن للحبر[5] كما كان له معرفة بتركيب الأدوية ويذكر أنّ هذا الاعتناء أوجد جوّا علميا ممتازا أفرز مؤلّفات علميّة هامة في الرّياضيات والفلك والطبّ وأنّ الإمام المعزّ قد جعل بلاطه في المنصورية مركزا للمساجلات الفقهيّة و المناظرات العقائدية ، بين مختلف المذاهب والفرق من الشيعة والمالكيّة والأحناف والإباضية والمعتزلة [6]وكان يحضر هذه اللقاءات ويشارك فيها ويحرّض أصحابها على التباري والتنافس فأصبح بلاطه إذن مقصدا لكثير من العلماء الذين جاؤوا من كلّ مدن افريقية ، كما أنّ للمدن والقرى التي كانت تحيط بالمنصورية علماءها وأدباءها وشعراءها خاصّة العبّاسية .

---

(1) يدلّ وصف البكري لها على ازدهار أحوالها التجاريّة ازدهارا عظيما ،كما يدلّ على ازدهار أحوالها العمرانيّة الدينيّة والمدنيّة والحربيّة . المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،ص.25.

(2) الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب ،ص.218.

(3) ابن خلدون : المقدّمة ، ص.344 .

(4) رافعي : المرجع السابق ،ص.348 . وسنتناول مساهمة الأئمّة في علوم الظاهر والباطن والشعر والنثر في اللاحقة . لفصول

(5) المجالس والمسايرات ،ص.319 .

(6)سنورد في الفصل القدم جانبا من المناظرات التي كانت تُعقد في بلاط المعزّ بالمنصوريّة .

ج ـــ موقف الحكّام الفاطميين من نشاط مراكز الفكر السّنّي المالكي:

غنم الفاطميّون فوائد جمّة،وجنوا ثمار سياسة عمرانيّة ناجحة ، انتهجها من قبلهم أمراء بني الأغلب ، لذلك نزح رجال الحكم الجديد إلى رقّادة واتّخذوها مقرّا لدعوتهم ، وذلك حينما لاذ آخر أمراء بني الأغلب بالفرار[1] ، بعد أن أصبح عاجزا عن حماية نظامه المفكّك وسيترك لهم دولة منظّمة بدواليبها الإداريّة ، وأغلب موظّفيها الذين حنّكتهم التجارب [2] وبتحويل البلاد إلى مقرّ الخلافة الفاطميّة المضادّة ، ستكون بالرغم من بعض التقلّبات الأليمة منبع قوّتها والمركز الأوّل من مراكز حضارتها [3].

ونتساءل هنا ، هل وُسِّع ازدهار الحواضر السنيّة في العهد الفاطمي أم تراجع ؟ وهل كان للأئمّة الفاطميين دور داعم في تنشيط هذه القواعد المعارضة ، أم قصّروا ؟هناك عدّة مؤشّرات تجعلنا نميل إلى النفيّ ، إذ تقلّص ذلك الإشعاع الثقافي الكبير ، فدور المدينة كمركز للدّراسات المالكيّة تراجع حيث أنّ علماء المالكيّة في فترات محدّدة ،مُنعوا من المجلس والفُتيا ممّا اضطر بعضهم إلى تعاطي ذلك سرّا ، ويكون ذلك أحيانا بدار العالم ، والنتيجة الحتميّة لهذه الظروف هو تراجع عدد الطلبة الوافدين على إفريقية،وخاصّة من الأندلس بل يظهر أنّ اتّجاه الرحلة انعكس في العهد الفاطمي[4] لذلك لا نستبعد أنّ مواقف الأئمّة الفاطميين السّلبي من علوم أهل السنّة ،كان له دور في هجرة بعض المغـــاربة من علمائها المالكيّة إلى الأندلس في العهد الفاطمي من مثل :محمد بن الحارث الخشني،ومحمد بن يوسف الورّاق[5].

---

(1) حول حادثة هروب زيادة الله الثالث من رقّادة أنظر: القاضي النعمان: افتتاح الدّعوة ،ص.233-234 ؛قارن ذلك مع ابن عذارى في البيان المغرب ،ج.1 ،ص.147 وما بعدها من عدّة صفحات .

(2) حول استمرار المؤسّسات الإداريّة العامّة في العهد الفاطمي أنظر:محمد الصالح مرمول : السياسة الدّاخليّة للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي،ط.1983،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،ص.193-194 .

(3) فرحات الدّشراوي:الخلافة الفاطميّة بالمغرب ،ص.56 .

(4) نجم الدّين الهنتاتي :المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، منشورات تبر الزمان ، تونس ،2004 ،ص.56 .

(5) أنظر ترجمة وافية عن الخشني في أُطروحة الدّكتورة رافعي : الحياة الفكريّة والثقافيّة في المغرب في العصر الفاطمي،ص. 296-362 .وعن سهل الورّاق أنظر:نفس المرجع ،ص.558-559-560 .

فالقيروان[1]التي بناها عقبة بن نافع[2] وأرادها " عزّا للإسلام إلى آخر الدّهر " [3] كانت مركز إشعاع فكريّ على إثر إمساك الأغالبة بزمام الحكم ، وتطوّرت فيها دراسة العلوم الدّينيّة ،وتعليم اللغة والنحوّ والاهتمام بالجدل المذهبي ، وحبّ النثر الفنّي والشعر ، حتّى استطاعت أن تباهي بمساهمتها الذّاتيّة في ازدهار الثقافة العربيّة والإسلاميّة[4] .

ولكن نشاطها بدأ يَخفت إثر قيام الدّولة الفاطميّة ، و إثر موجة الاضطهاد التي تعرّض لها علماؤها ، من أمثال الخشني السالف الذّكر ، فكلّ هذه الظروف أدّت إلى ضعف في الدّراسات الفقهيّة المالكيّة في العهد الفاطمي ، وهو أمر تفطّن له أحد علماء فـــاس عند مروره بإفريقية في ذلك العهد وهو دارس بن إسماعيل أبو ميمونة (تـــ357هـــ/967) إذ عاب على علماء إفريقية من المالكيّة قلّة الحفظ[5] .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ الرقابة التي كان علماء المالكيّة يَفرضونها على الحياة الفكريّة خلال النصف الثاني من القرن الثالث [6] ، قد ساهم الفاطميّون في رفعها ،لتوفّر ظروف ملائمة لازدهار بعض العلوم العقليّة ، وتألّق المدرسة الكلاميّة الحدّاديّة[7] ، ومدرسة الحديث وكلّ هذا كان على حساب مدرسة الفقه المالكي التي عرفت نوعا من التواجع[8] .

---

(1) القيروان: مدينة أو مُعسكر ،وقال الدّبّاغ في تفسيره " واختلف في لُغة العرب في لفظ القيروان ،فقيل هي موضع اجتماع النّاس ،وقيل محطّ أثقال الجيش نوقيل هي الجيش نفسه ،والمعنى متقارب.أنظر:معالم الإيمان،ج.1 ص. 8 .

(2) عن تفاصيل الروايات الواردة في ظروف بناء المدينة ،ودور عقبة بن نافع في اختطاطها أنظر : محمد بن عميرة : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، ص.78 وما يليها .

(3) الدبّاغ : معالم الإيمان ،محمد الأحمدي أبو النّور ومحمد ماضور ،ط.2 ، المكتبة العتيقة بتونس ،1968 ،ص.8؛ المالكي: رياض النفوس ،تحقيق:بشير بكّوش ،ط.2 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1994،ص.6 ؛ابن عذارى:البيان المغرب،ج.1 ،ص.29

(4) حول مساهمة القيروان في ازدهار الثقافة العربيّة الإسلاميّة أنظر:محمد محمد زينون :القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميّة ،ط.1 ، دار المنار ، القاهرة ،1988 .

(5) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج.4 ،ص.489 .

(6) بدأت هذه الرقابة من ذلك الإجراء الذي اتّخذه القاضي سحنون(تـــ240هـــ) والذي يتمثّل في تفريق حِلق أصحاب الاتّجاهات المبتدعة من جامع عُقبة ،وقد تواصل ذلك الإجراء إلى أواخر العهد الأغلبي .للمزيد أنظر: نجم الدّين الهنتاتي :المرجع السابق ، ص.146 وما بعدها من عدذة صفحات .

(7) نسبة إلى أبي عثمان سعيد بن الحدّاد الذي سيردُ ذكره في الفصل الثالث .

(8) نجم الدّين الهنتاتي : نفسه ، ص.163 .

وما يُقال عن القيروان،يُقال أيضا عن مدينة تونس[1]التي وصفها ابن حوقل بـــ"دار علم وفقه" [2] وهي ثاني مدينة سنيّة مهمّة بعد القيروان [3] ، إذ لم يأتِ القرن الثالث الهجري أي بداية العصر الفاطمي ،حتّى خَفَتَ إشعاع جامعها العتيد :الزيتونة [4] ،فلم يَكن يُذكر رغم أهمّيّته .

ولعلّ السبب في خفوت نشاط المدينة ، تمثيلها للمعارضة السنيّة التي أخذت طابعا فكريا مذهبيّا مسالما ، يسيّرها في هذا العصر طبقة العلماء والفقهاء والأدباء ، فلم يَعد هدف المعارضة سياسيا عسكريّا ، وإنّما عقائديّا أساسا [5]؛وعلى الرغم من أنّ الجوامع السنيّة المالكيّة قد تعطّل التدريس بها طيلة العهد الفاطمي في كلّ مدن إفريقية ، إلاّ الباحث حسن حُسني عبد الوهاب ، يذكر أنّ لديه قرائن قويّة جدّا،على مزاولة التعليم في جامع الزيتونة،طيلة العهد الفاطمي مزاولة مستمرّة [6] وهذا الخبر إن صحّ يَجعلُنا نراجع ولو في أثناء الحكم الفاطمي تُهمة الحجر على الفكر المُخالف التي ألصقت بهم ، ولعلّ فترة حكم المعزّ ،وما تميّزت به من إعطاء هامش للحريّة الفكريّة هي ما أعاد لهذه المراكز نشاطها من جديد ،ولكن دائما تحت سمع وبصر السّلطة الشيعيّة الحاكمة .

---

(1) يَميل كثير من المؤرّخين القدامى نأنّ أصل الكلمة عربيّة مشتقّة من المعنى اللغوى للكلمة،تمّ بناؤها على قرية عُرفت بـــ: ترشيش أوطرشيش ، وسُمّيت تونس لأنّ المسلمين عندما فتحوا إفريقية نزلوا بهذه القرية ، وكان بجانب القرية صومعة للرهبان ،فكان المسلمون يستأنسون براهب كان فيها ،ويَقولون : هذه صومعة تونس ، ومن هنا جاء الإسم .انظر : البكري : المصدر السابق ، ص.37-38 ؛ابن ابي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، طبعة تونس ،1286هـــ،ص.9-10 ؛في حين يرى ح.ح عبد الوهاب رأي آخر حيث يقول إنّ قرية "تونس" فينيقيّة الأصل . أنظر : الورقات ، ج.1 ،ص.290 .

(2) صورة الأرض ، ص.75 .

(3) أحمد يوسف حوالة : المرجع السابق ،ص.168 .ولقد جعلها الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني (261-289هـــ) عاصمة مؤقّتة له وأقام بها إلى غاية 10 محرّم 263هـــ /28 فيفري 896م .محمّد الطالبي:الدّولة الأغلبيّة،التاريخ السياسي،تعريب:المنجي الصيداوي ،ط.2 ،دار الغرب الإسلامي ،1995 .ص.338 ؛ وعن جهود الأمير إبراهيم الثاني في إفريقية أنظر : ممدوح حسي : إفريقية في عصر إبراهيم الثاني الأغلبي ، ط.1 ، دار عمار ، الأردن ، 1997 .

(4) تأسّس عام 114هـــ

(5) نشيدة رافعي : المرجع السابق ،ص. 416 .

(6) ورقات ،ج.1 ،ص.127 .

هـ دُوْرُ العِلمِ في العهد الفاطمي :

هـ(1) المساجــد :

تعتبر المساجد أهمّ المؤسّسات التعليميّة الإسلاميّة ، ودراسة هذه المؤسّسات في أيّ منطقة من العالم الإسلامي،هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافيّة الإسلاميّة ، وقد قام المسجد بدوره في التعليم منذ صدر الإسلام ، وظلّ يحتفظ بهذا الدّور قرونا طويلة .

ولعلّ السبب الرئيسي في اتّخاذ المسجد مركزا ثقافيا ، يرجع إلى الدّراسات الإسلاميّة في الفترة الأولى،والتي كانت دراسات دينيّة تتضمّن تعليم أحكام الدّين ، وتلك العلوم ترتبط بالمسجد أشدّ الارتباط ، ومن هنا كان من السّهل على المسلم التوجّه إلى المسجد للتفقّه في الدّين وأداء الفروض الدّينيّة [(1)] ، كما أنّ المسجد الجامع قد قام بدور أكبر من ذلك ، فلم يكن مجرّد مكان لأداء الفروض،أو مركزا لتعليم الدّين،بل كان مقرّا للقضاء وساحة للاجتماعات العامّة وغير ذلك [(2)] ومن الضرورة هنا الإشارة إلى أنّ ما كان يُدرّس في حلقات المسجد ،إنّما هو الأساس ما عرف باسم"العلوم النافعة"[(3)]فإلى جانب الفقه كانت تدرّس في المساجد مختلف العلوم الإسلاميّة الشرعيّة والمساندة [(4)] .

والمغرب الإسلامي اشتهر بكثرة المساجد ، وقد ذكر لنا المالكي أسماء كثيرة لمساجد خاصّة بناها أصحابها ونُسبت إليهم [(5)] ، فقد كان الهدف من تأسيس تلك المساجد الخاصّة بجانب وظيفتها التعبديّة ، اتّخاذها مدارس أو مراكز لنشر العلوم والمعارف الدّينيّة خصوصا .

---

(1) عليّ بن محمد الزهراني ، الحياة العلميّة في صقلّية الإسلاميّة ، إصدارات مركز البحوث بجامعة أمّ القرى ، المملكة العربيّة السعوديّة ،1996 ،ص.231 .

(2) كان المسجد الجامع في العهد الإسلامي المركز الرئيسي الذي تدور حوله الحياة الاجتماعية والدّينيّة والفكريّة والسياسية،بالإضافة إلى كونه المركز الرئيسي للعبادة،ولقد حافظ المسجد الجامع على توسّط مركزه في المدن الإسلاميّة حتّى بعد اتّساع رقعتها وزيادة عمرانها ، ونلاحظ أنّ المساجد الجامعة قليلة العدد محدودة في كلّ مدينة ،ولذلك اعتبر المسجد الجامع أهمّ معالم المدينة الإسلاميّة بل هو صاحب الفضل في إضفاء صفة المدينة على أيّ مركز حضاري إسلامي .أنظر :ألفاظ الحياة الثقافيّة في مؤلّفات أبي حيّان التوحيدي ،ص.134 .

(3) يذكر الدبّاغ أنّ الإمام سحنون فرّق اهل البدع من الجامع ،وكانوا فيه حلقا ، وأدّب جماعة منهم لمخالفتهم رأيه،وأطافهم ،وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة.معالم الإيمان ،ج.2 ،ص.87 -88 .

(4) عليّ بن محمّد الزهراني ، نفس المرجع ،ص.231 .

(5)عن المساجد تلك ،أنظر :رياض النفوس ،ص.127 ،165 ،203 ، 338 ،366 ،373 ،399 ،407 .

كما تُعقد فيها مجالس للفتوى[1] ، فقد تباحث سحنون ومعتب بن أبي الأزهر (تــ255هــ) في جلوس موسى بن معاوية الصُمادحي للفتوى في القيروان ،فقال سحنون عن ذلك : " ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحقّ بالفتوى منه"[2]،كما أنّ الجوامع كانت مقرّا للقضاة وخاصّة قضاة المالكيّة ، ففيه وفي ساحاته كانت تُقضى وتفضّ المنازعات بين الخصوم [3].

و لم يكن جامعا عقبة بن نافع بالقيروان[4]،والزيتونة بتونس[5]وحدهما المركزين الذين اضطلعا بالدّور أو النشاط العلمي والثقافي الريادي،في المغرب خلال تلك الفترة فحسب، بل كانت معظم المساجد والجوامع تُشاركهما في بثّ ذلك الإشعـــاع العلمي ، كما أنّ تلك المساجد لم تبنى في المدن الكبرى فحسب ، وإنّما كانت متوفّرة في كلّ مدن بلاد المغرب ، فإلى جانب مساجد أهل السنّة من المالكيّة ، كان للإباضيّة مساجدهم الخاصّة كما أنشأ الفاطميّون إبّان فترة حكمهم ، جامع طرابلس الأعظم الذي بناه أحد رجال الدولة الفاطميّة،وهو خليل بن إسحاق [6]،ويُنسب للخليفة المعزّ لدين الله بناء مسجد في طرابلس أثناء مروره عبرها في طريقه إلى مصر عام 362هــ ، وعُرف هذا المسجد بمسجد الناقة تيمّنا بالناقة المحمّلة ذهبا ،التي أهداها الخليفة لأهل طرابلس [7] .

و من روايات بعض المؤرّخين ، نميل إلى الرأي الذي يؤكّد أنّ الدور التعليمي للمساجد في العهد الفاطمي قد تراجع ، وذلك للسّياسة الصارمة التي انتهجوها في عهدهم تجاه مُخالفيهم في المذهب، وخاصّة على عهد عبيد الله وابنه القائم ، فالقاضي عياض يروي في مداركه أنّ أهلّ السنّة بالقيروان أيّام بني عبيد ، كانوا في حالة شديدة من الاهتضام والتستّر ،كأنّهم ذمّة ، تجري

---

(1) الفتوى هي: تبليغ حكم شرعيّ عن الله عزّ وجلّ إلى من طلبه دون أن يقترن ذلك التبليغ بالإلزام .
(2) القاضي عياض : ترتيب المدارك ،ج.4 ، ص.94 .
(3) أنظر على سبيل المثال : المالكي ،رياض النفوس ،ص.108 -109-110 ،118، 152، 192- 193 .
(4) عن جامع عقبة بن نافع أنظر : نجوى عثمان :مساجد القيروان ،ط.1 ،دار عكرمة ،دمشق ، ص.65 وما بعدها من عدّة صفحات .ويذكر الهادي روجر إدريس عدّة مساجد في مدينة القيروان تجاوز عددها خمس عشر مسجدا ، أنظر :الدّولة الصنهاجيّة ، ج.2 ،ص.15-16 .
(5) عن جامع الزيتونة ، أنظر : نفس المرجع ،ص.151، 164 .
(6) يوسف بن أحمد حوالة : الحياة العلميّة في إفريقية منذ الفتح وحتّى منتصف القرن الخامس الهجري ، ص.224.
(7) نفسه ،ص.225 .

عليهم في كثرة الأيّام محن شديدة [1] ، وربيع القطّان وهو أحد علماء السنّة المالكيّة الذين وقفوا من الإسماعيليّة موقفا متشدّدا ، كان يلتزم الإقراء في حانوته بدل المسجد ، حيث يقدم عليه طلبته وغيرهم من الذين يُستشكل عليهم شأن من شؤون الفقه [2] .

وعندما قامت الدّولة الفاطميّة في بلاد المغرب ،جَهدوا في بداية الأمر على أن يجعلوا من الجامع الأعظم ، منبرا يَوضّحون فيه موقفهم ، وأصول دعوتهم ، بل ويمارسون فيه تطبيق تلك الأصول ، سواء كان ذلك فيما يتعلّق بصيغة الآذان المختلفة ، عمّا تأخذ به المذاهب السنّية ، أو عن طريق منع صلاة التراويح ، وهو ما دفع علماء المالكيّة وهم الغالبيّة العظمى إلى اعتزال الصّلاة في المسجد الجامع ، وعندما نشبت ثورة أبي يزيد ، انضمّت إليه جموع أهل السنّة بقيادة أبرز علماء المالكيّة وقتها ، وقد رغب هؤلاء أن يُعلنوا موقفهم المؤيّد لأبي يزيد من على منبر الجامع الأعظم ، وهو ما تحقّق لهم بالفعل [3] .

ومن المجالس التي اشتهرت في المساجد،مجلس ربيع بن سليمان القطّان [4] ، ومنهم أيضا أبو بكر القصري[5]إمام جامع القيروان،وممّن اشتهروا بإلقاء دروسهم أيضا بجامع تونس الأعظم : أبوالعبّاس عبد الله بن أحمد الأبياني [6]المتوفّي عام 352هـــ،ولقمان بن يوسف الغسّاني [7] الذي كان واحدا من العلماء التونسيين المعروفين آنذاك وقد توفي عام 319هـــ

هذا إلى غيرهم ممّن لا يُسعفنا المجال لذكرهم ،ممّن كانوا يُلقون الدّروس بالمساجد و الجوامع خلال الفترة موضوع الرسالة .

---

(1) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج.2 ،ص . 318-319 .

(2) نفسه ،ج.3 ،ص .29-30 .

(3) المالكي : المصدر السابق ، ج .2 ، ص.309 .

(4) نفسه ،ص.331 . ويورد المالكي ترجمه له في كتابه :الرياض ،ص.324 وما بعدها من عدّة صفحات .

(5) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القرّاء .نقلا عن أحمد يوسف حوالة : المرجع السّابق ،ص.211 .

(6) القاضي عياض : نفس المصدر ،ص.347، 352 .

(7) نفسه ، ص .311 ، 313 .

هـ (2) قصور الحكّام الفاطميين وأمرائهم :

تعتبر القصور من الوسائط الثقافيّة التي اعتمدها الفاطميّون في نشاطاتهم الفكرية،حيث انتصبت فيها مجالس للحكمة ، بإشراف وتوجيه من الأئمّة ، وهو شاهد على دعم السلطة الرسميّة وتأييدها لرجال العلم والأدب ، واحتضانها في هذا المكان الرسمي ، الذي خلت فيه من ذكر مجالس اللهو والترف[1].

يصف المؤرّخون نزول عبيد الله المهديّ بقصر الصحن من قصور رقادّة الذي يفتح على الجهة الغربية ، وبإزائه في الجانب الآخر من ساحة فسيحة اسمها " بين القصرين " نزل ابنه أبو القاسم قصر أبي الفتح الذي يفتح على الجهة الشرقيّة[2].ويذكر محمد زيتون أنّه شاهد في رقادة بقايا قصر البحر[3]،ذلك القصر البديع الذي وصفه عبيد الله بقوله"رأيت بافريقية شيئين لم أر مثلهما بالمشرق الحفير الذي بباب تونس يعني الماجل،والقصر الذي بمدينة رقادة المعروف بقصر البحر[4]. ويضيف أنّه شاهد قصر البحر ، ويحدد موقعها قرب الماجل الكبير الموجودة آثاره هناك[5] .

كما كان عبيد الله يريد أن يتشبّه بخلفاء الدّولة العباسيّة ، وأمراء الأندلس في أن يكون له قصر يؤمّه الشعراء،حيث أنّ المهديّ منذ استقراره بالمهديّة سنة 308هـ وفد عليه الشعراء وأجرى على بعضهم الجرايات كلّ عام ، وهذا يدلّ على أنّ قصر المهديّ ثمّ القائم كان له نشاط كبير ، وممّن كانوا يفدون على القصر من الشعراء ، محمّد البديل وابن حيّوس الفاسي وابن الصّقيل ، أمّا بلاط القائم فقد وردت أسماء خليل بن إسحاق وعليّ الإيادي

---

(1) يُحاول الباحث محمّد اليعلاوي أن يجد مبرّرا لسكوت المصادر عن تصوير أجواء القصر الملكي ،فلا قصائد ابن هانئ وصفت ، ولا كتب القاضي النعمان تحدّثت بقدر شاف كاف،فاستنتج الباحث أنّ المنصوريّة لم يكن بها حياة بلاط ،وأنّ القصر لم يكن يضمّ إلاّ أهله ،وذلك رغبة من الخلفاء في ستر حياتهم الخاصّة ،حيث لا تظهر سوى صورة الجدّ والوقار ،بل التقشّف والتبتّل .انظر : ابن هانئ المغربي الأندلسي شاعر الدّولة الفاطميّة ، ص.142 -143 -144 .

(2) في عيون الأخبار ، تح : محمّد اليعلاوي ،ص.170 ، يذكر أنّ المهديّ نزل بالقصر المعروف بأبي الفتح .

(3) محمد زينون : المرجع السابق ،ص.99 .

(4) البكري : كتاب المغرب ،ص.26.

(5) محمد زينون : نفس المرجع ،ص.99 .

وقد أقيم قصر المنصور الفاطمي وسط المدينة ، و بنى المعزّ الحنايا ،وعدّة قصور مزدانة بالبساتين والأحواض[1]، ومن بين المباني والقصور التي شيّدها الفاطميّون ، نشير بالخصوص إلى قصر الماء[2] والإيوان والخورنق ومجلس الكافور ومجلس الريحان وحجرة التاج وحجرة الفضّة ، وقصر الخلافة المعزّية[3] .

وساد قصور الأئمّة نشاط ثقافي وعلمي كبير ، حيث لم يكتف المعزّ بتوفير أسباب الفخامة وشروط الرّاحة لبلاط قصره ، فقد فتح أبوابه أمام الناس،لسماع المحاضرات التي كان يلقيها دعاته وعلى رأسهم القاضي النعمان ، وهي مستمدّة من كتب المذهب الذي يعوّل على علم الظاهر ككتاب الدعائم ،وقد زاد الإمام فأباح الإطّلاع على الكتب التي تحتويها مكتبة القصر[4] . وكان الخليفة نفسه يعقد في قصره ، المجالس العلميّة التي يحضرها كبار رجال دولته والدّعاة والعلماء والأدباء ، فيُلقي عليهم من علومه في كلّ فنّ تقريبا من فنون المعرفة كالفقه والفتيا وعلم التوحيد وغير ذلك [5] .

ولقد تميّز عهد المعزّ بالدّعاية المنظّمة للمذهب الإسماعيلي ،وكان القصر مكان خاصّ لا يسمح بحضور كلّ المريدين ، لذلك كانت مجالسه عامّة ، يتكلّم فيها المعزّ بعلوم الظاهر ومجالس أخرى كانت مقصورة على أقرب الأتباع من الدّعاة ، يستمعون فيها إلى أسرار المذهب الشيعي أو علم الباطن الذي كان يُعرف بعلم آل البيت أيضا [6] وكان الإمام حريصا على تنبيه داعي دعاته لشرح وتذليل كلّ ما يصعب على الأولياء فهمه،حتى يُتاح لهم بعدُ الترويج لمبادئ المذهب، وكان المعزّ لدين الله يُشارك بنفسه في هذه الحلقات الخصوصيّة ،فيقرأ على الأشياع كتب الباطن وخاصّة أولئك الذين لديهم الاستعداد لفهم أدقّ أسرار التأويل الباطن .

---

(1) الهادي روجر إدريس : الدولة الصنهاجيّة ،ج .2 ،ص.27 .

(2) انظر وصف الشّاعر عليّ بن محمّد الإيادي عند محمد اليعلاوي:الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ،ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1986 ،ص.130-131 .

(3) الهادي روجر إدريس : نفس المرجع ،ص.27 .

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعزّ لدين الله ،ص.234-235 .

(5) نفسه ،ص.235 .

(6) نفسه ؛ أحمد يوسف حوالة : المرجع السابق ،ج.2 ،ص.108 .

ولدينا شهادة هامّة من القاضي النعمان ، يُشير فيها إلى اجتماع المؤمنين ، في مجالس تُعقد في القصر ،وتعقد كلّ جمعة فيقول :" وكان رفعي لهذه الرقعة في يوم الجمعة،وسألته في ذلك منشورا في حاجة لي، وما أقرأه في ذلك اليوم معلى جماعة المؤمنين ممّا عوّدهم أن يُقرا عليهم في كلّ جمعة ،ويُخرجه من عنده (المعزّ)،فأقرأه بعد انصرافه من صلاة الجمعة وعن حلقة المناظرة ، وقراءة كتب الفقه بالجامع ، وبعد أن يحتفل المؤمنون في قصره –عمره الله بطول بقائه – فأقرأ عليهم ،في كلّ جمعة كذلك ، ما يُخرج إليّ من الحكمة والوصايا والموعظة والعلم الحقيقي" [1] .

وإذا كان يحفل بلاط المعزّ برجال الدّعوة والعلم ،ويميل إلى الجدّ والوقار ، فإنّ البلاط الحمدوني بالمسيلة كان يتّسم بالرغد والترف ، وكان جعفر بن حمدون وأخيه يحيى[2] يتمتّعان في ولايتهما بامتيازات،جعلت قصورهما يُعمّران بالشعراء والأدباء [3] كان أشهر الوافدين على البلاط الحمدوني الشاعر الكبير "ابن هانئ"[4] .

وهكذا قامت قصور الأئمّة والأمراء ، بدور في احتضان الحياة الفكريّة ، بما يوافق توجّهات النخبة الحاكمة ، وتحوّلت إلى مؤسّسة تعليميّة ، تُعقد فيها مجالس العلم الباطني بحضور الإمام نفسه والذي كان يشارك بآرائه في النقاشات الدّائرة ،مصوّبا لأخطاء المتكلّمين ، وممليا عليهم أفكارهم وبقي القصر خاصّا في مجالسه بإزاء المسجد الذي كان يضمّ الموافق في المذهب والمخالف .

---

(1)المجالس والمسايرات ،ص.546 .

(2) ورد ذكر لهذين الأخوين في المصادر التاليّة : ابن الأبّار ،الحلّة السيراء ، ج.1 ، ص.305 ؛ ابن خلّكان وفيات الأعيان ، فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطميّة بالمغرب ،ص.353 .

(3) اليعلاوي : ابن هانئ ، ص.181 .

(4) سنُفرد في هذا البحث لشعر ابن هانئ مجالا في الفصل الرابع .

هـ(3) نشاط بيت الحــكمة :

هي أوّل جامعة إفريقية للعلم والترجمة،وقد أسسها في رقّادة إبراهيم بن أحمد سنة بعد تأسيس رقّادة 264هــ ليُنافس بها "بيت الحكمة"البغدادي[1] ،لذلك أسند رئاستها لعالم أديب بغدادي هو : أبو اليُسر الشيباني [2] ، الذي سيكون له بالغ الأثر في الحياة العلميّة والأدبيّة في العصر الأغلبي ، فأوجدت هذه الجامعة جوّا علميّا ونشاطا ثقافيّا ، فنمت بها العلوم الآداب وازدهرت في رحابها العلوم .بما كان يُترجم من مؤلّفات لاتينيّة ويونانيّة حول الفلسفة والرياضيات، وأنجبت نخبة من العلماء في الطبّ والفلسفة والفلك كان لهم أثر عظيم في الحياة الثقافيّة في العصر الأغلبي،بل امتدّ نشاطهم وتأثيرهم إلى العصر الفاطمي ، فكانت إذن مبعثا جيّدا وقويّا لنشر الثقافة العلميّة في إفريقية[3] .

يعتقد الأستاذ حسن حسني عبد الوهّاب أنّ هذه الجامعة كانت في أحد القصرين : إمّا قصر الصحن،أو قصر الفتح برقّادة[4]وأنّها بنظامها وأقسامها كانت تُشابه سميّتها في بغداد مع الفارق بين دار الخلافة ، ومقرّ الإمارة بطبيعة الحال ؛ ويُرجّح أنّها كانت تضمّ خمس قاعات (مجالس) فسيحة،فرشت جميعها بالحصير وكبار الزوّار [5]، وعدمّ التيقّن هنا سببه شحّ المعلومات عن هذه الجامعة ، ربّما بسبب نظرة عدم الرّضا التي يرمقها بها أهل إفرقية وذلك لاشتغال الذين يؤمّونا من مدرسين ودارسين بالعلوم العقليّة ، فأغفلت العديد من المصادر التاريخية ذكرها نتيجة لذلك [6] .

---

(1)ح.ح .عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقية التونسية ، ج.1 ،ص.26-29 .

(2) هو إبراهيم بن محمّد الشيباني ،ولد ببغداد وبها نشأ وتتلمذ على كبار أدباء القرن الثالث ،وأخذ عنهم مصنّفاتهم كما لقي من الشعراء أبا تمام والبحتري وروى عنهما ديوانيهما مباشرة .انظر : ح.ح .عبد الوهاب : نفس المرجع ج.1 ،ص.245 .

(3) نشيدة رافعي : المرجع السابق ، ص.402 .

(4) ح.ح .عبد الوهاب : نفس المرجع ، ص .233 وما بعدها .

(5) نفسه ، ص.194 وما بعدها .

(6) ممدوح حسين: المرجع السابق ،ص.83-84.

وقد أُفردت إحدى هذه القاعات لتكون مكتبة ، فاحتوت على عدد ضخم من الكتب نضّدت في خزائن وأرفف خشبيّة في شتى الموضوعات العلميّة والثقافيّة جُلبت من الآفاق إلى جانب الكتب كانت هناك خزائن تُحفظ فيها الآلات الفلكيّة وأدوات البحث العلمي الأخرى (1)، وقاعة أخرى خُصّصت لأعمال النسخ والترجمة .

ومن بين القاعات أيضا ، قاعة خُصّصت للدرس والمناظرة حيث كان الأستاذ يجلس على الكرسي ويُلقي مُحاضراته على الطلبة الجلوس بين يديه، وتُخصّص أوقات أُخرى للعلماء تدور فيها المناظرة بينهم في مواضيع مختلفة بحضور الزوار وطلبة العلم (2) ؛ والرّاجح أنّ المناظرات الأولى بين أبي عبد الله الشيعي وعلماء المالكيّة تمّت في بيت الحكمة .

ويُشرف على نظام بيت الحكمة قيّمون ، مهمّتهم السّهر على ما فيها من كتب وآلات ويرأس هؤلاء:الرئيس الذي يُختار عادة من بين الشخصيّات العلميّة يُدعى(صاحب بيت الحكمة)(3)والذي كان بالإضافة إلى هذه المهمّة الإداريّة ، يضطلع بمهامّه العلميّة من تدريس ومناظرة وبحث علمي وكان أبو اليُسر كما أسلفنا هو أوّل من تولّى هذا المنصب،الذي اقرّه عليه الفاطميّون عند دخولهم رقّادة .

أمّا الهيئة التدريسيّة التي أشرفت على نشاط وعمل بيت الحكمة-وقد عرّف الأستاذح.ح.عبد الوهاب بالعديد منهم(4)-فقد واصل العلماء الذين نشطوا في العصر الأغلبي عمليّة التأليف والدّرس فالتحق كثير منهم بخدمة الدّولة الفاطميّة ، كأبي اليسر الشيباني وأبي جعفر البغدادي الكاتب وزياد بن خلفون الطبيب وابن القمودي الفيلسوف(5) ،

---

(1) ح.ح .عبد الوهّاب : المرجع السابق ،ص 199 .

(2) ممدوح حسين : المرجع السابق ،ص.84 .

(3) نفسه ،ص.85 .

(4) عن هؤّلاء الأعلام راجع كتاب : ورقات ، ج.1 ، ص. 26 ،29 ،299 ،301 ،303 .

(5) يصفه الخشني بقوله : "كان حاد القنا ،بصيرا بوجوه الكلام ،عارفا بأبواب المناقضة ، متدرّبا في صناعة المعارضة..غلب عليه الإعتزال حتّى لُقّب بالفيلسوف فصارا نعتا له ".طبقات علماء إفريقية ،تقديم وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب،ط.1 مكتبة مدبولي القاهرة ،1993 .،ص.214 .

وكثيرا ما شارك أبو بكر بن القمودي في المناظرات العلميّة والمذهبيّة التي كانت تدور في بيت الحكمة وقتئذ،وأظهر من سعة العلم والمقدرة في المناظرة والجدل ما ميّزه عن أقرانه واستمرّ في نشاطه على ما بعد سقوط الدّولة الأغلبيّة وقيام الدّولة الفاطميّة [1]،حيث كان من اكبر مناوئي الدّولة الجديدة ،ويقول الخشني انّه ناظر أبا العباس الشيعي برقادة (في بيت الحكمة) مناظرة أفحمه فيها ممّا أثار عليه أبا عبد الله الشيعي،فوجّه غليه من الكلام ما جعله يخشى منه على نفسه ،فاضطرّ للاعتذار إليه ، بل كان ذلك هو السّبب في انضمامه إلى الدّعوة الفاطميّة منذئذ فولّوه دار السكّة [2] .

ومن هذا العرض السّريع لأقسام بيت الحكمة وأهمّ رجالاتها واهتماماتها في نشر العلوم والفلسفة والآداب، حيث عرفت حركة علميّة ، ووعي وتبادل للأفكار وشحذ للقرائح في هذا البيت وخارجه في كامل البلاد [3] ، وبقطع النظر عـــن الهداف العقائديّة الدعائية التي كان يرمي إليها الفاطميّون،إلاّ أنّها مثّلت إشعاع ثقافي بالغ الأهميّة ،وتدلّنا الأسماء التي كانت تختلف إلى بيت الحكمة أنّها لم تقتصر على الإسماعيليّة فقط ، حيث نجد أسماء سنّية مثل أبي سعيد عثمان ابن الحدّاد [4]وهو رأس المدرسة الكلاميّة في بلاد المغرب ،وأكبر من قاوم الفاطميين باستعمال المناظرة والجدل . فمجالس (بيت الحكمة) كانت تساير رغبة السلطة ،سواء كانت أغلبيّة أو فاطميّة ،في مناقشة موضوعاتها ، حيث كانت تُثار مواضيع في الفترة الفاطميّة ، تتعلّق بالخلافات بين السنّة والشيعة ، كما اختصّت بالعلوم العقليّة وازدهر فيها علم الكلام والجدل .

---

(1) ممدوح حسين : المرجع السابق ،ص.89 .

(2) الخشني : المصدر السّابق ، ص.222 ، وكذلك ابن عذارى ،البيان المغرب ،ص.1 ،ص.159 .

(3) النيفر : الحياة الأدبيّة بإفريقيّة 232 .

(4) نشيدة رافعي : المرجع السابق ،ص.449 .

الفصل الثالث :

أنشطة المجالس العلميّة ودور الحكّام الفاطميين فيها

أ ـ أنشطة المجالس العلميّة .

أ(1) مجالس المناظرات والجدل الدّيني

أ(2)نشاط مجالس الدّعوة

أ(3)نشاط تأليف الكتب

أ(4)مجالس التعليم والتدريس

ب ـ دَورُ الحكّام الفاطميين أنشطة المجالس العلميّة

ب(1) ـ في عهد عبيد الله

ب(2) ـ في عهد القائم بأمر الله

ب(3) ـ في عهد المنصور بالله

ب(4) ـفي عهد المعزّ لدين الله

أ ــ أنشطة المجالس العلميّة :

عرفت المرحلة المغربية من عمر الدولة الفاطمية (296 - 362 هـ/ 909 - 971 م) تطوراً مميزاً في تاريخها السياسي،ففيها تحوّلت من ولاية أو إمارة إلى خلافة، وفيها هيمن المذهب الإسماعيلي "الرسمي" بالقوّة ،على بقيّة المذاهب الأخرى ،فهي بحقّ نهاية عهد ، وبداية عهد آخر[1]، والسؤال الملحّ في هذا الصدد هو: هل واكب هذا التحوّل السياسي والمذهبي نشاط علمي منظّم ؟ وما هو دور الأئمّة في ذلك ؟

أشار بعض المؤرّخين إلى أنّه من التعسّف الربط بين التاريخ السياسي والتاريخ الفكري لعصر من العصور ، إذ ليس من الضروري أن يكون للأدب والثقافة في لحظات الضعف والتراجع أو فترات القوّة والازدهار ، علاقة عضويّة جدليّة بالسياسة والدّولة في أطوار ضعفها ، أو في عهود قوّتها وازدهارها[2] ؛ غير أنّه وفي العهد الفاطمي ،كان للتحوّل السياسي تأثير خاص إذ جاء في وصف المرحلة ، لدى محمد النيفر بــقوله :" تحوّل ثقافي جــديد ومنعرج أدبي مستحدث يناسب ويوازي،بل لعلّه نتيجة وإفراز،لذلك التحوّل السياسي المذهبي الحضاري[3].ولم يقتصر هذا التحوّل على مجال واحد ، بل شمل المجالات الفكريّة عامّة ، وأثّر في طرائق البحث ، ومضامين المناظرات والجدل، حيث انتقلت البحوث العامّة إلى اختيار مواضيع لها علاقة بالعقيدة الشيعيّة ، تدور حول حقّ آل البيت والصحابة،وفضل الأئمّة،وهي بحوث انعكست على مؤلفات العصرالفقهيّة ؛ وعلى الرغم من أنّ الحياة الفكريّة ليس لها ارتباط وجودي بالنظم السياسيّة ، أو الأسر الحاكمة لتظهر بظهور تلك النظم والأسر،وتختفي باختفائها،بل ترتبط بحياة العلماء والأدباء والمفكّرين ،والاستثناء الذي أحدثه الفاطميّون ، هو في المكانة التي تبوّأها الأمام باعتلائه هرم الفكر الدّيني والفلسفي

مقدّما نموذجا للحاكم المثقّف ، والمرجع المهمّ للتصويب والإشراف المباشــر على الحياة الفكريّة في مملكته،مما حدا بالبعض أن ينعت الدّولة الفاطميّة بدولة"الثقافة والمثقّف"[4] .

---

(1)نشيدة رافعي :المرجع السابق ،ص.365 .

(2)نشيدة رافعي : نفس المرجع والصفحة .

(3)النيفر : الحياة الأدبيّة ،ص.17 .

(4) عليّ نوح :الإسماعيليّة بين خصومها وأنصارها ،ط.1 ،دار التوحيدي للنشر ، سوريا ،2000 ،ص.122

أ(1) ــ مجالس المنــاظرات والجدل الدّيني :

تزامنت نشأة المناظرة في مرحلة مترادفة مع نشوء علم الكلام[1]،وكانت أداته الرئيسيّة للنقاش ففي المشرق،ظهرت مناظرات كثيرة بين علماء وفلاسفة إسلاميين،يمثّلون اتّجاهات مختلفة، ويتبنّون أفكار وعقائد ودعوات تتعارض مع بعضها البعض ، ظهر فيها جليّا حريّة التفكير في التعبير عن الآراء والمعتقدات،كما ظهر دورالفلسفة في وجودها[2]،ومن المناظرات المشهورة: مناظرة ابن عربي لفخر الدّين الرازي،ومناظرة داعي دعاة الدّولة الفاطميّة المؤيّد في الدّين لأبي العلاء المعريّ[3] .

أمّا المناظرات التي ظهرت في كتب خاصّة فأهمّها:مناظرة أبي حاتم الرازي " الإسماعيلي" مع أبي بكر الرازي"الطبيب"،وقد دوّن وقائعها وتفاصيلها أبو حاتم في كتابه:أعلام النبوّة [4]وهناك مناقشة بديع الزمان الهمداني مع الخوارزمي،ومناظرة ابن سينا وأبي ريحان البيروني[5].وأهمّ مناظرة " رباعيّة "كانت بين أربعة من كبار الدّعاة الإسماعيليّة ، وهم من الأعلام في الفلسفة ،ومن المستغرب أن يكونوا أعضاء عاملين في مدرسة فكريّة واحدة ،فبعد ظهور كتاب"المحصول"الذي ينسب للدّاعي الرازي ، فوضع كتابا نـــاقش فيه ما جاء الإسماعيلي"محمد بن احمد النسفي"حفّز الدّاعي أبو حاتم، في كتاب المحصول وسمّاه " الإصلاح" وما أورده،فيه من أراء ،أوجد ردة فعل لدى داعي إسماعيلي آخر هو:أبو يعقوب السجستاني فاعتبرها مخالفة للأصول والواقع وهذا ما جعله يقوم بتأليف كتاب يناقش فيه آراء الرازي سمّاه" النصرة" وفيه ينتصر للمحصول ، ويهاجم أبا حاتم الرازي ، وبعدها يستعرض داعـــي إسماعيلي آخر

---

(1)محمد عبد الغني الشيخ : النثر الفنّي في العصر العبّاسي الأوّل ،د.م.ج ،الجزائر ،1983 ،ج.1 ،صص.36-37 .

(2)مقدّمة كتاب :المناظرات للرازي ،تحقيق:عارف تامر ، ط.1 ، مطبعة عزّ الدّين للطباعة ،بيروت ،1992 ،ص.11 .

(3)كانت المناظرة حول فلسفة أبي العلاء واجتنابه أكل اللحوم ،أنظر : بين أبي العلاء المعرّي وداعي الدّعاة الفاطمي خمس رسائل مفيدة ،المطبعة السلفيّة ومكتبتها ، القاهرة، 1349 هـــ .

(4) أنظر :أعلام النبوّة ، ط.1 ، دار السّاقي ، بيروت ، 2003 .

(5) كتاب المناظرات ، مقدّمة المحقّق ،ص.12. .

هو"حميد الدّين الكرماني " الموضوع بكامله ، فألّف كتابه "الرياض " في الحكم بين الدّعاة الثلاث فنقدهم نقدا علميا موضوعيّا [1]. فهذا النقاش يعطينا انطباعا عن الحريّة الفكريّة التي كانت سائدة في أوساط العلماء في المشرق ، في ذلك العصر ، وعن انفتاح صدورهم لتقبّل النقد البناء ، وهم من أعضاء مدرسة فكريّة واحدة .

وفي بلاد المغرب،ظهرت فئة من العلماء لم تؤيّد المناظرات الكلاميّة،لما تولّده من التعصّبات وفتح باب النقاش في مسائل لا طائل منها،ولكنّهم استعملوها وسيلة ملائمة للنقاش في علم الفقه[2]،لا سيما المسائل الخلاف بين المذاهب المختلفة [3] فبواسطتها يتمّ التوصل إلى الكثير من الأحكام الفقهيّة.وقد تكون المناظرة في أصول الفقه وهي الكتاب والسنّة والاجتهاد[4]. و هنا تبرز المناظرة أداة ، توفّر أرضيّة ملائمة للفقهاء لإثبـــات قدراتهم الفقهيّة ، وفسح مجال الاجتهاد أمامهم.

ومن هنا عدّت المناظرة دائما،معاكسة للتقليد،وأكثر من عُرف من الفقهاء باهتمامه بالمنـــاظرة وممارستها ، عُرف أيضا بالمقابل بتركه للتقليد ،مثل قاسم محمد بن القاسم [5] وحسن بن سعد بن إدريس (ت332هـــ / 943 م) [6]،مع هذا اتّهم فقهاء المالكيّة بالتقليد . والسؤال المهمّ الذي يثيره موضوع المناظرات في بلاد المغرب وهو : هل لوجود الإسماعيليّة بما عرف عنهم من تجاوز للمناهج التقليديّة في البحث ، من أثر في تفعيل مجالس المناظرات في مسائل هي من أصول الدّين عند أهل السنّة من المالكيّة ؟

---

(1) أنظر : المرجع السابق ،ص.13-14-15 .

(2) محمد بن محمد الغزالي : إحياء علوم الدّين ،ج.1 ،ص.37 .

(3)ابن عبد البر : جامع بيان العلم ،ج.2 ،ص.119 ؛ الغزالي : نفس المصدر والصفحة .

(4)الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقّه ،ج.1 ،ص.45 .

(5)القاضي عياض : ترتيب المدارك ،ج.4 ،ص.446 .

(6)ابن الفرضي : المصدر السابق ،ج.1 ،ص.129 .

لقد كان للعديد من الفقهاء المالكيّة خبرة ودراية بالمناظرة ، فبعضهم ناظر في رحلته إلى المشرق مثل قاسم بن محمد بن قاسم الذي ناظر محمد بن عبد الحكم،والمزني في مصر [1] وأحمد بن ملول (تــ262هــ/875م) الذي ناظر محمد بن عبد الحكم أيضا [2]. وقد دخل فقهاء المالكيّة في المغرب في مناظرات مع فقهاء الحنفيّة ، فقد كان المذهب الحنفي المنافس الرئيسي للمالكيّة،خاصّة أنّه كان المذهب الرسمي للدولة الأغلبيّة،ومن جرّاء تلك المنافسة حصلت مناظرات بين عدد من فقهاء المذهبين ، وبعض تلك المناظرات تمّت بإشراف أمراء الأغالبة [3] كما اشتهرت المناظرات الفقهيّة ، وهي نوع من التدريب على الفتوى والحصول على المهارة في استنباط الأحكام الفقهيّة ،وهي تنحصر غالبا بالتناظر في كتب المالكيّة الرئيسيّة وفي مقدّمتها الموطّأ والمدوّنة [4]؛وكانت الغاية الرئيسيّة منها الدرس والاستفادة العلميّة [5].وبالرغم من ذلك فإنّه ومنذ القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد شاع التقليد كثيرا بين الفقهاء بصورة عامّة، بحيث أصبح ذلك في القرون التالية صفة ثابتة لغالبية الفقهاء من مختلف المذاهب الفقهيّة،وقلّة قليلة من كان يعدّ منهم مجتهدا [6].

---

(1) الخشني:أخبار الفقهاء،ص.304 نقلا عن : علياء هاشم ذنون محمد المشهداني ، فقهاء المالكيّة ، دراسة في علاقاتهم العلميّة في الأندلس والمغرب حتّى منتصف القرن السادس للهجرة ، أطروحة دكتواه ،إشراف :مزاحم علاوي الشاهري ص.126 .

(2) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج.4 ،ص.235 .

(3) ناظر فقهاء المالكيّة فقهاء الحنفيّة ، وبعض تلك المناظرات تمّت بإشراف أمراء الأغالبة .مثل مناظرة أبي محرز محمد بن عبد الله مع أسد بن الفرات ،عند الأمير زيادة الله بن الأغلب ،في موضوع تحريم النبيذ .أنظر : أبو العرب ،طبقات علماء إفريقية ،ص .172 ؛المالكي ،رياض النفوس ،ج.1 ،ص.288 .ومناظرة أخرى عقدت أيضا بإشراف الأمير زيادة الله ،تناظر فيها الجعفري والعنبري في موضوع خلق القرآن .أنظر :أبو العرب ،نفس المصدر ،ص.172 .ولأبي العباس عبد الله بن طالب مناظرة مع الفقيه الحنفي ابن عبدون في عهد ابراهيم بن الأغلب ،وفيها ظهر سعيد ابن الحدّاد الذي آزر ابن طالب ،وانتهت المناظرة بانتصاره .أنظر :القاضي عياض ترتيب المدارك،ج.4 ، عياض ، ص.326-327 .

(4) علياء هاشم المشهداني : نفس المرجع ، ص. 128

(5) عن بعض تلك المناظرات أنظر :القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،ج.5 ،ص.67 ،111 ،129؛ علياء هاشم : نفس المرجع ،ص.128 ،133 .

(6) نفسه ،ص.126 .

على أنّ بلاد المغرب شهدت مجالس للمناظرات من نوع آخر،كانت انعكاسا لظروف سياسية مرّت بها خلال الحكم الفاطمي ، حيث اتّخذ الفاطميّون المناظرة وسيلة لإقناع الناس بتغيير مذهبهم [1] ، و سعوا إلى ضرب الرقابة التي سلّطها علماء المالكيّة على الحياة الفكريّة ، وشجّعوا على تعاطي مختلف أنواع العلوم مثل الفلسفة والتأويل إلى جانب الجدل والشعر ، وهو ما سمح بتوفير فرصة لعلماء إفريقية كيّ يخرجوا من مجالات الفقه العقيمة والضيّقة [2] . كما تطلّب الأمر اتخاذ موقف الدّفاع والجهاد العلمي ضدّ المذهب الجديد [3] فقد شهدت القيروان مجلس مناظرة ،بين فقهاء المالكيّة عقد لتلك الغاية في جامع القيروان برئاسة ربيع القطّان[4] ، وممن حضر من الفقهاء أبو سعيد خلف بن عمر وأبو الأزهر بن معتب ، وأبو محمد بن أبي زيد ، وعبد الخالق بن شلبون،وابن التبّان وأبو الحسن القابسي ومحمد بن أحمد السدري وابن أخي هشام وعمر بن محمد السعال وعبد الله بن عامر بن الحداد وابن أبي الليث مولى ابن اللباد وعبد الله بن الأحدري[5] .

ومن مناظراتهم في القيروان ، المناظرات التي تمّت مع أبي عثمان سعيد ابن الحدّاد ، الذي ناظر أبرز علماء الفاطميين ، مع أنّ البعض نصحه بالتقيّة ، بتجنّب المناظرة ، إلاّ أنّه أصرّ عليها نصرا لمذهبه ، و لم يخف من هيبة السلطان أو بطش الفاطميين بل كان رابط الجأش في المناظرة واثقا من قوّة حجّته وقدرته [6] ، تولى مناظرة الفاطميين وممثّليهم ، في بعض المسائل التي مثّلت محلّ خلاف كبير بين أهل السنّة والشيعة والفرق الأخرى ، مثل مسائل القياس وتفضيل عليٍّ .

---

(1) الدباغ :معالم الإيمان ،ج.2 ،ص.298 .

(2)نجم الدّين الهنتاتي : المرجع السابق ،ص.157 .

(3) مكّن الصراع المذهبي من بروز المدرسة الكلاميّة السنيّة بإفريقية وتألّقها ، إذ أنّها عرفت أوج ازدهارها في بداية العهد الفاطمي،وقد تمّ ذلك على يد رئيسها سعيد بن الحداد (تـــ302هــ/915م).أنظر:علياء هاشم المرجع السابق ،ص.157 .

(4) القاضي عياض :المصدر السابق ،ج.5 ،ص.297 ،310 .

(5) نفس المصدر والصفحة .

(6) الخشني : طبقات علماء إفريقية ،ص.199 .

بن أبي طالب والتّصلية عليه وحديث غدير خمّ(..)وربّما تّمت جلّ هذه المناظرات ببيت الحكمة[1] وقد عرّفنا الخشني بأربعة مجالس منها لكن بصفة مقتضبة [2] ، أمّا المالكي فقد تميّزت أخباره عن هذه المجالس بالإطناب والدّقة[3] ، ويظهر أنّها عقدت أوّلا بحضور أبي عبد الله الصنعاني[4] ، ثمّ بحضور أبي العباس أخي أبي عبد الله [5]، وأخيرا بحضور عبيد الله المهدي[6] وهي تمثّل محاولات قام بها هؤلاء الحكّام لإقناع أهل السنّة بالتحوّل إلى المذهب الشيعي ، ظنّا منهم أنّ علماء إفريقية قاصرون عن الدّفاع عن اتّجاههم السنّي ، إلاّ أنّ تمرّس ابن الحداد وأتباعه من المدرسة الكلاميّة جعل أبا العبـــاس ثمّ المهديّ يعمدان إلى استعمال القوّة لنشر الإتّجاه الشيعي[7] .

وإلى جانب ابن الحدّاد نذكر أبا بكر بن هذيل،وإبراهيم بن محمد الضبّي الذي كان يقول : " إنّي أتكلّم في سبعة عشر فنّا من العلم[8]هذان العالمان قتلهما أبو العبّاس سنة(تــ297هــ/909 م) ، وهما من تلاميذ ابن الحدّاد ، إلى جـــانب أحمد بن موسى التمّار (تــ329هــ/940م) الذي يعنى بالمناظرة والجدل [9].

---

(1) نجم الدّين الهنتاتي : المرجع السابق ،ص.157 -158 .

(2)طبقات علماء إفريقية ، ص.199 ،212 .

(3) رياض النفوس ، ج.2 ،ص.76 ،96 .

(4)كان موضوع المناظرة الأولى حجيّة القياس ،ورفع الشبهة عن كبار الصحابة (ض) ، وإظهار مكانة عليّ بن أبي طالب (ض) ، ويظهر فيها تسامح الدّاعي ولينه مع مناظره . أنظر : المالكي، نفس المصدر ، ص. 175 وما بعدها ؛ ويورد الخشني (ص.199) هذه المناظرة لكن يذكر أنّ مناظرهُ هو أبو العبّاس ، وليس أبا عبد الله .

(5) كان موضوع المناظرة الثانيّة في أفضليّة عليّ (ض) ، والحديث عن الخاصّ والعام ،والظاهر والباطن ، والألوهيّة والربوبيّة وكلّها في أصول الدين وأصول الفقه .أنظر :المالكي :نفس المصدر ،ص.86 -87 وما بعدها .

(6) المالكي :نفس المصدر،ج.2 ،ص.58-59 وما بعدها من عدّة صفحات .

(7) نجم الدّين الهنتاتي :نفس المرجع ،ص.158 .

(8)الخشني :الطبقات ،ص.215-216 .

(9)نفس المصدر ،ص.171 .

ومحمد الرقّادي (تــ316/928م)الذي أخذ في الذبّ عن مذهب السنّة على معاني سعيد بن الحدّاد وكان حادّا حاذقا بصيرا بحدود المناظرة ، حاضر الجواب مليح المناظرة وألّف كتبا كثيرة في ذلك وكان ظهوره واشتهاره بعد سعيد بن الحدّاد [1] ، ومحمد المعروف بابن أحد الشركاء الذي يتكلّم في الجدل على معاني سعيد بن الحدّاد[2] .

وبعد اضطهاد بعض أتباع المدرسة الكلاميّة،وهي عمليّة محدودة زمنيّا [3]،اهتمّ الحكّام الفاطميّون باضطهاد أتباع المذهب المالكي،وقد أكدّ الخشني ذلك بقوله: " ودارت على الناس كثير دوائر من قتل وضرب ، إلاّ أنهم ليسوا من العلماء ، كدائرة عروس في خلع لسانه[4] .

أمّا الحكّام الفاطميون فقد اتّسموا بقوّة الجدل في المجالس التي يعقدونها ، نظرا لسعة ثقافتهم وتمكّنهم من الأداء ووسائله ، وتفانيهم في الدّفاع عن معتقداتهم ، فهذا المنصور يشجّع المعزّ على مناظرته حيث قال القاضي النعمان : " سمعت المعزّ يقول في مجلس :كان المنصـــور إذا أفادني شيء من العلم والحكمة ، ربّما قال لي : عاودني فيه وسلني عنه،وعن معانيه ، وناظرني واحتجّ عليّ[5] .

ومن أنواع المناظرة ما كان لإثبات الرأي ، مثل طلب المنصور من لمعزّ عرض إشكالاته فلمّا صرّح المعزّ أنّ قوله لا إشكال فيه ، طلب منه أن يأخذ موقف العدوّ المخالف في الرأي لأنّ العلم والحكمة ، في رأي المنصور ،لا يثبتان في القلوب ، إلاّ بعد الحجّة والمعارضة [6] .

شعور الشيعة بتفوّقهم على غيرهم ونظرتهم لغيرهم فيها الكثير من السخرية والفرقة،وهذا ما لمسناه عند القاضي النعمان وهو يورد حديثا بين قبيلة كتامة ورئيسها[7]

---

(1) الخشني :الطبقات ،ص.217 -218 .

(2) نفسه : ص.219 .

(3)نجم الدين الهنتاتي : المرجع السابق ،ص.159 .

(4) الطبقات ،ص.232 .

(5) المجالس والمسايرات ،ص.133.

(6) نفسه،ص.117 .

(7) النعمان : افتتاح الدعوة ،ص.85 .

أمّا ما يتعلّق بمناظرات الخوارج الوهبيّة [1] فكان أبو نوح سعيد بن زنغيل ، زعيمهم بدون منازع ،الذي ترجم له الدرجيني في الطبقات وصنّفه بين علماء الطبقة الثامنة (350-400هـ) وأورد كثيرا من أخباره ووصفه بأنّه أنجب من طالع ودرس ... فلكلّ فصل منها في دجى العلم شهاب ثاقب[2]؛وكانت له مكانة مرموقة عند المعزّ لدين الله وقال عنه:"سعيد فتى مجادل،لفصاحته وبراعته وعلمه بفنون الرد على المخالفين في المناظرات التي كانت تعقد في البلاط الفاطمي ،حين كان المعزّ يجمع بين يديه علماء الفرق المختلفة ويتناظرون ، ويرسل إلى أبي نوح يناظر بين يديه المخالفين ، فيحكم بينهم ، وقد يعجب الباحث من العلاقة الحميمية بين أبي نوح والمعزّ لدين الله الذي تحوّلت على ولاء ودفاع عن العبيديين[3] .

وقد جرى يوما حديثٌ في مجلس المعزّ لدين الله ، فاقترح المعزّ على سعيد أن يسأل عمّا بدا له فابتدأ سعيد بقوله:"ما الدليل أن لهذه الصنعة صانعا ؟"وأجاب المعزّ فيها جوابا شافيا ، بعد انقطاع الجماعة ، فلمّا روى سعيد إجابة المعزّ للشيخ أبي خزر أعجب بها [4] .

كما جرت مناظرة بين "ابن زنغيل" الخارجي الوهبي ، ويحيى الأعرج النكاري[5] ، وكان هذا الأخير شيخ من شيوخ النكّار وعالما من علمائهم وهي مناظرة في العقيدة الإسلاميّة [6].

---

(1)الخوارج الوهبيّة :حسب ابن الصغير فإنّهم سمّوا كذلك لاتباعهم عبد الوهاب ،لكن البرادي يرى أنّ ذلك يعود إلى اتّباعهم عبد الله بن وهب الراسبي .

(2) طبقات المشايخ بالمغرب ،تح.إبراهيم طلاي ،مطبعة البعث ،الجزائر ،د.ت ،ج.2 ،ص.353،367 .

(3) أبو زكريا :كتاب سير الأئمّة وأخبارهم ،تح.اسماعيل العربي ،د.م .ج ، الجزائر ،د.ط ،1984 .

(4)أبو زكريا : نفس المصدر ،ص.226-227.

(5)الخوارج النكّاريّة : سمّوا كذلك لأنّهم أنكروا إمامة عبد الوهاب .

(6)أبو زكريا : نفس المصدر ،ص.340-341 .

أ(2) ـــ نشاط مجالس الدَّعوة :

كانت الدعوة الإسماعيليّة مضطرّة لأن تذيع وتنشر تعاليمها سرّا ، في دور السّتر [1] ، وعمل الأئمة على نشر تلك التعاليم من خلال دعاتهم ، الذين كانوا يدعون الناس لإتباع الإمام الحق ويعلّمون المستجيبين (الحكمة) . والدّاعي باعتباره معلما هو أكثر الشخصيات المميزة للحركة الإسماعيلية[2]وكانت ممارسة الاسماعيليين منذ البدايات الأولى للدعوة ، أن يقوموا بإيصال(الحكمة) إلى تلاميذهم،عبر جلسات تعليمية،عرفت بـــ : مجالس الحكمة [3]

ولكن بعد استيلاء الإسماعيليّة على بلاد المغرب أولا، ثمّ مصر بعد ذلك ،أقيمت لإلقائها مجالس خاصّة يلقي فيها الإمام الإسماعيلي الدعوة أحيانا ،أو بابه الذي عرف بعد ذلك بداعي الدّعاة [4] في أكثر الأحيان نيابة عن الإمام .وبقيام الحكم الفاطمي، صار بإمكان الدعوة العمل علنا ، داخل مجال النفوذ الفاطمي في الأقل ؛ و لم يعد الدّعاة مضطرين للعمل سرا إلا خارج حدود أراضي الفاطميين. واتخذت مجالس الحكمة صفة مؤسساتية،لكن لم يكن بإمكان أحد المشاركة فيها بالطبع سوى أولئك الذين قطعوا على أنفسهم العهد .

تختلف هذه المجالس باختلاف الدّاعي ،فمجالس القاضي النعمان في تأويل فقه الفاطميين والمؤيّد يميل في تأويله إلى فلسفة المذهب،أمّا المجالس المستنصريه فهو تأويل بدائي [5].

---

(1) نادرا ما كان يظهر الدّعاة للجمهور علنا ،بل يفضّلون مخاطبة أُناس معيّنين مستقلّين ، وإثارة الرغبة لديهم في معرفة أسرار الدعوة ،فإذا استجاب للدّاعي،أُخذ عليه العهد بالمحافظة على سريّة الدعوة،وذلك قبل البدء بتلقينه. عن طريقة العهد الذي يُلزم به الدّاعي المستجيب أنظر : هانز هالم ، العهد الإسماعيلي ومجالس الحكمة زمن الفاطميين،صمن كتاب:الإسماعيليّون في العصر الوسيط،تاريخهم وفكرهم ، القصير،ص.124،99 .

(2) هو الذي يعدّ هذه المحاضرات ،ويرفعها إلى الإمام فيُوقّعها هذا بعلامته ،ويعيدها إلى كبير دعاته فيلقيها على المستجيبين . محمد كامل حسين :في أدب مصر الفاطميّة ، ص.54 .

(3) هانز هالم :المرجع السابق ،ص.107 .

(4)باب الأبواب أو داعي الدّعاة هو دون الحجّة وفوق الدّعاة ،أنظر:مقدّمة محقّق كتاب ،تأويل الدّعائم ،ج.1 ص.39.ويذهب المقريزي إلى أنّ مرتبة داعي الدّعاة كانت من مفردات الدّولة الفاطميّة في مصر، و داعي الدّعاة لا يستتر ،بل هو معروف بين الدّعاة جميعا .محمد كامل حسين :طائفة الإسماعيليّة ،ص.140. أمّا في الدّور المغربي فلم يظهر هذا اللقب .هانز هالم : نفس المرجع ،ص.108 .

(5) محمد كامل حسين ،نفس المرجع ،ص.55 .

وأسلوب التدريس في مجالس الدّعوة في الدور المغربي يوضّح الطرق التي مارسها الدّعاة في تعليمهم للعامّة[1] ، وبذات الطريقة تماما ، يقوم أوّل داعي في بلاد المغرب بتعليم أتباعه من بربر كتامة ،حيث أورد النعمان في كتاب "إفتتاح الدعوة " وصفا للطريقة التي سلكها الدّاعي في عمله فكان من البداية :"يجلس لهم ويحدّثهم بظاهر فضائل عليّ بن أبي طالب (ض) والأئمّة من ولده عليهم السلام ، فكلّما رأى واحدا منهم قد تلقّن ، وأحسّ فيه ما يريد ،ألقى إليه شيئا بعد شيء متى يجيبه فيأخذ عليه "[2] .

فظهرت نتائج الدعوة في عشيرة بني سكتان، الذين منحوه ضيافتهم وحمايتهم. فكانوا أول من لقن في المعتقد الإسماعيلي في المغرب : " ودعا جماعة من بني سكتان فاخلوا له مجلسا للسماع ، وكانوا يقومون بضيافة من يأتيه ، ويرد عليه[3] " ؛ " وكان يتعهدهم بالوصايا والتذكرة ويكرر عليه المواعظ والحكمة فيجمعهم لذلك ويجلس لهم أكثر أيامه، ويأمر من أطلقه من الدعاة بذلك ويربيه عليه ، فكانت أيامهم أكثرها مشاهدة وسماع ومواعظ[4]. كما شاركت النساء في هذه المجالس لسماع الحكمة "[5].

وبعد مقتل الداعي أبي عبد الله الشيعي، سنة298هـ/ 911م، خلفه في منصب داعي الدعاة واحد من تلاميذه الأكثر موهبة، بربري من كتامة من قبيلة ملّوسة يدعى أفلح بن هرون الملوسي.

---

(1) موضوع العلاقة بين المعلم والتلميذ كان موضوعا لواحد من أقدم أعمال الأدب الإسماعيلي، (كتاب العالم والغلام)، المنسوب إلى أول داع في اليمن، ابن حوشب منصور اليمن. وعلى الرغم من أن حبكة (حكاية التلقين) هذه خيالية، إلا أنها تمثل انعكاسا للممارسة التي كان يطبقها الدعاة الاوائل. أنظر:جعفر بن منصور اليمن ،العالم والغلام ،ضمن كتاب :أربع كتب حقّانيّة ،تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت ،المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ،ط.2 ،1978 .

(2) الافتتاح،ص.49.

(3) نفسه ،ص.53.

(4) نفسه ،ص.128.

(5)نفسه،ص.132.

لدينا بخصوص نشاطات أفلح بن هارون ،رواية هامّة جدّا ،تنبع من سيرة الإمام المهديّ لا بدّ أنّها كانت سيرة من تصنيف الدّاعي أبي عبد الله بن الأسود بن الهيثم [1] ، وكان المؤلّف يعرف أفلح شخصيّا ،وبمناسبة حديثه عن وفاة أفلح،يتذكّر أسلوبه في التدريس في مجالس الحكمة :

"وسمعت عنده دعوة النساء ،وما يخاطبهنّ به من الدّلائل التي تقبلها عقولهنّ ويحفظنها، وكان يقول فلله الحجّة البالغة ،وقال : هي الحجّة التي يخاطب بها العالم من علمه والجاهل من حيث يعقل . ولقد كان يخاطب المرأة ، ويقيم لها الدّليل من حليّها ، وخاتمها و خناقها ، وخلخالها وسوارها ، وثوبها وعجارها،ومن الغزل والشعر واللباس وغيره ممّا هو من حلية النساء ، وكان يخاطب الصانع من صناعته ، ويخاطب الخيّاط من إبرته وخيطه وحلقته ومقصّه ، ويخاطب الرّاعي من عصاه وكسائه "[2] .

وعندما توفي أفلح بن هارون قبل عام 311هـ/923 م خلفه على باب الترجيح أبا عبد الله بن الأسود بن الهيثم،الذي ندين له بخبر قصير يكشف أساليب الدّعوة.وليس لدينا أيّ شهادة أخرى على الفترة الفاطميّة المبكّرة ،توضّح الأساليب التي مارسها الدّعاة في تعليمهم للعامّة [3]. وفي العام 336هـ/948 م ،قام المنصور بتعيين النعمان بن محمد ، الذي كان حتى ذلك الوقت قاضيا على طرابلس ، قاضيا للقضاة [4] ، وتضمّنت كتابات القاضي النعمان روايات عديدة بخصوص تعاليمه التي تناولت كل من الظاهر والباطن [5] .

---

(1) هانز هالم : المرجع السابق ،ص.108 .

(2)عماد الدّين إدريس : عيون الأخبار ،ج.5 ،ص.137 .نقلا عن :هانز هالم ،المرجع السابق ،ص.108 .

(3)هانز هالم : نفس المرجع والصفحة .

(4) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.348 .

(5) حول كتابات القاضي النعمان ، أنظر: مقدّمة كتاب الهمّة ، تحقيق :محمد كامل حسين ،ص.11-12.

رأى الأئمّة الاعتماد على مجالس الدّعوة، لبث أفكار وعقائد المذهب الإسماعيلي بمعنى أنّهم أرادوا أن تكون مدارس الدّعوة أداة اتّصال بينهم وبين أشياعهم،لا بينهم وبين رعاياهم عامّة حتى تظلّ زعامتهم عليهم قائمة ، ويظلّ المذهب الإسماعيلي رائجا بينهم وحتمت عليهم المرحلة الجديدة ، التي هي مرحلة الظهور مواجهة التحدّي بالحجج ، عن طريق مجالس منتظمة[1].كان العمل يتمّ وفق نظام محدّد ، بأنّ يلقي أحد الدّعاة دروس الدّعوة في هذه المجالس ، بعد موافقة الإمام الإسماعيلي وتوقيعه[2] .وحدّدوا للدعوة مكانا خاصّا يسمّى "المحوّل " ،وهو أشبه بقاعات المحاضرات في عصرنا الحديث [3] .

يذكر النعمان أنّه سمع بعضهم يحرّض بعضا في الاجتماع لقراءة كتاب الدّعائم ، الذي بسطه المعزّ لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره ، وأباح لهم متى أحبّوا استماعه وقراءته واستنساخه والتعلّم منه والتفقه فيه [4] وتعقد هذه المجالس أحيانا في أماكن ثلاث:القصر المسجد،ودور العلم المعروفة بدور الحكمة أيام الإسماعيليّة، فكلّ المجالس التي عقدها الدّعاة هي مجالس تعليميّة ،ولكن لهذه المجالس درجات [5]،و لم تقسّم على حسب الطبقات الاجتماعية لجمهورالمؤمنين،إنّما قسّمت على حسب مرتبة الحاضرين في مدارج الدّعوة[6].

---

(1) تكتب هذه المجالس عادة على أنها صادرة عن الإمام ،لذلك يختفي اسم الدّاعي ولا يظهر في كتب المجالس . محمد كامل حسين ، في أدب مصر الفاطميّة ،ص.54 .وذكر النعمان أنّ هذه المجالس كانت تلقى كلّ يوم جمعة ..لسماع الحكمة . المجالس والمسايرات ،ص.487 .

(2) محمد كامل حسين : المرجع السابق ،ص.54 .

(3) منتخبات إسماعيلية ، تحقيق :عادل العوّا ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ،1958 ،ص.17.

(4) المجالس والمسايرات ،ص.306 .

(5)ذكر ابن النديم في"الفهرست"أن من كتب الباطنية الإسماعيلية:"البلاغات السبعة"،فالبلاغ الأول للعامة والثاني لمن فوقهم قليلا،والثالث لمن دخل في المذهب مدة سنة،والرابع لمن دخل لمدة سنتين ، والخامس لثلاث سنين ، والسادس لأربع سنين ، أما السابع ففيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر ، قال : "قال محمد بن إسحاق:قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها". أنظر: الفهرست ،ص.240؛وذكر عبد القاهر البغدادي أن"البلاغ الأكبر والناموس الأعظم"هو رسالة عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي.الفرق بين الفرق ،ص.256 .

(6) محمد كامل حسين ،نفس المرجع،ص.54 .

والشريعة ، طبقا للمدرسة الفقهية الإسماعيلية ، كانت في متناول جميع المسلمين ، لأنها تشكل القاعدة الشرعية للحياة اليومية للجميع،لكن بما أنها كانت حديثة العهد ، والقاضي النعمان نفسه كان قد صنفها بناء على التراث الشيعي [(1)] ، فقد كان من الواجب تعريف الناس بها، وهذا ما تم القيام به في صورة مجالس تعليمية عامة ،لذلك كانت مجالس التعليم الظاهر ،أي الفقه الإسماعيلي عامّة ، مفتوحة لكلّ راغب ، وكان القاضي النعمان يعقد هذه المجالس كلّ يوم جمعة ، في أعقاب صلاة الجمعة ، ما بين صلاتي الظهر والعصر ،وفي المسجد الكبير بالقيروان ،ثمّ في مسجد المنصوريّة الذي حمل اسم الأزهر فيما بعد[(2)] . أمّا مجالس الحكمة أو "دروس الباطن" ، فقد كان دخولها مقتصرا على المستجيبين ، وتمّ عقدها داخل مقرّ الإمام في المنصوريّة [(3)] ، وكان النعمان هو من يعقد هذه المجالس أيضا أيام الجمع ، لكن بعد صلاة العصر ،عندما ينصرف الجمهور ولا يبقى إلا أولياء الله، كما كان الإسماعيليون يسمون أنفسهم [(4)] ؛ ويصف لنا النعمان كيفية تنظيم تلك المجالس في قصور المنصورية زمن فترة حكم المعز فيقول :" ولما فتح المعز لدين الله للمؤمنين باب رحمته واقبل عليهم بوجه فضله ونعمته ، أخرج إليّ كتبا من علم الباطن ،وأمرني أن أقراها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه ، فكثر الازدحام .... وقيل له في ذلك ووصف له أن فيمن شملته الدعوة أهل تخلف ومن لا يكاد يفهم القول ،وإن مثل هؤلاء لو ميزوا وجعل لهم مجلس يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ويفهمون، لكان أنفع لهم "[(5)].

إن ما ألقاه القاضي النعمان في"مجالس الحكمة "تلك وصلنا في كتابه، " تأويل الدعائم" وهو الكتاب الباطني المعادل به الظاهري في الفقه الإسماعيلي . فأحدهما يمثل الظاهر ، والآخر الباطن. وكل فصل من فصول " التأويل " المائة والعشرين يحمل العنوان المميز " مجالس ".

---

(1)سيرد الحديث عن مصادر الفقه الإسماعيلي ،وتطوّره في الفترة موضوع الدراسة ، في الفصل التالي .

(2)هانز هالم : المرجع السابق ،ص.109 .

(3)هانز هالم : نفس المرجع والصفحة .

(4) القاضي النعمان : المصدر السابق. ص 487.

(5) المجالس والمسايرات ،ص.386 .

أ (3) نشاط تأليف الكتب في العهد الفاطمي :

في بيئة غلب عليها التحضّر،كما هو حال مدن إفريقية،كان للتدوين دور كبير في توعيّة الناس ونقل المعارف، فكان للكتاب مكانته عند السنّة ، ساعد على ذلك كثرة العلماء[1]، ورخس ثمن الورق[2] ، وتشجيع الأمراء الأغالبة [3].وكذلك هو الشأن بالنسبة للفاطميين النازحين من بيئات متحضّرة في المشرق العربي،وذلك بالتأكيد على الدّعوة التعليميّة نُصرة لمذهبهم في زمن نضجت فيه العلوم ،وركنت إلى تصنيف الكتب وتدوين المعارف .

إلى جانب ذلك ، عمد بعض علماء المالكيّة إلى التأليف ،كوسيلة لمقاومة خصومهم من أهل الرأي في البداية ، ثمّ الفاطميين بعد ذلك ، فقد ألّف أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (تــ359هــ/969م) كتابا في الإمامة ، والردّ على الرافضة فامتحنه القائم و حبسه[4] ، وكان للمالكيّة طريقة في التأليف تعتمد **أوّلا** :على مقابلة و تصحيح الكتب ، فبعد الحصول على السّماع واستنساخ المادّة المسموعة ،تبدأ مرحلة توثيق ذلك السّماع وضبطه لتكتمل شروط روايته لصاحبه،وأوّل خطوة يجب القيام بها المقابلة أو المعارضة [5]، مثل ما ورد في الرسالة الجوابيّة من عبد الله بن أبي زيد (تــ386هــ/996م) إلى أحمد بن موسى (تــ324هــ/935م) في بغداد ، يجيبه على طلبه الإجازة منه لكتابيه المختصر ، والنوادر ، وأخبره أن طالبين من طلاب سيتوجّهان إليه في بغداد للأخذ عنه، لديهما نسخة مصححة ومقابلة من المختصر[6].

---

(1)يقول ح.ح.عبد الوهاب أنّه أحصى من علماء الكلام والجدل(وهو علم ثانوي) من أهل إفريقية خلال القرن الثالث، وأوائل الرابع نحو ثلاثين متكلّما،ومن المعتزلة في العصر نفسه ما يقارب العشرين.أنظر:ورقات،ج.1 ، ص.219 .

(2) ممدوح حسين : إفريقية في عهد إبراهيم الثاني الأغلبي ،ص.91 .

(3) نفس المرجع :ص.77، 78، 80 ،82، 83 وما بعدها .

(4) الهادي روجر ادريس : الدولة الصنهاجيّة ،ج.2 ،ص.331 .

(5) وهناك رأيان حول كيفيّة المقابلة :الأوّل متشدّد يرى ضرورة المقابلةمع أصل الشيخ الذي اخذ عنه ،ورأي ثاني هو أكثر تساهلا من الأوّل ،حيث جوّز المقابلة مع نسخه قوبلت بالأصل ،ويشارك صاحب السّماع في عمليّة المقابلة ،شخص آخر ثقة ومأمون ،وذلك في حالة عدم إمكانيّة الحصول على أصل الشيخ .أنظر : علياء هاشم : فقهاء المالكيّة ،ص.84 .

(6)الخشني :قضاة قرطبة ،ص.36 .

وبعد المقابلة يأتي **ثانيا :** دور عمليات الضبط والتصحيح ، فصاحب الكتاب عليه مراجعته لضبطه ويتضمّن الضبط : وضع الشكل والنقط ،والتأكّد من صحّة أسماء العلام الموجودة فيه تجنّبا للتصحيف والتحريف[1] ،أمّا عملية التصحيح،فيتمّ فيها تغيير ما يحتاج إلى ذلك ويتمّ ذلك حسب قواعد محدّدة،واستخدام علامات معيّنة تدلّ على كلّ نوع من التغيير [2] .

وممّا يجلب الانتباه هنا هو قلّة التأليف لدى علماء المالكيّة في العهد الفاطمي ، بالمقارنة بالعهد الأغلبي ، وربّما يعزى ذلك إلى الفترات التي تميّزت فيها سياسة الفاطميين الدينيّة بالتصلّب،ولن يعود نشاط التأليف بقوّة لدى المالكيّة إلاّ في العهد الصنهاجي[3] .

وفكّر أحيانا بعض الفقهاء ،بوقف كتبه خوفا من مصادرتها من قبل الدولة ، ومنع الاستفادة منها ،ففي القيروان كان عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور (تـ346هـ/957م) من فقهاء المالكيّة الذين تصدّوا للفاطميين ، ممّا جعل العلاقة بينهما سيّئة ، وعند مرضه ،كانت له سبع قناطير من الكتب بخطّ يده ، وقد حرض على مقابلتها وتقييدها وضبطها،لذا عدّت من أصحّ الكتب،فطلب أصحابه أن يوقفها،وقسموها ثلاثة أقسام ،أوقف عند أحد الفقهاء [4]

ولما مات ابن مسرور ،سارع الفاطميّون إلى مصادرة كتبه ، وسلم من المصادرة الثلث فقط الذي أودعه لدى أبو محمد بن أبي يزيد[5] .

ولاشكّ أنّ الاختلاف المذهبي بين الشيعة والسنّة ،شكّل عاملا من عوامل نشاط حركة التأليف لدى الإسماعيليّة ،إلى جانب عقد المجالس الأدبيّة للجدل والنقاش ،فظهرت عديد الكتب التي تدعو إلى المعتقد الجديد ،وتعرّف به ، أو تردّ على اتّهامات السّنيين .

---

(1) التحريف :هو تغيير اللفظ دون المعنى والتصحيف:هو أن يُقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه أو على ما اصطلحوا عليه. الجرجاني: التعريفات ،ص.55، 61 .

(2) علياء هاشم ذنون محمد المشهداني : نفس المرجع ،ص.85 .

(3) نجم الدين الهنتاتي :المرجع السابق ،ص.167 .

(4) علياء هاشم ذنون محمد المشهداني : نفس المرجع ،ص.88 .

(5)المالكي : المصدر السابق ،ج.2 ،ص.423-424 .

توّج هذا النشاط التأليفي بوضع أسس الفقه الإسماعيلي ، وقام بذلك القاضي النعمان (تـ363هـ974م) [(1)]. واستتبع ذلك نشاط علماء الدّعوة في تأليف الكتب ، وحاز أبو حنيفة الفضل الأكبر في نشر الثقافة المذهبيّة التي تتصل بالدّعوة ؛ يذكر الدكتور عبد الرحمان بدوي في كتابه " مذاهب الإسلاميين " أنّ النعمان كان أغزر مؤلّفي الإسماعيليّة إنتاجا [(2)] إذ كان كاتبا ضليعا ، ألّف كتبا عديدة في كلّ أنواع العلوم،ألّف في الوعظ والتاريخ والأخبار والسير والعقائد والحقائق والتأويل والفقه [(3)] ،وكان تأليف كتبه بأمر من الإمام المعزّ لدين الله الذي راجعها بنفسه بعناية كبيرة ،ومعنى هذا أنّ المعزّ يعتبر مشاركا للنعمان في تأليف هذه الكتب ، فهو الذي شجّعه على البحث في أصول العقيدة الفاطميّة وأخرج إليه كتب أجداده . كما كان المعزّ يدعو العلماء إلى تأليف الكتب من عقائد المذهب الفاطمي ، فقد طلب من النعمان الاطّلاع على علوم الخاصّة لآل البيت ، والتأكّد من صحّة النصوص التي تنقل عنهم ، فكان النعمان في مؤلّفاته عن الأئمّة دائم الخوف من أن يرتكب غلطات ، وكان المعزّ يراجع بعناية جميع المؤلّفات التي تقدّم إليه [(4)] . ولنا أثر في منهج التأليف عند النعمان ، والذي سطّره له المعزّ،يقول القاضي النعمان: " أمرني المعزّ بجمع شيء لخّصه لي،وجمعه وبسط لي معانيه وسطّر لي جملته،فابتدأت منه شيئا ثمّ رفعته إليه ...فوقّع إليّ :"يا نعمان ،لا تبال كيف كان القدر ،مع إشباع المعنى في إيجاز فكلّما أوجزت في القول ،واستقصيت المعنى ، فهو أوفق وأحسن[(5)] ، وطريقة أخرى نصح بها المعزّ النعمان في التأليف،إذ أشار إليه بتجزئة الكتاب: " فجزئه ليكون أقرب وأسهل على السامع ، لأنّه لا يبتدئ البادئ في جزء منه إلاّ وقد اشتهى النظر فيه،وإن طال عليه ملّه[(6)]

---

(1) أهمّيّة النعمان في ميدان التأليف الفقهي أكبر من ميدان العقيدة ،فقد تقلّد مهمّة المشرّع للدولة الفاطميّة ،وحلّ كتبه من علم الظاهر كما سيأتي الحديث عنها لاحقا .

(2) مذاهب الإسلاميين ،ج.2 ص.207 .

(3)ذكر له عماد الدين إدريس 42 كتابا . ج.6 ، ص.36-39 .

(4) القاضي النعمان ،المجالس والمسايرات ،ص.361 .

(5) النعمان : المجالس ،.401 .

(6) نفسه ، ص.396 .

ويطري المعزّ أسلوب أحد الكتب التي ألّفها النعمان،من حيث صحّة الرواية[1]وجودة الاختصار ويقترح على النعمان ، إعادة تسمية كتابه ،فبدل كتاب الدّينار،سمّاه " كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار " [2] .

وتنسب للمعزّ مؤلّفات ، ذكر منها : تأويل الشريعة ، وكتاب الروضة ،وبيان في العلم ومجالسه والرسالة إلى الحسن القرمطي ، والمناجاة ، رسالة في شأن المسيحيّة. وغيرها من الكتب التي لم يبق لها أثر[3] .

كما اشتهر المنصور بالله بسعة الإطّلاع و لم تشغله مهام الحكم عن البحث والتأليف [4]ويستفيد المعزّ من وصيّة والده في التأليف ،إذ يخاطبه بالنصح إذا أراد التأليف:" متى أردت تأليف كتاب أو تعقّبه أو النظر في أمر تريد إحكامه ، فتوخّ ذلك حين السآمة والكسل والفتور ،فإنّ أنفس أولياء الله أقوى ما تكون إذا ضعفت أبدانهم،وفترت وكلّت قواهم [5]

ونُشير أنّ الكتب المؤلّفة للإسماعيليين في الدّور المغربي،تحوّلت إلى أساس كلّ الدّراسات الإسماعيليّة فكان البعض منها يُقرأ في مجالس الحكمة،ككتاب الدّعائم،وكتاب تأويل الدّعائم ،بدليل ما يوجبه الكرماني عـــــلى قارئي كتابه **"راحة العقل"** من البدء بقراءة صول من كتب النعمان كالدّعائم والاقتصار والمناقب والمثالب [6] .

---

(1) يشير النعمان إلى إجازة المعزّ له في الرواية عنه وعن آبائه ما ثبت عنهم ،فعظمت بذلك مكانة النعمان وتحوّلت كتبه إلى مصادر أصليّة لعلوم آل البيت ، واستغنى في كثير من كتبه عن السند ، لاتّصاله بالأئمّة . أنظر :نفس المصدر ،ص.360-361 .

(2)نفسه ،ص.360.

(3) عارف تامر : المعزّ لدين الله ، ص.198 ؛ خضر أحمد عطا الله ، الحياة الفكرية في مصر في العهد الفاطمي ص.196 .

(4)ينتب للمنصور تأليف كتب :تثبيت الإمامة(وينسبه بعضهم للنعمان)،وكتاب الوصيّة، وكتاب جامعة الجامعة سيرة الأستاذ جوذر ،ص.172 .

(5)النعمان : نفس المصدر ،ص.395-396 .

(6) راحة العقل ، ص.109 .

أهمّ الكتب المصنّفة في الفقه والعقيدة الإسماعيلية(**الجدول رقم 1**) :

اسم المؤلِّف	اسم الكتاب	المصدر
إمام الإسماعيليين : المنصور بالله	كتب: 1- تثبيت الإمامة. 2- الوصيّة	سيرة الأستاذ جوذر،ص.172
إمام الإسماعيليين :المعز لدين الله	كتب : 1- تأويل الشريعة . 2-الروضة . 3ـــ الرسالة المسيحيّة 4- المناجاة	عارف تامر :المعزّ لدين الله ص. 198 .
القاضي النعمان .	أورد له إيفانوف 46 عنوان كتاب أشهرها : 1-دعائم الإسلام . 2-تأويل الدّعائم . 3-أساس التأويل . 4-الإيضاح . 5-الإقتصار . 6-الأخبار. 7-اختلاف المذاهب . 8-قصيدة المختارة . 9-المجالس والمسايرات . 10 –افتتاح الدّعوة	مقدّمة كتاب :الهمّة في آداب اتّباع الأئمّة ،تحقيق:محمد كامل حسين ، صص.11-12 .
جعفر بن منصور اليمن	1-الفرائض وحدود الدين 2-الشواهد والبيان . 3-أسرار النطقاء . 4-تأويل الزكاة . 5-كتاب الكشف. 6-الفترات والقرانات .	من مقدّمة كتاب : سرائر وأسرار النطقاء ، المحقّق : مصطفى غالب ص.8 .

يتبيّن من خلال الجدول (**رقم 1**) بأنّ العقيدة والفقه ،تفوّق من حيث الإنتاج المعرفي على العلوم الأخرى فكتب العقيدة شكّلت ما مجموعه 34 كتابا،نصيب النعمان منها 24كتابا (في الحقائق والعقائد) [1] ، هذا الإنتاج في التأليف كان بمثابة العمود الفقري للمنظومة المعرفيّة في الدّولة الفاطميّة ؛ ثمّ يأتي الفقه بعدد (11)كتابا،كلّها للقاضي النعمان،والذي أخذ طابع المشرّع الرسمي للدولة الفاطميّة . ويرجع هذا حسب تقديري ، إلى الدّور الذي قام به الأئمّة ، في توجيه الحركة التأليفيّة ، في محاولة لصناعة نموذج ثقافي من خلال توظيف كتابات رسميّة ، تعبّر عن توجّهات وطابع الدّولة الجديدة .

بعد دائرة العقيدة و الفقه ، نجد أنّ مؤلّفات الجدل تحتل المرتبة الثانيّة ، ممّا شملها الإحصاء بما مجموعه خمس مؤلّفات للقاضي النعمان [2]،هذه الثقافة الجدليّة أدّت دورا كبيرا في استمرار الصراع المذهبي،في مواجهة النموذج الثقافي الذي نشره علماء المذهب المالكي .

أمّا علوم التفسير والحديث[3] ، فالإنتاج قليل من حيث ترتيب عدد المؤلّفين ، فالنعمان ذكر بأنّه ألّف كتاب البسملة[4] ، كما يذكر لجعفر بن منصور اليمن كتاب : تأويل سورة النساء [5] وكتاب تأويل أمثال القرآن [6] ، كما يمكن اعتبار كتاب وهذا الكمّ اليسير من التأليف يعبّر عن البدايات الأولى لفترة الإسماعيليّة الأولى .

---

(1)يعدّ جعفر بن منصور اليمن أوّل من وضع كتب التأويل والمؤلّفات في الباطن من الإسماعيليّة ،كما أنّ النعمان هو أوّل من وضع كتب الفقه والمصنّفات الظاهريّة ، فكتب النعمان ولو أنّها تبحث في التأويل ، لا تعدّ من الكتب السريّة الباطنيّة ،ولا يمنع من النظر فيها أحد من الإسماعيليّة إلاّ المبتدئين ،وأمّا كُتب جعفر فإنّها كلّها سريّة باطنيّة لا يَحويها إلاّ من يؤذن له .انظر : إحسان إلهي ظهير :الإسماعيليّة تاريخ وعقائد ،ص.707 ،708.

(2) أنظر :مقدّمة كتاب الهمّة ، تحقيق :محمد كامل حسين ،ص.11 .ويذكر محقّق كتاب الاقتصار(ص.6) أنّ النعمان التي ظهرت اثنان وعشرون ، والباقي لا أحد يدري في أيّ جهة من جهات العالم موجودين .

(3)سنورد في الفصل اللاحق ،حديثا عن علوم القرآن والحديث عند الإسماعيليّة ،ومكانة ودور الأئمّة في ذلك .

(4) القاضي النعمان:المجالس والمسايرات ،ص.135 .

(5) المجدوع :الفهرست ،ص.190 .

(6) نفسه ،ص.280 .

أ(4) مجالس التعليم التدريس في العهد الفاطمي :

لا يُتصوّر أنّ ما بلغه الأدباء وعلماء الدّين من قدرة على الكتابة وتفنّن في النظم كان دون الأخذ بأسباب العلم والثقافة ، والملاحظ أنّ التعريب والتعليم ، هما وجهان متكاملان متوازيان لظاهرة واحدة هي ظاهرة انتشار الثقافة في بلاد المغرب الإسلامي .

إنّ حرص الفاطميين على تعريب وتعليم سكّان المغرب ، جاء كظاهرة عامّة في ذلك العصر أفرزتها أسباب أُخرى ، لها علاقة بالسكّان أنفسهم(1)الذين دفعهم للتعلّم ونشر التعليم في أبنائهم سموّ التعليم ومنزلة العالم عندهم ، وفضل مرتادي مجالسه ؛ والمحافظة وعلى مذاهبهم وعقائدهم الراسخة،قبل الفاطميين وبعدهم،ولقد انتشر التعليم في هذا العصر في إطار عقائدي وفي جوّ دعائي ولأغراض مذهبيّة ،فكان كلّ حزب يحرص على التعليم ،ولكنّه تعليم للإسلام الشيعي لدى الحكّام وأبنائهم،وتعليم للإسلام السنّي لدى الفقهاء ومن تبعهم من خاصّة أهل المغرب وعامتهم(2)وهؤلاء وأولئك يشتركون في أمر واحد ، لعلّه مفيد في تكوين شخصيّة الأديب الإفريقي، وهو حرصهم على تعليم اللغة للنشء واكتشافهم لأخبار العرب وأيّامهم وتدريبهم على فنون الكتابة والإنشاء وروايتهم للشعر، فقد حظي الطالب المغربي سواء أكان شيعيّا أو سنّيا بتعليم لغوي أدبي إلى جانب أنواع التعليم الأخرى(3) .

وعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخيّة قصّرت في الاهتمام بنشاطات الكتاتيب ، وأسماء المعلّمين والمؤدّبين ،إلاّ أنّ أثرهم كان كبيرا ، ووجودهم كان واسعا ، بدليل رواج المعارف وكثرة طلاب العلم ،وإقبالهم على مجالس التعليم(4) .

---

(1) في قصّة مقدم الدّاعي ،أبو عبد الله الشيعي ،وإبداء رغبته في تعليم الصبية(في الظاهر)،وتعلّق وفد الكتاميين به وحرصهم على التعلّم منه ، وتقديمه فخرا على غيرهم من قومهم ، دليل على أهمّيّة التعليم عند سكّان المغرب وللتقدير الكبير لدور المشرق حضاريا ،فإنّ المغاربة عموما كانوا ما يزالون في مرحلة التلقي المعرفي ، هذا إذا استثنينا النخب الدّينيّة المشبعة بتفاصيل المذهب المالكي ،والرافضة لأيّ تفكير خارج مجاله .

(2) النيفر : الحياة الأدبيّة ،ص.413 .

(3) نفسه ، ص.414 .

(4) يذكر عثمان الكعاك أنّ هذه الأهمّيّة التي يحظى بها المعلّمون ،مازالت إلى اليوم .أنظر: المراكز الثقافيّة في المغرب ص.52 .نقلا عن : يوسف حوالة : الحياة العلميّة في إفريقية ،ص.228 .

مع توفّر مصادر التعليم والتثقيف،بلغت حركة التعليم حدّا معتبرا ،وما يُبيّن ذلك كثرةالمؤلّفات النظريّة والتطبيقيّة في العلم والتعليم وقد انتبه أحد الباحثين إلى ظاهرة التأليف عن التعليم ، وأنّه ليس من الصدفة أن يكون في هذا العصر أهمّ المؤلّفات التي كتبت عن التعليم في كامل التاريخ الإفريقي بل والمغربي [1]فباستثناء "آداب المعلّمين" لمحمّد بن سحنون وهو تأليف أغلبي،فبقيّة التآليف فاطميّة وأهمّها كتاب"سياسة الصبيان وتدبيرهم" ،للطبيب أحمد بن الجزار (ت369هـ) ، وكتاب " الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين " للقابسي (ت403هـ) وهي فاطميّة على الأرجح[2] .

كما كثرت في هذا العصر الكتب التطبيقيّة ، التي ترمي إلى تعليم النشء قواعد اللغة أو النحو بطريقة ميسّرة واضحة مثل كتاب "الأفعال" للسبخي المكفوف ، بل إنّ هذا الاهتمام بالتأليف في التعليم وقضاياه ، قد تعدى الميدان النظري أو الاختصاصي الضيّق ليتّسع إلى إطار أشمل وأعمق وهو ما يُمكن تسميته بالاتجاه التعليمي في التأليف[3]مثل كتاب"الجامع" للقزاز، وهو قاموس يجمع سائر الحروف المستعملة في اللغة ويُنظّمها ويُرتّبها ، ومثل كتاب "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني ، أو كتاب "التهذيب"للبرادعي؛أو كتب القاضي النعمان فهي مؤلّفات كُتبت بأسلوب متميّز ، ولغة مبسّطة للاتّجاه التعليمي الفاطمي في التأليف فكانت هذه المؤلّفات موجّهة للصبيان أو الشباب حرصا على نشر مبادئ الدّين ، وتبسيط قواعد اللغة ولم تكن هذه التآليف لتوجد لولا حاجة المجتمع الفاطمي الضرورية إليها [4]لقد وُجد طالب العلم نفسه ،صبيّا كان أو شابا،في محيط يهيئ له أسباب التكوين والثقافة حرص فيه أولو الأمر ، والطبقات الخاصّة والعامّة على جعل التعليم من القيم الأساسيّة في ذلك العصر [5] .

---

(1) النيفر : المرجع السابق ،ص.414 ؛أحمد يوسف حوالة : المرجع السابق ،ص.232 وما بعدها .

(2) نفسه ، ص.415 .

(3) ح.ح عبد الوهاب : ورقات ،ص.127 .

(4) نفســه .

(5) النيفر : نفس المرجع ،415 .

ويُركّز النيفر في دراسته على الأديب الإفريقي فيقول" كان الأديب الإفريقي وهو يتدرّج من الصّبا إلى الشباب ، يتلقى تعليما مستمرّا متواصلا متكاملا ، فيمرّ بمراحل شبيهة بما نجده في كامل العالم الإسلامي ،وكان للتعليم مرحلتين،مرحلة الصّبا[1]،ومرحلة التعليم الثاني .

ففي تعليم الصّبا ، جاء في تعليق بعض الباحثين ، عن هذه المرحلة في العصر الفاطمي بأنّ كتب ابن سحنون والقابسي وابن أبي زيد تضيء لنا الكثير عن هذه المرحلة، وإذا ما كان كتاب ابن سحنون يصف ما كان يجري في العصر الأغلبي،فإنّ ما فيه يصحّ بالنسبة للعصر الفاطمي ، إذ أنّ ما يذكره من عادات وتنظيم في هذا الميدان يعسر أن يتغيّر في هذه المدّة القصيرة [2] ، وفي هذه المؤلّفات التعليميّة معلومات غزيرة تتعلّق بالمعلّم وواجباته وحقوقه وسيرته ،ومعاملته للصبيان ؛ وفي مرحلة التعليم الثاني : يدخل الشباب في هذه المرحلة في التخصّص والتعمّق ، غير أنّ هذه المرحلة كانت خاضعة إلى التأثير العقائدي ، أو التوجه المذهبي ، وكان الشيخ هو القطب الأساسي لهذا التعليم[3] ،وما اختصّ به العصر الفاطمي هو ما اعترض هؤلاء الشيوخ لمنعهم من تأديّة رسالتهم الفقهيّة ، في الإرشاد و الإفتاء في تعليم النشء ، وهي عراقيل وضعتها السلطة الفاطميّة للحدّ من تاثير النشاط السُّنّي[4] .

إنّ الجوامع الرئيسيّة في المدن الكبرى ، هي المكان الأصلي التقليدي لهذا النوع من التعليم الثاني وقد لجأ الشيوخ إلى تعطيل الدّروس بالجوامع الكبرى مع طلبتهم إلى أماكن أخرى فمنهم من مارس التعليم في بيته ، وبعضهم في مساجد خاصّة[5] .

---

(1) أنظر : ابن خلدون ، المقدّمة ،ص.140 .

(2) النيفر : المرجع السابق ،ص.414 .

(3) كانت الطريقة امتّبعة هي إمّا أن يُلقي المدرّس وأصحابه يُجيبون ،وأحيانا يحصل العكس ،يطرح الطلاّب استفساراتهم ،ويُجيبهم المدرّس عنه .أنظر :القاضي عياض : ترتيب المدارك ،ج4 ،ص.225 .

(4) النيفر : نفس المرجع والصفحة .

(5) ح.ح عبد الوهاب : المرجع السابق ،ص.127 .

أمّا نظرة الفكر الإسماعيلي للتعليم والمتعلّمين ،فهي نظرة خاصّة تتميّز بالنخبويّة والانتقائية إذ يَعتقد الإسماعيليّون أنّ الناس ،من حيث قوّة نُفوسهم وسلامة تَفكيرهم فريقان:عامّة وخاصّة فالخاصّة من الناس هم وحدهم القادرون على النظر العقلي ، وهم الذين يجب أن يُعتمد عليهم في إصلاح عقائد العامّة ، وفي تَطويرها حسب مقتضيات الظروف ، وأمّا العامّة فليس عليهم إلاّ أن يَتلقّوا التعليم من "الخاصّة " وأن يُقلّدوهم فيه [1]، ويُسلّموا لهم بلا جدال .

وقد جعل الإسماعيليّون " الخاصّة"على درجات[2] يكون على رأسهم الإمام ، وهو المُجتهد الأكبر والذي يَجمع في نَفسه حقيقة الشريعة وحقيقة الفلسفة ، ثم يأتي بَعده أصحاب الدّرجات الأخرى على التوالي،إذ تَكون مرتبتهم من الإمام بمقدار ما تَكون عليه عُقولهم من قوّة نظر ونُضج تَفكير، وهؤلاء هم الذين يَتوسّطون بين الإمام والعامّة[3] .

وفي توجيهه إلى الدّعاة ، ورد في " الرّسالة الموجزة الكافية في شروط الدّعوة الهادية " للداعي : أحمد النيسابوري[4]يَستخدم المؤلّف الصّورة البيانيّة للطفل الرضيع ،فعمليّة التلقين تُنفّذ على ثلاث مراحل ،الأولى تُماثل عمليّة الإرضاع للطفل الرضيع ،والثانية تنشئة الطِفل ،والثالثة تطوير العقل الشاب إلى مرحلة النضج ، ولكن من الواجب تغذية الطفل بطريقة معقولة"فإذا ما أطعمته كثيرا من بداية تَكوينه فإنّك تَدمّره " ؛ ولذلك فمن واجب الدّاعي البدء بتقديم المعارف اللطيفة ، التي بإمكان تلميذه فهمها وتقبُّلها ،فعليه أوّلا تثبيت معرفته بالتوحيد ،والإيمان بالله والرّسول والأئمّة وطاعتهم ، وذلك تماشيا مع قوله تعالى ﴿وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم﴾،وبعد ذلك فإنّه سيَتقدّم وينتقل إلى معرفة المراتب الأخرى .

---

(1)من بين الألقاب التي توصف بها الإسماعيليّة " التعليميّة" ،ويرى الغزالي أنّهم لقّبوا بهذا اللقب لأنّ مذهبهم إبطال الرأي وإبطال تصرّف العقول ،والدّعوة إلى التعلّم من الإمام المعصوم . الغزالي / فضائح الباطنيّة ،ص.25 .

(2)يَقول أبو إسحاق السجستاني في سُلّم النجاة :"وجضعلنا سبيل المعارف على التوالي الذي جاء الإيمان به ".المجدوع : الفهرسة ،ص.196 .

(3)هاينز هالم :الفاطميّون وتقاليدهم في التعليم ،ضمن كتاب:الإسماعيليّون ،تاريخهم وفكرهم ،ص.155 .

(4)نشرها مصطفى غالب في : أربع كتب حقّانيّة ،ط.2 ،المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنشر ،بيروت ،1987 .

وموضوع العلاقة بين المعلّم والتلميذ ، كان موضوعا لواحد من أقدم أعمال الأدب الإسماعيلي كتاب" العالم والغلام " المنسوب إلى أوّل داعي في اليمن وهو ابن حوشب منصور اليمن [1] وعلى الرغم من أنّ حبكة " حكاية التلقين " هذه هي خياليّة ، إلاّ أنّها تُمثّل انعكاسا صادقا بكلّ تأكيد للممارسة التي يُطبّقها الدّعاة الأوائل .

إنّ كتاب العالم والغلام يَظهر بوضوح التّقدير العالي الذي يُكنّه الإسماعيليّون للعلم منذ وقت مبكّر [2] بل إنّ الدّين والعلم ، بالنسبة للإسماعيليين هما فعلا مرتبطان بعضهما ببعض بطريقة لا انفصام لها ،وكانت ممارسة الإسماعيليين منذ البدايات الأولى للدّعوة،عن يَقوموا بإيصال الحكمة إلى تلاميذهم عبر جلسات تَعليميّة عُرفت باسم " مجالس الحكمة ".

والتدرّج في التعليم عندهم ، يُبرّر تَدرّج كتبهم في مراتب السرّ والكتمان ، فهذه المراتب أو الدّرجات ، بحسب السّماح بقراءة الآثار الإسماعيليّة لفريق من المؤمنين دون فريق وهي :

أ – مرتبة كتب الظاهر المُعلنة،وهي منطقيّا ممّا يَجب ألاّ تُحرّم مطالعتها بوجه من الوجوه.

ب – مرتبة كتب الإسماعيليّة السرّية ،وهي التي يَجوز أن يَقرأها المؤمن من غير إذن خاصّ ولكن يُمنع من الإطّلاع عليها الغرباء ، الذين يَفدون من ذلك اتّهام الطائفة

ج – مرتبة الكتب السريّة الدّينيّة ،هذه الكتب لا يَجوز الاطّلاع عليها إلاّ بإذن خاصّ .

د ـــ مرتبة الكتب المكتومة العليا ،وهي وقف على الراسخين ،لا يَقرؤها غيرهم [3].

إنّ خصوصيّة التلقّي المعرفي ، واعتماد السريّة في طرق التعليم عند الفاطميين ، حصر فكرها الدّيني ضمن دائرة ضيّقة،و لم يُمارس هذا الفكر سُلطته إلاّ على الأتباع،ممّا جَعله غريبا في مُحيطه المغربي .

---

(1) أوردنا لابن حوشب داعي اليمن ترجمة وافية في الفصل الأوّل ،ص.13 هامش(4)

(2)هاينز هالم :المرجع السابق ،ص.156 .

(3)يُمكن أن نضع التعليم الإسماعيلي في أربع مراحل ، وذلك حسب ترتيب الفكر الإسماعيلي للمتعلّم من الظاهر إلى الباطن ،ومن الطبيعي أن يَنكب الكثير عن هذا التدرّج في هذه المراحل ،لصعوبة ارتقائها ،فتحصيل الحكمة السريّة على هذا المنوال هي حكر على الدّعاة والحُجج فقط .

ب ـ دور الحكّام الفاطميين في أنشطة المجالس العلميّة :

إذا جاز لنا قياس تاريخ الفكر على التطوّر السياسي بالمغرب ، نقول إنّ الحياة الفكريّة مرّت بأربع مراحل هامّة ، مثّل كلّ مرحلة منها ، فترة حكم إمام من الأئمّة الفاطميين،حيث كانت مع عبيد الله المهديّ (297-322هـ) ، مرحلة الدّعوة والتأسيس ، أين احتدّت المجادلات والمناظرات الفقهيّة والعقديّة ، واستمرّ في دعمه للنشاط الثقافي ، ضمن الهياكل والأُطر الماديّة الأغلبيّة ، ومن أشهر مآثره إبقاؤه على نشاط بيت الحكمة ؛ كما تركّز بداية شعر المدح المذهبي السياسي وظهر نثر الكتّاب الفنّي،فهو عهد تأسيس وتمهيد لثقافة وأدب جديدين طبع المرحلة الأولى [1] .

أمّا عهد القائم (322-334هـ) ،فكانت المرحلة التي شغلها حكمه تتميّز بالتراجع والضعف ونلاحظ خواء وضحالة الحياة الثقـــافيّة في المراكز الشيعيّة ، في مقابل نشاط وعمق في المراكز السنيّة المضادة للفاطميين ؛ ولن يَتجدّد النشاط الفكريّ إلاّ في عهد المنصور (334-341هـ) فكان عهد انبعاث وعودة القوّة ،فتنشط المراكز الشيعيّة وتعود مجالس المناظرة الكلاميّة وإشعاعها ويرتفع صوت الشعر الشيعي قويّا ، مع شعر الهجاء والمدح والوعد والتشفّي والتحريض متحدّيا ظافرا[2] .

أمّا مع المعزّ (341ـــ362هـ)فإنّ عهده كان عهد قوّة وإشعاع،بلغ النشاط الكلامي والجدلي أقصاه في مجالس الحكمة التأويلية،وازدهر النشاط الفقهي مع النعمان وابن منصور ولم يبلغ ذلك من قبل،وحلّ شعر المدح مع ابن هانئ إلى الكمال،ووصلت التّصانيف اللغويّة إلى الرّيادة ، وبرزت المؤلّفات الإبداعيّة ، فالمرحلة تمثّل قمّة ازدهار الأدب الثقافي والأدبي[3]؛وممّا شجّع الحركة الفكريّة في العهد الفاطمي ، هو أنّ الأئمّة كانت لهم إسهامات ولهم نصيب وافر من العلم ، فالمعتقد الإسماعيلي يجعل الإمام مصدر العلم والعرفان ،وكان لمبدأ التعليم (من الإمام) أثره في هذه النهضة الثقافيّة في عهد الفاطميين .

---

(1)علي نوح:الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها ،ط.1،دار التوحيدي للنشر ،سوريا ، 2000 ،ص.122 .

(2)نشيدة رافعي :المرجع السابق ،ص.167 .

(3)اليعلاوي : المرجع السابق ،صص.149، 251 ،356 .

ب-(1)في عهد عبيد الله المهديّ :

فعبيد الله المهديّ كان أديبا شاعرا[1] ، مشجّعا للعلماء والأدباء ، باذلا المال والهبات لتنشيط الحياة الفكريّة والمذهبيّة[2] ،لمنافسة بني العباس وبني مروان ، وأصبحت في عهده المدن الإفريقيّة وعلى رأسها رقّادة ثمّ المهديّة ،عاصمة ملكه الجديد التي انتقل إليها في سنة 308 هـــ ، هذا إلى جانب سعيه من خلال تشجيعه للعلماء والأدباء ،إلى الدّفاع عن مذهبه الشيعي،وردّ الخصوم عنه ونشره [3].كما تشير المصادر التاريخيّة،أنّه من أبرز مظاهر ازدهار الحياة الفكريّة في عصره هو نشاط بيت الحكمة ، الذي وإن أسّسه الأغالبة ، تشجيعا للثقافة والعلم ،فقد امتدّ إشعاعه إلى العصر الفاطمي بإيعاز من المهديّ ولئن اتّخذه المهدي مركزا لمجالس الدّعوة الإسماعيليّة فيه يناظر دعاته علماء السنّة ،فإنّ هذا لا يمنع من وجود حركة عقليّة نامية،ووعي بناء،وتبادل للأفكار ،وشحذ للقرائح في هذا البيت وخارجه في كلّ البلاد[4] .

ب- (2) في عهد القائم بأمر الله :

أمّا **القائم بأمر الله** ،فيذكر عارف تامر أنّه عُرف عنه تقديره ورعايته وعطفه على طبقة المتأدّبين والعلماء والمؤلّفين والشعراء [5] ، ويُذكر له إسهامات في مجاليّ الشعر والنثر [6] ولم تزوّدنا مجالس النعمان بأخبار هامّة عنه ، ونستنتج من الإشارات العابرة أنّ الإمام القائم لقي صعوبات في سياسة دولته ،ولم يَستطع التغلّب على المعارضين،وبالخصوص ثورة أبي يزيد التي كادت أن تودي بالدولة الشيعيّة[7] .

---

(1) وصفه ابن الأبّار بالفصاحة والعلم والأدب .أنظر : الحلّة السيراء ، ص .193 .
(2)وصفه القاضي النعمان بالكرم والجود بالمال في حدود الاعتدال . افتتاح الدّعوة ، ص.304 .
(3) النيفر : المرجع السابق ،ص.232 ؛ نشيدة رافعي : المرجع السابق ،ص.372 .
(4)ح.ح عبد الوهاب ، ورقات ،ج.1 ،صص.25-26 .
(5) عارف تامر: القائم والمنصور الفاطميّان ، ط.1 ،دار الآفاق ،بيروت ،1982،ص.9 .
(6) سنتناول في الفصل الثالث ،نماذج من شعر وخطب القائم .
(7) المجالس والمسايرات ،ص.22 .

ب(3) في عهد المنصور بالله :

أمّا **المنصور بالله** ، على قِصَرحُكمه كان عهد ازدهار عمرانيّ وإشعاع ثقافي ونشاط أدبي فقد نشأ محبّا للعلم ، إذ تولى المهديّ تربيته،فكان يطلعه على كتب الدعوة وعقيدة أهل البيت [1]وكان يقتني الكتب ويبذل في ذلك الأموال الطائلة ، ويحرص على الاحتفاظ بها وصونها ، يذكر جوذر أنّه أودعه كتبا كثيرة ، تحتوي على علوم شتّى من ظاهر وباطن وهي عنده من أرفع ذخائره [2] ، وكان يشرف ويوجّه حركة التأليف إذ تذكر النعمان أنّه كثيرا ما كان يأمره أن يؤلّف كتابا ، أو يصنع بيتا من الشعر [3] ،كما أنّ عهده بدأ يعرف منافسة بين الشعراء ، حيث اجتمع له في بلاطه منهم،ما لم يجتمع للمهديّ والقائم ،ولاحق المعزّ [4]،له كتب تنسب إليه [5]،مثل كتاب الإمامة [6] ،أمّا عن مكانته الأدبيّة،فتدلّنا الآثار الباقيّة في مصادر الشيعة ، أنّه كان شاعرا ، وخطيبا مفوّها يترجّل الخطبة [7] .أورد النعمان ذكره في كتاب المجالس أكثر من سالفيه، وسبب ذلك أنّه مصدر كلّ الأخبار التي تخصّ المهدي والقائم ،فعنه يروي المعزّ ،وبه يستشهد بأقواله ويتمثّل[8] .

---

(1)النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.501-502 .

(2)العزيزي الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر ،ص.53 .

(3)المجالس والمسايرات ،ص.133 .

(4)النيفر : المرجع السابق،ص.224 .

(5) نعلم في التقاليد الإسماعيليّة أنّ العلماء والدّعاة كانوا يؤلّفون الكتب باسم الأئمّة،ودليلنا على ذلك ما نراه من كتب القاضي النعمان نفسه،فإنّه يقول إنّه أخذها عن الأئمّة،ويقول أحيانا أخرى إنّ الإمام مهّد له هذا الكتاب وقسم فصوله وقرأه قبل إذاعته بين الناس.أنظر: النعمان،المصدر السابق،ص.133 لذلك نستطيع أن نرجّح أنّ بعض الكتب التي تنسب للأئمّة ،ليست من تأليفهم مباشرة ،بل هو من تأليف الدّعاة والعلماء باسم الأئمّة .

(6) النعمان : نفس المصدر ،ص.315 .

(7) عارف تامر : المرجع السابق ،ص.77 .للمزيد عن النشاط الأدبي في عهد المنصور أنظر :اليعلاوي صص 249- 251 .

(8) أنظر مثلا :صص.46، 51 ،69 ،71 ،76 .

جـ(4)في عهد المعزّ لدين الله :

أمّا **المعزّ لدين الله** ، الذي يعدّ عصره من أزهى عصور الدّولة الفاطميّة ،حيث نهضب الجانب العلمي والأدبي والثقافي حتى أصبحت العاصمة المنصوريّة في المغرب كعبة للعلماء والشعراءوطلاّب العلم والمستجيبين للدعوة الإسماعيليّة [1]،والمصـــادر السنّية تذهب بصراحة إلى أنّ المعزّ يعدّ من كبار شخصيات عصره ، وبأنّه كان ذا ولع بالعلوم ، ودراية بالأدب ، فضلا عما عرف عنه من حسن التدبير وإحكام الأمور .

يذكر المقريزيّ أنّ المعزّ أخذ نفسه بحفظ اللغات ، فابتدأ بالبربريّة فأحكمها ، ثمّ الروميّة ثمّ بالسودانيّة ، ثمّ استدعى الصقلبية ..."[2] ، وفي موضع آخر ينقل المقريزي عن ابن الطوير المؤرخ الفاطميّ الذي كان يخدم في الدواوين الفاطميّة ثم الأيوبيّة قائلا : وكان المعزّ عارفا بالأمور مطّلعا على الأحوال بالذكاء ، وكان يضرب في فنون منها النّجامة ، فرتّب في القصر ما يحتاج إليه الملوك ، بل الخلفاء ،بحيث لا يراهم العيان في النقلة من مكان إلى مكان [3]

ويذكر ابن خلّكان ، في ترجمة سيرة المعزّ بأنّه كان عاقلا ، حازما ، سريّا ، أديبا ، حسن النظر في النجامة [4]،ويقول ابن تغري بردي ، من كبار مؤرخيّ مصر بأنّه كان عاقلا ،حازما ، جوادا ، ممدحا ، فيه عدل وإنصاف للرعيّة[5] ،ومن المصادر الفاطميّة التي تلقي ضوءا على الجانب الأدبي للمعزّ ، هما مصدران هامّان ،أوّلهما كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ،الذي جمع فيه كلّ مارآه وسمعه من المعزّ [6]ويحتوي الكتاب على عديد التوقيعات والمكاتبات التي جرت بين النعمان والمعزّ،ومنها عدد غير قليل بخطّ الخليفة نفسه أمّا المصدر الثّاني فهو كتاب "سيرة الأستاذ جوذر" لأبي علي منصور العزيزي

---

(1)أنظر مقدّمة كتاب :أدعية الأيّام السبعة المنسوب للمعزّ لدين الله ،تحقيق وتعليق وتقديم :إسماعيل قربان بونوالا ط.1 ، دار الغرب ، بيروت ،2006 ،ص.7 .

(2)اتّعاظ الحنفاء :ج.1 ،ص.101 .

(3) نفسه ،ص.113 .

(4)وفيات الأعيان ،ج.5 ،ص.228 .

(5)النجوم الزاهرة ،ج.4 ،ص.82 .

(6) يذكر النعمان سبب تأليفه للكتاب فيقول :"وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعزّ ..من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة .المجالس والمسايرات ،ص.45 .

الجوذري [1] ، يقول مؤلّف السيرة عن نفسه في مقدّمة الكتاب، إنّه دخل في خدمة الأستاذ كاتبا له سنة 350هـ[2] ، فبصفته كاتب جوذر فقد اطّلع على الوثائق المتبادلة بين جوذر والأئمّة بل صار محلّ ثقة الأئمّة أنفسهم ، فهذا الكتاب أيضا يحتوي على ما جرى بين المعزّ لدين الله و جوذر من التوقيعات والمكاتبات وتوجد من بينها ، بعض التوقيعات بيد المعّز نفسه [3] .فهذان المصدران خير شهادة ،على المستوى العلمي والأدبي الذي وصل إليهما المعزّ .

هذه المكانة العلميّة والأدبيّة للمعزّ أهّلته للمساهمة في الحياة الفكريّة ، فلم يقتصر دوره على تشجيع العلماء وتقريبهم إليه ،وإغداق الأموال عليهم،والإشراف على تآليف المؤلّفين فقط [4] بل كان يشاركهم بإضافة آرائه ، انتقاد المؤلّفين نقد العالم الضليع [5]،

و لم يقف ترويج العلوم والآداب في عهد المعزّ عند ذلك الحدّ ، فقد فتح أبواب قصره للعلماء والطلاب ومشايخ افريقية وأباح لهم جميعا الإطّلاع على الكتب المختلفة ودراستها واستنساخها والتعلّم منها والتفقه فيها،كما أباح للناس سماع محاضرات كبار العلماء الذين كان يثق بهم فكانت قصوره كعبة العلماء والشعراء والمفكّرين[6] .

---

(1) لا نزال نفتقر إلى أخبار تعرّفنا بحياة منصور الكاتب مؤلّف الكتاب ،فالمصادر التي بين أيدينا شحيحة ، و لم يذكره سوى المقريزي في معرض حديثه عن الجودريّة . الخطط ،ج.3 ،ص.7 .أنظر :مقدّمة سيرة الأستاذ جوذر ،المصدر السابق ،صص.2-3-4 .

(2) العزيزي الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر ،ص.33 .

(3)أنظر مثلا :ص.84 ،97 ،98 ،125 .

(4)يقول النعمان عدّة مرّات بأنّه كان يرفع ممّا يكتب إلى الإمام المعزّ .أنظر :المجالس والمسايرات ،صص.327 363 367 ، 396 ،427 .

(5)كتب المعزّ مرّة إلى النعمان يقول :"وقفت على الكتاب وتصفّحته فرأيت ما أعجبني فيه ...ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها ،فاشرحها بما يقرب من أفهامهم ...وسمّه كتاب "الإختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار "فإنّ ذلك أشبه بكتاب الدّينار ".النعمان :المجالس والمسايرات ،ص.227-228 .

(6)حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعزّ لدين الله ،ص.225 .

الفصل الرابع :

الدّراسات الدّينيّة والحياة الأدبيّة في المغرب ودور الحكّام الفاطميين فيها .

أ ــ دور الحكّام الفاطميين في الدّراسات الدّينيّة في المغرب .

أ(1) تطوّر الفقه عند الفاطميين

أ(2) علم الرِّواية عند الفاطميين

أ(3) علم التأويل عند الفاطميين

أ(4) دور الأئمّة الفاطميين في الدّراسات الدّينيّة الاسماعيليّة

ــ في الفقه الاسماعيّليّ .

ــ في رواية الأحــاديث .

ــ في التأويل البــاطني .

ب ــ دور الحكّام الفاطميين في الحياة الأدبيّة في المغرب .

ب(1) النثر ومراميه عند الفاطميين

ب(2) الشعر ومناحيه عند الفاطميين

ب(3) دور الحكّام الفاطميين في الحياة الأدبيّة في المغرب

ــ في الشعر.

ــ في النثر .

في هذا العصر الذي يَصفه عبد المنعم ماجد بعصر انتصار الشيعة[1] ، وضعت أسس كل العلوم تقريبا،فقلّ أن نرى علما اسلاميا نشأ بعد و لم يكن قد وضع في هذا العصر،وضع تفسير القرءان ، وجمع الحديث ، ووضعت علومه ، ووضع علم النحو ، ووضعت كتب اللغة ، ودُوِّنَت أشعار العرب،ووضع الجاحظ ،أساس الكتب الأدبية ، ودُوِّنَ الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم ، وترجمت كتب الفلسفة من منطق ، ورياضة ، وهيئة وطب[2].

وليست كل العلوم بمثابة واحدة،في الإتصال بالسياسة وشؤون الدولة والتأثر بها، فهناك مثلا ، علوم الرياضة والطب،والمنطق والطبيعة،فهي علوم مستقاة لا نعلم لها اتصالات بالسياسة وتصرفاتها لكن بجانب ذلك نرى الأدب من أشد العلوم اتصالا بالسياسة،وكثيرا ما اتخذ وسيلة من وسائل الدعوة[3] ؛ ولأهميّة هذه العلوم على كشف واقع الحياة الفكريّة في المغرب على العهد الفاطمي فإنّنا سنقتصّر في فصلنا هذا،على دراسة الجانبين الدّيني والأدبي،مستَثنين العلوم والمعارف الأخرى على أهمّيتها ، وذلك لقلّة اتّصالها بالسياسة وشؤون الدّولة .مع العلم أنّ تصنيف العلوم عند الاسماعيليّة يَختلف عن غيره [3] .

---

(1) الدّولة الفاطميّة في مصر ، ص.54 .

(2)أحمد أمين :ضحى الاسلام ،ج.2 ،ص.13 .

(3) نفسه ،ص.26 .

(3) هناك العديد من تصانيف العلوم ،كما نجد ذلك في فهرست ابن النديم (ت378هـ/989م) أو رسالة مراتب العلوم لابن حزم (ت456هـ/1064م) أو عند الغزالي (ت504هـ/1110م) وابن خلدون (ت808هـ/1406م) كلّ هذه التصانيف تُعبّر في حقيقة الأمر عن الحالة الثقافيّة السائدة ، وعن الخلفيّة الفكريّة لكلّ مؤلّف.عمارة علاوة :دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،2008 ، ص .107 ؛ وعند الإسماعيليّة فإنّ تقسيم العلوم يختلف ، ذكر أبو حاتم الرّازي في مادّة (العلم) :"والعلم الدّيني يَنقسم على وجهين:علم ظاهر جَليل ،وعلم خاصّ باطن خَفيّ ،والعلم العامّ الظاهر الجليل: العلم بالحلال والحرام ،والفرائض والسّنن والأحكام ،وحفظ الكتب والأخبار والحَديث وغير ذلك ،وقد اشترك فيه العامّ والخاصّ وتَساووا فيه .أمّ العلم الخاصّ الباطن فهو علم الأنبياء والصدّقين والأولياء المخصوصين ،وقد خصّ به قوم دون قوم ،مثل تأويل الكتب وأسرار الأنبياء والرسل ، وما كان بينهم وبين أوليائهم .." أنظر: الرازي : كتاب الزينة ،ص. 141 نقلا عن محمّد رياض العشيري :التصوّر اللغوي عند الاسماعيليّة ، ص.131 -132 .

أ ـ دور الحكّام الفاطميين في الدّراسات الدّينيّة في المغرب

أ(1) تطوّر الفقه عند الفاطميين :

نشأ الفقه الإسماعيليّ وتطوّر ، في الوقت الذي كانت فيه المدارس الفقهيّة الأخرى ، تبلغ مبلغ الرشد والنضج[1] ، ومع ارتفاع مدّ المحدّثين بعد الشافعيّ (تــ201هــ) ، تعاظم التأكيد علـــى القرءان ، وراحت السّنّة تتولّى مكانتها ، ولهذا فإنّ النظريّة العامة للفـــقه الإسلاميّ ، كانت في الوقت الذيّ كان فيه النعمان ، يصنّف ويكتب[2]،في طور دورانها حول مصادر الفقه الأربعة ، وهي القرءان،السّنّة،الإجماع ،والقياس[3]،وقدّ وضع هذا التطوّر حدّا لنمو الفقه ، وهو ما لم يضع حدّا لاستخدام الرأيّ ،بل حرّمه،وهو الـــذي استخدم على نطاق واسع في مدارس المدينة والكوفة القديمة ، الأمر الذي أدى إلى تطوّر مفاهيم جديدة ، مثل الاستدلال ، والنظر ، والاستحسان .

وكان في ذلك الوقت،قد أخذت المدارس الشيعيّة في النموّ،وظهرت بشكل مواز لعقيدة الإمامة الشيعيّة ؛ فالإماميون ، وبسبب غيبة إمامهم الثاني عشر[4]، توقف الإمام عن كونه مصدرا فعّالا للفقه،وكان الرأيّ والقياس والاجتهاد محرّما،خلال فترة ما قبل الغيبة،غير أنّه كان عليهم فيما بعد ،ومع دخول الإمام مرحلة الغيبة ، وتوقفه عن المساهمة في النموّ الفقه وتطوّره ، كان عليهم قبول النظريّة السّنيّة ، مع تعديلات شيعيّة محددة،ولهذا السبب ، تسلل الإجماع والاجتهاد إلى النظريّة الإماميّة على أنّهما مصدران للفقه [5].

---

(1) إسماعيل بونوالا ، القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي (من كتاب : الإسماعيليّون في العصر الوسيط ، تاريخهم وفكرهم) ، تر.سيف الدّين القصير ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ص125.

(2) الفقه الفاطمي الرّسمي ظهر من خلال كتاب الدّعائم الذي صدر التكليف به للنعمان من المعزّ لدين الله، أنظر : عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ، السبع السادس ،ص42-43 .

(3) للقياس والاجتهاد عند الشافعي ذات المعنى . أنظر : الشافعي : الرسالة ،تح.أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ص.477 .

(4) هو الإمام محمد بن الحسن العسكري ، يحدد تاريخ اختفائه سنة260هـــ ، عن ترجمته أنظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص.64 ،هامش (1) .

(5) إسماعيل بونوالا : المرجع السابق ، صص133-134.

أمّا الإسماعيليون ، فقد كانوا في وضع أكثر ملائمة وتوفيقا، عندما بدأت نظرياتهم الفقهية بالنشوء والتطوّر؛ومع قيام الدولة الفاطميّة ، تطوّرت عقيدة الإمامة لتتحوّل إلى كائن حيّ، لذا تمّ رفض الإجماع والاجتهاد ، وبدائلهما كالاستدلال والنظر والاستحسان والاستصلاح كمصادر للفقه ولذلك جاءت سلطة الإمام المعصوم ، والمهديّ بالله ، بعد القرءان والسّنّة على أنّها المصدر الحاسم والثابت[1] .

إنّ تمحيصا دقيقا للنشاط الفكري الإسماعيلي المبكّر ، يكشف أنّه لم يوجد قبل قيام الدولة الفاطميّة، فقه إسماعيلي متميّز[2] ، كما يبدوا أن هناك بعض الأدلة التي تفيد أنّ الإسماعيليين الأوائل ، قدّ اتبعوا فقه أيّ بلد استوطنوه [3] ؛ وبتأسيس الخلافة الفاطميّة تغيّرت الحالة تغيّرا كبيرا،مع بدء قيام الفقه الإسماعيلي،باتخاذ شكل محدد،بدعم من الحكّام.

ومعلوماتنا حول حال الفقـــه الإسماعيلي ، قبل تبنّي الحكّام الفاطميين لأعمال النعمان بشكل رسمي،مستقاة من المؤرخين السنّة بشكل أساسي ، فابن عذارى يروي أنّ أبا عبد الله الشيعي ، أدخل إلى القيروان عبارة "حي على خير العمل "إلى آذان الصّلاة ، وأمر بحذف عبارة"الصلاة خير من النوم"من آذان صلاة الصبح [4] ، كما أضاف إلى شعائر صلاة الجمعة الصلاة على عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، بعد الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم وحرّم تلاوة صلاة التراويح ، خلال شهر رمضان [5].

---

(1) اسماعيل بونوالا : الرجع السّابق ،ص134.

(2) نفس المرجع ،ص125 .

(3) نفس المرجع والصفحة .والظاهر أنّ الإسماعيلية الأوائل كانوا يُظهرون الموافقة لفقه أهل البلد الذي يعيشون فيه بالاعتماد على مبدأ التقيّة ، يتجلّى ذلك بالخلاف بين رأي جعفر بن منصور اليمن ورأي النعمان في" الدّعائم " في بعض المسائل الفقهيّة، مثل عدد ركعات السنّة التي وضعها جعفر وتتفق مع ما قال به الأحناف ، وتعارض ما قال به النعمان.ويبرّرإسماعيل بونوالا هذا الاختلاف على أنّ الفقه الإسماعيلي لم يمكن قد يتبلور بعد .نفسه ص141،هامش 2 .

(4)ابن عذارى :البيان المغرب ،ج1،ص.159،151 ،173؛المالكي :رياض النفوس،ج2 ،ص.41.

(5)ابن عذارى : نفسه،ص.151 ،152 .

يروي ابن عذارى أنّ محمدا بن عمر بن يحي المروزيّ (تــ303هــ /910م)[1] ، أوّل قاضي فاطميّ، يعيّنه أبو عبد الله الشيعيّ، وثبّته المهديّ،أول حاكم فاطميّ ، في مركزه وكان قد أصدر أمرا يمنع الفقهاء ، من إعطاء الأحكام والفتاوى ، إلا طبقا للمذهب الجعفريّ[2]، وأعلن بطلان طلاق البتة ، وقال بحقّ ميراث البنات لكامل ميراث الأبّ، وحرمان قرابة العصبة ، في حال وجود ولد ذكر ، ولدينا شهادة للنعمان بهذا الخصوص تقول أنّ المهدي لم يوافق على حرمان الفقهاء لذوي الأرحام من الميراث[3] .

يروي ابن عذارى وهو يتناول فترة المعزّ ، أنّه بعث بقاض سنة 349هــ/960م إلى أئمة المساجد ، ومؤذنيها ، يأمرهم بعدم إهمال عبارة " حيّ على خير العمل " من الآذان وأنّ تتم تلاوة البسملة بصوت مسموع ، في بداية كلّ سورة " في الصلوات المفروضة " ، وأنّ يسلّموا تسليمتين في نهاية كلّ صلاة ، وأنّ يكبّروا خمس مرّات في صلاة الجنازة ،كما أمر بعدم تأخير صلاة العصر ، وعدم تسبيق صلاة العشاء ، وأُمرت النساء بعدم النواح أثناء سير الجنازة إلا وقت الدفن ، ومنع العميان من تلاوة القرآن على القبور[4].

ويضاف إلى ما ورد أعلاه ، ما رواه ابن حمّاد (تــ628هــ/1231م) من إدخال القنوت إلى صلاة الجمعة[5]،في حين يروي المقريزيّ (تــ845هــ/1442م)أنّ القائد الفاطمي جوهر أهمل بعد دخوله لمصر ، رؤية الهلال كمعيار لتحديد بداية شهر رمضان واستحدث تقويما جديدا مبنيّا على حسابات فلكيّة[6] .

---

(1) هو أوّل قاض للشيعة بإفريقية ، ترجم له المالكي في الرياض ،ج1 ،ص.55 استطرادا في ترجمة ابن خيرون ، ونقل ذلك عنه ابن ناجي في المعالم ،ج.2،ص.291-292 ؛أنظر أيضا :البيان المغرب،ج1،ص.151، 173 يشير المالكي أنّ المروذي كان يحمل الناس على العمل بالفقه الجديد .رياض النفوس ،ص.41.

(2) البيان المغرب:ج.1،ص151-152 ،173 ؛المالكي:رياض النفوس،ج.2،ص.41، 56؛ العزيزي الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ،ص.53.

(3) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص97.

(4) ابن عذاري :البيان المغرب ، ج.1 ،ص223.

(5) ابن حمّاد : أخبارملوك بني عبيد وسيرهم ، ص.50.

(6)المقريزي: اتّعاظ الحنفا ، ج1 ،ص116.

أمّا الخشني (تـ371هـ/981م) ، الفقيه المالكيّ ، فقد دوّن أسماء أربعة أشخاص خلفوا محمد بن عمرو المروزيّ[1]،في قضاء القيروان،لكنّه لم يذكر أيّة معلومات بخصوص كتاباتهم الفقهيّة،وروى المؤرّخ الإسماعيلي إدريس عماد الدين(تـ872هـ/1428م)أنّ أفلح بن هارون الملّوسي[2] ،قدّ صنّف بعض الأعمال في الفقه ،لكن لم يكتب لها النجاة [3].

نتّجه الآن إلى بعض معاصري النعمان ،والأكبر سنّا في المشرق ،فالظاهر أنّ كلا من أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازيّ (تـ322هـ/934م)[4] وأبي الحسن محمد النسفيّ (تـ332هـ /943م)[5] حاولا إيجاد وتطوير نظام قضائي اسماعيلي مستقلّ، طالما أنّ ابن النديم ، الذي صنّف كتابه الفهرست سنة (377هـ/987م) ، قد أورد أنّهما صنّفا أعمالا هامة في الفقه[6] يغطي الرازي جوانب عديدة من الطقوس،كالطهارة والصّلاة والصّوم والحجّ ،وجوانب فقهيّة تتعلّق بالزواج والطلاق والميراث.غير أنّ الغرض الأساسي للمؤلّف كان هو الاشتقاق اللغوي للمصطلحات الإسلامية ،إذ أنّه لم يطل الكلام عن نقاط ذات صفة فقهيّة .

---

(1)محمد بن الحارث الخشني :طبقات علماء إفريقية ،ص139-140.ويذكر الدّباغ أنّ الكثير من فقهاء المالكية قبلوا العمل كقضاة في السنوات الأولى من الحكم الفاطمي .انظر : معالم الإيمان ،ص.25 ، 60.

(2) أفلح بن هارون الملّوسي: قاضي المهديّ في رقّادة والمهديّة .وكان داعيا أيضا ومحدّثا .أنظر :إدريس ،السبع الخامس ،ص.137-138 ؛إبن حمّاد :أخبار ملوك بني عبيد ،ص.17؛المجدوع:الفهرست،ص.74؛الخشني كتاب الطبقات ،ص.241.

(3) عماد الدّين إدريس:عيون الأخبار،السبع .ويفترض إسماعيل بونوالا أنّ بعض أولئك الفقهاء والقضاة انغمسوا في تصنيفاتهم الشرعيّة ،على أمل أن تلقى أعمالهم اعترافا رسميا بها ،وبعد الإعتراف الرسمي بالنعمان على أنّه المشرّع الفاطمي ،فإنّ أعمال معاصريه من المغاربة (ربّما) سقطت في زوايا الإهمال .أنظر : بونوالا : المرجع السابق ،ص.127.

(4) لا نعلم عن حياة أبي حاتم الرّازي إلا لمحات عابرة رصدها حسين الهمداني. أنظر :مقدّمة كتاب الزينة ،اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994 .

(5) النسفي هو أستاذ السجستاني ،كان تلميذا للداعي الحسين بن عليّ المروزي بخرسان ،استطاع هذا الدّاعي أن يكسب نصر بن أحمد الساماني للدعوة ،وحصل منه على تأييده للمهدي الفاطمي .أنظر :سياست نامة لنظام الملك طوسي ؛ الفهرست لإبن النديم، ص.240 .

(6) الفهرست ،ص.240.

ـــ دور القاضي النعمان في الفقه الإسماعيلي :

تزامن صعود النعمان إلى أعلى منصب قضائي[1] مع توطيد الدّولة ، في أعقاب الهزيمة السّاحقة لثورة أبي يزيد الخارجي [2] ، وإضعاف المعارضة المالكية السّنّية ؛ حيث كان الوقت مهيّئا لوضع مذهب للدولة،وإعلان قانون شرعي ، وكان النعمان الذي خدم الأئمّة الأربعة بإخلاص ، وصنّف بموافقتهم أعمالا فقهية وشرعيّة ضخمة،كان قد كلّف من قِبل المعزّ بتصنيف كتابه "الدّعائم "[3] الذي حاز على الاعتراف الرسمي به.وتجدر الإشارة إلى ذكر جهود النعمان الفقهية قبل الحديث عن "الدعائم" الذي مثّل ذروة أعماله منها :

كتاب الإيضاح[4] : ألّفه زمن المهديّ وبأمر منه كما يذكر عماد الدّين إدريس[5] ، وهو ما أجمع الرواة عليه في الفقه ، واستنتج مادلونغ من خلال تفحّصه للجزء المتبقي والذي يتناول فريضة الصّلاة،أنّ الفقه الإسماعيلي في هذا الكتاب يظهر وكأنّه توفيق بين الفقهين الإمامي والزيدي [6] ويبدو أنّ مصادر كتاب "الإيضاح " كانت واسعة الانتشار وواصل عمله في مجال الفقه بكتابة عدّة مختصرات لكتاب "الإيضاح " .

---

(1) ترجع صلاحيات قاضي الجماعة في الخلافة الفاطميّة إلى الإمام ، وبمقتضى النيابة المعمول به يفوّض الإمام في الدّولة الشيعيّة إلى قاضي الجماعة .ويتساءل الدّشراوي :كيف سيقع العمل بمبدأ النيابة الذي يقتضي أن يفوّض الإمام سلطة الحكم بين الناس إلى القاضي ؟ (الخلافة الفاطمية ،ص.593) . ويجيب عن هذا التساؤل النعمان على لسان المعزّ "والله ما نقم الناس على أمير المؤمنين عليّ إلاّ لأنّه تقلده (القضاء) لهم على منهاج الحقّ فيه فلذلك قلّدناه من قلدناه ، وتعافينا منه . أنظر : المجالس والمسايرات ،ص.307 .

(2) إسماعيل بونوالا : القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي ،ص .128.

(3) عماد الدين إدريس :عيون الأخبار ،السبع السادس ، ص.43 .

(4) أشار بونوالا أنه لم يبق من هذا الكتاب الضخم الذي يقع في (3000) ورقة إلاّ جزءا يسيرا من باب الصّلاة أنظر :المرجع السابق ،ص.129 .وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الجزء طبع طبعة حديثة ،من إعداد وتقديم :محمد كاظم رحمتي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ،2007.

(5) عيون الأخبار ، المرجع السّابق ،ص.42.

(6) مادلونغ : المصادر ،ص.32 ، نقلا عن بونوالا : المرجع السّابق ،ص.129 .

ويبدو كتابه التالي وهو**"الأخبار"**اختصار للكتاب الأوّل ويقع في (300) ورقة[1] أخبر فيه عمّا أجمع الرواة عليه ،واختلفوا فيه من أصول الفتيا [2]؛يروي النعمان كلاّ من الآراء المقبولة عموما والمتعارضة بخصوص مسألة من مسائل الفقه ، ثمّ يقدّم ما يفضّله هو من حيث ما هو أكثر وثوقا [3]،والظاهر أنّ بعض التردد ميّز مؤلّفات القاضي النعمان في هذه المرحلة ، لذلك كان يحاول إزالة التعارض عن طريق الشرح والتفسير[4] .

أمّا **"الأرجوزة المنتخبة"** ، فقد كانت تلخيصا آخر في صورة منظومة شعرية ، وذكر النعمان في أنّه صاغها شعرا ليسهل على الطلاب حفظها [5]. وكذلك كتاب**"الاقتصار"** وهو مختصر آخر تضمّن روايات محذوفة الأسانيد،حيث ابتدأ جميع الفصول بعبارة "رُوي لنا عن أهل البيت " [6] ، وهكذا فمن الواضح أنّه كانت له عدّة مصنّفات فقهيّة عندما أسند إليه منصب قاضي القضاة كما لدينا شهادة مـــن الأستاذ جوذر تفيد أنّ كتاب الإيضاح كان من أعزّ الكتب وأغلاها عند المنصور،وأنّ المنصور سأل جوذر الإحتفاظ به في مكان آمن مع الكتب النفيسة الأخرى[7].كما صنّف النعمان كتاب **"الاختصار"** وهو كتاب يتمتّع بقدر مساوي لكتاب "الدعائم"من جهة كونه من الأعمال المرجعيّة في الفقه الإسماعيلي [8] ، وبهذا أخذ يقترب أكثر فأكثر من قوننة الفقه الإسماعيلي .

---

(1) النعمان :كتاب الاقتصار ، تح.عارف تامر ،بيروت ،دار الأضواء للطباعة والنشر ،ط1996،1 ،ص.10.

(2) نفس المصدر والصفحة . وقد التزم النعمان في تأليفه بطرح عامّة الفروع والأسانيد .

(3) بونوالا : المرجع السّابق ، ص.130.ويذهب بونوالا في رأيه إلى اعتبار هذه الجهود ،محاولة من النعمان لوضع أسس لبناء فقه اسماعيلي عليه .

(4) نفسه .

(5) النعمان : نفس المصدر،ص.10.

(6) أنظر مثلا من كتاب الاقتصار ،ص18 ، 29، 32، 36، 39.

(7) الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ،ص.53.

(8) بونوالا ،نفس المرجع،ص.131.لمزيد الاطّلاع على تأليفات القاضي النعمان أنظر: عماد الدين إدريس تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار) ،تح.محمد اليعلاوي ،بيروت دار الغرب الإسلامي ،1985،ص.559، 569 .

" كتاب دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام" وهو القانون الفاطميّ الرسميّ ، فقد جاء من خلال تصنيف كتاب "الدعائم" الذي هو من أشهر كتبه في الفقه،صدر التكليف به عن الإمام:المعز لدين الله [1]،ولهذا السبب تجاهل النعمان ذكر مؤلّفه والإشارة فيه ،إلى أعماله السابقة ،ولقد كان ذروة أعمال النعمان وجهوده،بعد مضيّ أكثر من ثلاثين عاما ، وحول الظروف التي في ظلّها تمّت أعمال النعمان، لتصنيف الكتاب ، فيرويها إدريس عماد الدين[2] .

وعلى الرغم من عدم وجود دليل داخليّ يقرّر التاريخ الدقيق لتصنيف الدعائم ،يرجّح بونوالا أنّ تصنيفه كان قرابة عام 349هـ/960م[3] ، وبمرجعيّة تعود إلى جعفر الصادق، حدّد النعمان أركان الإسلام في سبعة ، هي :**الولاية ،الطهارة ،الصلاة ، الزكاة ، الصّوم الحجّ ، والجهاد ،** وبذا يكون النعمان قدّ أضاف ركنين آخرين إلى الخمسة المعترف بها عموما، أيّ الولاية [4] حجر الزاوية في المعتقد الإسماعيلي ، التي جرى حبكها في الدعائم، وأصبحت جزءا لا يتجزّأ من العقيدة وبموجب المعتقد الإسماعيليّ ، تمّ تحويل مبدأ الإمامة إلى مبدأ ديناميكي بعد قيام الدولة الفاطميّة وتعتبر أرفع وأنبل الأركان السبعة،التي بدونها لا صلاة تقبل عند الله ، ولا أيّ عبادات أخرى . وأمّا الطهارة ،وهي التي تضمّنت طهارة جسمية وروحيّة ، فإنّها ارتفعت إلى مكانة الركن [5]

---

(1)عماد الدين إدريس :المرجع السابق ،ص.43؛ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ،ص.561.

(2) عيون الأنباء ،السبع السادس ،ص.43.

(3)المرجع السابق ،ص.135.

(4) تجدر الإشارة إلى أنّ عقيدة الإمامة لم تصبح ، خلافا لما كان مع الإسماعيليين ، جزءا من النصوص الإمامية الشرعيّة ، فالدعائم كان أوّل نص فقهي يفسح مكانا قانونيا للولاية ، و لم تكن الولاية عند الفاطميين مجرّد اعتقاد دينيّ ،بل الأساس الذي قامت عليه دعواهم بالزعامة السياسيّة للعالم الإسلاميّ ،أمّا عند الإماميين فلم تكن لعقيدة الإمامة أيّة قيمة عمليّة نظرا لأنّ إمامهم كان قد دخل في الغيبة ،في حين كانت ذات أهمّيّة عظمى بالنسبة إلى الفاطميين لأن عقائدهم الفلسفيّة والباطنيّة كانت تدور حولها.أنظر:يونوالا،نفس المرجع ،ص.135.

(5) نفسه ،ص.136.

ويَحقّ لنا أن نتساءل عن مصادر كتاب الدّعائم ، من أين استقى النعمان أدلّته الفقهيّة ؟ ما دام أنّ الفقه الشيعي الإسماعيلي في مرحلة التأسيس والانتظام.

لقد قصّر النعمان نفسه في الدعائم ، على ما وصله من الثابت من عقيدة الأئمّة[1] من أهل بيت النبيّ (ص)كما رواها له المفسّر ، فالمصادر الموثوقة للفقه هي فقط من القرآن وسنّة النبيّ وتعاليم الأئمّة[2] ؛وحصر مرجعياته في الإمام "الصادق ". لذلك شكّل الإمام السادس إرثا مشتركا في مروياته لكلّ الشيعة ، يضاف إلى ذلك أنّ الأئمّة الإسماعيليين بعد الصادق عاشوا في فترة من الستر ، ومن هنا عدم وجود أحاديث مروية عنهم . وهو ما يفسّر لنا اقتباسه في مواضع قليلة، وجهات نظر العلويين الزيديين،على أنها الأساس الفقهي في الدّعائم [3]وذلك على الرغم من الوعد الذي قطعه بتقديم عقيدة الأئمّة وحسب.

تجدر الإشارة إلى أنّه على الرغم من الأثر المالكي القويّ للفقه الإسماعيلي في" الدعائم" إلا انّه توجد خلافات عديدة.يمكن تفسير تلك القرابة بين دعائم الإسلام،وقواعد الإسلام السّنيّة المالكيّة من حيث أصول الدّعاية الإسماعيلية،التي ما كانت تسمح بنشر إلا الظاهر من علم الأئمّة بين عامّة الناس ، وهو ما يفسّر التصنيف الثاني للنعمان تحت اسم " **تأويل الدعائم** " [4]، حيث لم يكن بإمكان الإسماعيليين القبول بنظام فقهي مالكي لأسباب تتعلق باختلافات جوهريّة في العقائد بالإضافة إلى المزاعم السياسية .

---

(1) من خصائص كتاب "الدعائم "أنّ كلّ كلمة تبدأ بكلمة – رُوينا- ، باعتبار أنّ صيغة المعلوم لا محلّ لها إذ الرواية غالبا عن جعفر الصّادق ،وبما أنّه توفي سنة148هـ(756م) فهناك قرنان تقريبا بين النعمان والأصل الذي روى عنه وهو الصّادق ، وقد تنبّه محقق الكتاب :آصف على فيضي لهذا الإشكال ،فجعل القراءة الصحيحة –روّينا - .انظر : دعائم الإسلام ، مقدّمة المحقق ،ص.19.

(2) نص القاضي النعمان على اتّخاذ الحكم طبقا لكتاب الله، فإن لم يجد فعليه بسنّة النبي (ص) والأئمّة من سلالته ، فإن لم يجد فعليه برأي الإمام .

(3) طبقا لمادلونغ ،فإنّ حجم سهم العقيدة الفقهيّة المشتقّة من المصادر الزيدية في الأخير هو أكبر من ذلك ،لكن القسم الأعظم من المادة الزيدية قد ستر عن طريق حذف الأسانيد الزيدية لأحاديث النبيّ (ص) وعليّ والأئمّة الآخرين .أنظر:مادلونغ:المصادر،ص.32.نقلا عن بونوالا : المرجع السابق ،ص.136.

(4) زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب العربي ، ج.3 ، ص.14.

أ(2) ــ علم الرّواية عند الفاطميين :

في الوقت الذي كان فيه النعمان يكتب كتبه في الفقه الإسماعيلي ، كانت مدرسة الحديث عند أهل السّنة والجماعة قد استقلّت بأسبابها[1] ،ووضعت معايير قبول الحديث استنادا إلى علم الرجال[2] ، لذلك نجد كتب النعمان الفقهيّة تأخذ شكل كتب الحديث[3] و نجد كلّ فصل من فصول الدّعائم يستهل بآية من القرآن الكريم ، يعقبها ما يكون النبيّ (ص) قاله أو فعله بخصوص المسألة موضوع المناقشة ، ويتضمّن كتاب الدّعائم خمسمائة حديث نبوي[4] على وجه التقريب يستخدم النعمان السنّة لوضع ختم السلطة الأخيرة على المعتقدات المتنازع عليها،وكان معيار قبول السنّة في مسائل الاختلاف عند النعمان،هو صدورها عن أئمّة ،وعندما يكون اتّفاق فإنّ أحاديث أهل السنّة تدخل بيسر كدليل متمم على عقيدتهم الخاصّة ، وقد جنّب موقف الإسماعيليين درجة صدق الرّواة ، وطريقة النعمان هو قطع الأسانيد،وكانت أسانيد الإمامية[5] أكثر إفادة وفعاليّة في مسائل الاعتقاد

---

(1) يعتبر القرن الثالث من أزهى عصور السنّة وأكثرها خدمة للحديث ، ففيه ظهر أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث وأئمّة الرواية، وفيه ظهرت الكتب السّتة ، وفيه اعتنى أئمّة السّنة بالكلام على الأسانيد وتواريخ الرجال ومنزلتهم في الجرح والتعديل ، ومع بداية القرن الرابع كانت الموسوعات الحديثيّة تزخر بالحديث وعلومه ،وصار علماء هذا القرن وما بعده ، يجمعون ما تفرّق من كتب الأولين أو يختصرونها ، بحذف الأسانيد أو يقومون بشيء من الترتيب والتهذيب،وانتقل المحدّثون من مرحلة الرواية الشفهية إلى مرحلة التدوين ، ووجد في القرن الرابع طائفة كبيرة منهم : أبو عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك (تــ405)،والدارقطني:علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ (تــ385) وابن حبّان :محمد بن حبّان بن معاذ بن معبد البستي (تــ379هــ) ،الطبراني (تــ360 هــ).أنظر:الحديث والمحدّثون ،ص.423- 424 وما بعدها من عدّة صفحات .

(2) انظر : كتاب ميزان الاعتدال للذهبي ، مقدّمة المصنّف ، تح.عليّ محمد معوّض و عادل أحمد عبد الموجود ط.1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995 ، ص.110-111-112 .

(3)في كتاب الإيضاح ، اقتبس النعمان كامل سلسلة الإسناد لكلّ حديث ، وأورد عدّة أحاديث لكل مسألة من المسائل الفقهيّة . أنظر: كتاب الإيضاح ، تقديم وإعداد : محمد كاظم رحمتي ، ط1 ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ،2007.

(4)لاتوجد إشارة في أيّ من أعمال النعمان إلى كتب الحديث السنّة.بونوالا:المرجع السّابق ،ص.145(هامش80)

(5)عن بداية تدوين الحديث عندهم (الإمامية) : قال ابن النديم :"إنّ أوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس=

أمّا مصادر رواية الحديث عند القاضي النعمان،فقد قَصُرت على الإمام الصّادق[1] لسبب بسيط وهو أنّ الأخير ومن سبقه من الأئمّة، كانوا مقبولين من قِبل كلّ من أهل السنّة و الإماميّة على أنهم مرجعيات للحديث موثوقة ،يضاف إلى ذلك أنّ الأئمّة الإسماعيلية بعد الصّادق عاشوا في فترة من السّتر ، ومـــن هنا عدم وجود أحاديث مرويّة عنهم [2].

وعلى الرغم من اعتماد النعمان في مؤلّفاته على رواية الأحاديث دون إسناد ، إلاّ أنّ كتابه الإيضاح شذّ عن هذه القاعدة،فاقتبس فيه كامل سلسلة الإسناد لكلّ حديث ؛ ومن أشهر مصادر الرواية المعتمدة لديه :

أ- كتاب حماد بن عيسى الجهني:ورد ذكر أبي محمد حماد بن عيسى الجهني(تـ208هـ)في المصادر الإمامية ، وصرّح بعضهم بأنّه من رواة حريز بن عبد الله السجستاني ، يروي القاضي النعمان بطريق حمّاد عن حريز كما ورد في بعض الأسانيد[3] .

ب- كتب جعفريّة :هي من أشهر التصانيف الإماميّة التي تداول نقلها حتى في أواسط أهل الحديث يقول الخطيب البغدادي (تـ463هـ)في ترجمة أبي عليّ عبيد الله ابن عليّ العلوي (تـ312هـ):"من أهل بغداد قدم مصر وسكنها،وكان يمتنع من التحديث ثمّ حدّث(...) وكانت عنده كتب تسمى الجعفريّة،فيها فقه على مذهب الشيعة يرويها " [4] .

= الهلالي "رواه عن أبان بن أبي عيّاش ولم يروه غيره ، ويبدوا أنّ أوسع جمع لآثارهم هو ما قام به أبو جعفر القمّي محمد بن الحسن بن فرّوخ الصفار القمي (تـ290هـ) في كتابه " بصائر الدرجات في علوم آل محمد وما خصّهم الله به " وهو مجموعة لأحاديثهم .ناصر بن عبد الله القفاري : أصول مذاهب الشيعة ،م .1 ،ص.352 وفي أوائل القرن الرابع الهجري،جدد التأليف الكليني (تـ 328) في كتابه الكافي ،ثم تعاقب التأليف عندهم .

(1)لا نجد في كتب الإسماعيليّة ما يرتفع بالسند إلى النبيّ (ص) إلاّ القليل النّادر، وأكثر ما يروونه واقف عند جعفر الصّادق ، وقليل منها يعلوا إلى أبيه محمد الباقر ، وأقلّ من ذلك ما يعلوا إلى أمير المؤمنين عليّ (ض).أنظر مثلا كتب النعمان مثل الإيضاح ، دعائم الإسلام ،كتاب المجالس والمسايرات .

(2) وعند أهل السنّة أنّ جعفر الصّاق من أئمّتهم ، وقد روى له البخاري ومسلم في صحيحيهما .

(3)محمد بن الحسن الطّوسي:فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنّفين وأصحاب الأصول ،تح.عبد العزيز الطبطبائي ،مكتبة المحقق ،قمّ ،1420 هـ ،ص.162.

(4) تاريخ مدينة السّلام ،ج12،ص.63.

ج- كتاب الصّلاة : من رواية أبي ذر أحمد بن الحسين بن أسباط[1].

د- جامع عليّ بن أسباط:أبو الحسن عليّ بن أسباط بن سالم بيّاع الزطّي المقرّي الكوفي من أشهر علماء الإماميّة ، ذكره النجاشيّ ووثقه ووصفه بأوثق النّأس وأصدقهم لهجة [2].

هــ-المسائل من رواية حسين بن عليّ :يروي القاضي النعمان من هذا الكتاب برواية أبي عبد الله حسين بن عليّ بن حسن ابن عليّ بن عمر بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب الكوفيّ الزيدي (تــ312هــ)المشتهر بحسين الشاعر ؛ وطريق القاضي النعمان بهذا الكتاب :الحسين بن عليّ عن أبيه عن عليّ بن جعفر بن محمد عن أخيه موسى الكاظم عن أبيه[3].

و- كتاب مسائل محمد بن مسلم : يروي القاضي النعمان من هذا الكتاب بهذا السّند :" الحسين بن عليّ عن إبراهيم ابن سليمان الهمداني ، عن إسماعيل عن العلا عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر" [4] .

ز-كتاب النهيّ من رواية الحسن بن جــعفر:كتاب النهي أو جمل من مناهي النبيّ ذكره النجاشي ، في ترجمة الحسين ذو الدّمعة ابن زيد الشهيد ابن السجّاد زين العابدين عليّ بن الحسين السبط الشهيد ابن أمير المؤمنين.أورد هذا نصّ هذا الكتاب بتمامه الشيخ الصّدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه و الأماليي،وهو كتاب جمعه الإمام الصّادق جعفر بن محمد من الكتاب الذي هو (بزعمهم) إملاء رسول الله (ص) وخط أمير المؤمنين (ض) بيده[5].

---

(1)يذكر محقق كتاب الإيضاح:محمد كاظم رحمتي أنّ اسم هذا الرّاوي لم يرد ذكره في كتب الإمامية إلاّ ما ذكر ابن شهرآشوب في"معالم العلماء"والظاهر كما يقول أنّه أخذ اطّلاعه من كتاب الإيضاح و لم يشاهده ، أنظر: الإيضاح ،ص.13.

(2) النجاشي : فهرست أسماء مصنّفيّ الشيعة ،ص.252 نقلا عن مقدّمة الإيضاح ،ص. 13.

(3) مقدّمة الإيضاح ،ص.16.

(4) نفس المرجع والصّفحة .

(5)لمزيد الإطلاع على مصادر القاضي النعمان في كتاب الإيضاح ،أنظر مقدّمة المحقق: محمد كاظم رحمتي ،نفس المصدر ،ص.11 وما يليها من عدّة صفحات .

ورواية العامّة – أهل السّنّة -عن الأئمّة من أهل البيت خلاف قولهم،إذ يستبيحون الكذب – في اعتقاد الشيعة الإسماعيلية-وتحريف حديثهم ، وفي هذا المعنى ساق النعمان حديثا لجعفر الصّادق مع رجل من العامّة يطلب الحديث ، فأنكر حديثا منسوبا إليه من تحليل المسكر وإباحة المتعة لم يقل بها جعفر، ثم عطف جعفر على أصحابه الذين بين يديه من شيعته فقال لهم : "أما سمعتم قول هذا وما ابتلينا به من أمثاله من العامّة، يكذبون علينا ويروي ذلك منهم من يرويه عنّا ثمّ يصدّقهم فيه ولا يصدّقنا إن أنكرناه [1] ؟ ثمّ صرّح"

إنّ الناس أغروا بالكذب علينا حتى كأنّ الله افترضه عليهم لا يريد منهم غيره"[2]وذكرت ما رواه لنا أئمّتنا عن رسول الله (ص) أنّه قال : إنّكم ستحدّثون ، ومن يأتي بعدي بما لم أقله ، فمن بلغه عنّي حديث فليعرضه على كتاب الله ، فإن وافقه فليقبله وليعلم أنّي قلته وإن خالفه فليدفعه وليعلم أنّي لم أقله ، وكيف أخالف كتاب الله وإنّما هداني الله به ؟ويقول جعفر ابن محمد : ما جاءكم عنّا من صواب وحقّ ،فنحن قلناه فارووه عنّا ، وماجاءكم من باطل ينسب إلينا فادفعوه واعلموا أنّه كذب وافتراء علينا ،فعلمت أنّه كان من الواجب عليّ تكذيب الرجل فيما قاله ونسبه إلى أمير المؤمنين [3] .

مثل قوله قوله(ص):خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا:كتاب الله وعترة أهل بيتي [4]" أوّل ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبرثمّ قال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقا أجلّ منك ، بك أثيب ،وبك أعاقب كقول جدّه (ص)إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى ، الحديث رواه النعمان في الدّعائم بسند عن جعفر الصّادق عن أبيه عن آبائه [6] .

---

(1)المجالس والمسايرات ،ص.509.

(2) النعمان : دعائم الإسلام ،ص.78 .

(3) نفس المصدر،ص.78.

(4) نفسه،ص.328. والحديث عند أهل السنّة يُروى عن النبيّ (ص) قوله" كتاب الله وسنّتي " أنظر : صحيح البخاري ،ص.

(5)المجالس المؤيدية ،ص.22 ؛ المجالس والمسايرات ،ص.145.

(6) دعائم الإسلام ،ص.156.

أ(3) علم التأويل عند الفاطميين :

استعاض الفكر الإسماعيلي بالإمام عن القرآن،فحاجة الخلق إلى الإمام كحاجتهم إلى القرآن [1] فهذه الحروف لا قيمة لها بدون الإمام،الذي لديه علم معانيها الباطن،والإمام ليس مكمّلا للكتاب فقط ، ولكنّه مكمّل للإسلام أيضا ،حيث أنّ الإسلام هو الاعتقاد بالظاهر،وأمّا الإيمان فهو الباطن وعلى هذا فالإسلام بدون الإمام مجرّد تمسّك بقشور والتي لا تغنى هنا إذ " لا يصحّ الإيمان بأحدهما دون آخر ومن لم يعتقد ولاية إمام زمانه لم ينفعه قول ولا عمل" [2] .

وللقرآن عندهم معاني سوى ما يتداوله ألسن العامّة ، مما يستنبطونه بحولهم وقوّتهم ، من دون الرجوع فيه إلى أهل الاستنباط ممن قال الله فيهم : ولو ردّوه إلى الرسّول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطنه منه " [3] ، فالتعامل مع النصّ المقدّس لدى الإسماعيليّة يأخذ طابعا خاصّا ، ينطلق من نظرتهم العامّة لمكانة الإمام وخصائصه المقدّسة .

ويبدوا أنّ معظم أخطاء المفسّرين الشيعة أخطاء منهجيّة ، يتجلّى فيها الخطأ في منهج النظر في القرآن وهي أخطاء في المدلول والدّليل معا [4] ، فأفكارهم التي آمنوا بها معظمها خاطئة ،ومع ذلك دخلوا عالم القرآن بهذه الأفكار الخاطئة ، وبحثوا في الآيات لتكون شاهدة لتلك الأفكار ، وبذلك سلبوا الآية معناها الصّحيح،وحملوها على معنى خاطئ ، وحوّلوها إليه مع أنها لا تتحدّث عنه ، ولا تدلّ عليه .

---

(1) في معرض تفسير النعمان للآية :" وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ، وإنّ كانوا من قبل لفي ضلال مبين " يذكر بأنّ الكتاب في الظاهر : كتاب الله ،والحكمة ما بيّنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاء من عنده ، والكتاب في الباطن : الإمام ، والحكمة في الباطن التأويل الباطن . تأويل الدعائم ،ص71.

(2) تأويل الدعائم ، ص.12-13 من منتخبات إسماعيلية ، تحـــ:عادل العوا ، مطبعة الجامعة السوريّة ، دمشق 1958 .

(3) نفسه ،ص.38 .

(4)هناك نموذج للتفسير الباطني ، والذي يجمع الخطأ في الإستدلال بالقرآن ،مع خطأ الفكرة ، ومع سلب الآية معناها الصّحيح .أنظر :مزاج التسنيم لضياء الدّين إسماعيل بن هبة الله السليماني ،تصحيح ،ر.شتر وطمان المجمع العلمي ،غوتّنغن، 1944.

فالتأويل الباطني بهذا المعنى[1]من خصائص الأئمّة ؛ كما خَصُّوا النبيّ (ص) بالتفسير الظاهري ، فالدعوة الظاهرة : " قسط الرسول صلوات الله عليه ، والدعوة الباطنيّة قسط وصيّه الذي فاض منه عليه جزيل الإنعام"[2].فلابد لكلّ محسوس من ظاهر وباطن،فظاهره ما تقع الحواس عليه وباطنه ما يحويه ، ويحيط العلم به بأنّه فيه،وظاهره مشتمل عليه [3]. واستعانوا في استدلالهم بالباطن بكلّ المصادر الإسلاميّة ، لإثبات حقيقة التأويل وإعطائه صفة الوجوب التي تلزم كلّ إنسان، فاستمدّوا براهينهم من القرآن والسنّة.

ففي كتابه " أساس التأويل" ، عقد القاضي النعمان فصلا عنوانه :"جوامع من القول في تثبيت التأويل وباطن ما جاء في الحديث والتنزيل"ومما نسبه للنبيّ (ص) قوله :" ما نزلت عليّ من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن [4].كما أفرد السجستاني إقليدا خاصّا **في الظاهر والباطن**،ومما ذكره هذا الدّاعي محتجّا للتأويل قوله : " إنّ الظاهر هو الشريعة ، والباطن هو الحقيقة ، وصاحب الشريعة هو الرّسول محمد صلوات الله عليه ، وصاحب الحقيقة هو الوصيّ عليّ بن أبي طالب [5].

وهكذا جعلوا عليّا رضي الله عنه وذريّته من بعده شركاء للرسول (ص) وستندين لحديث منسوب للنبيّ(ص) قال فيه :"أنا صاحب التنزيل ، وعليّ صاحب التأويل " [6] .

ومن استدلالاتهم بالقرآن على حقيقة التأويل ، والمتّصفون به ، ما ناظر به داعي الدّعاة المؤيّد خصومه،ومنها قوله تعالى:﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم مرض فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة**

---

(1) التأويل :إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه .وهو مأخوذ من آل يؤول :إذا رجع وصار إليه .الجرجاني : التعريفات ،ص.52 .

(2)عليّ بن الوليد ،كتاب الذخيرة في الحقيقة ،تح.محمد حسن الأعظمي ،بيروت ،دار الثقافة،1981 ،ص.113.

(3) القاضي النعمان : أساس التأويل ، ص.28.

(4) نفس المصدر ، ص.29 -30 .

(5)كتاب الافتخار،ص.71.

(6)سيرة المؤيد ، ص.17 ؛ كتاب الكشف ،ص.65 ؛ مذكّرات داعي الدّعاة ، ص.35 .

وابتغاء تأويله ، والراسخون في العلم ﴾[1]،واستشهادهم بمثل قوله تعالى: ﴿ ولنعلّمه من تأويل الأحاديث﴾[2]،وقوله تعالى : ﴿بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه،ولمّا ياتهم تأويله﴾[3] وهكذا يمكن الحكم بأنّ التأويل لدى الإسماعيلية هو أكثر من وسيلة فهم،بل هو أساس اعتقاد،فمنكر صاحب التأويل كافر[4] ؛ ويذكرون في ذلك رواية عن عليّ (ض) أنّه قال : " من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر "[5] .

لم يأخذ الفاطميون بالقياس في التفسير كما في الفقه ، وطعنوا في فتاوى الصّحابة ، وذهبوا إلى أنّ الفقهاء من أهل المذاهب الأولى حرّفوا القرآن الكريم ،لأنّهم لم يفهموا معناه ويتّضح ذلك في قول المؤيّد :

وهـــو الذي حـــرّف الكتابا عـــن وجهه وجـــانب الصّوابـــا
يثبت شيـــئا ليس فيـــه فيـــه وحـــكم أى أحـــكمت يـــنفيه[6]

ويعيب المؤيّد أهل الرأي والقياس الذين يقولون القول بالغداة ، ثم يرجعون عنه بالعشيّ مستدلا برأي جعفر الصّادق الرافض للرأي والقياس [7] .

وفي الإجمال ، يمكن القول بأنّ تأويل القرآن يهدف إلى تثبيت قواعد الدّعوة الإسماعيلية وتركيز نظامها وإلى محاولة الربط بين الأئمّة الفاطميين وبين الأنبياء الذين جاؤوا في أدوار الرسل السابقة ولذلك ركّز الإسماعيليون في دعوتهم على نقطتين أساسيتين:شرعيّة التأويل واختصاص الأئمّة به[8]

---

(1) سورة آل عمران ،الآية 07.
(2)سورة يوسف ،الآية 21.
(3)سورة يونس ،الآية 39.
(4) كتاب الكشف ،ص.68.
(5) النعمان : الرسالة المذهبة ، من خمس رسائل إسماعيلية ،ص.38.
(6) ديوان داعي الدّعاة .ص.103.
(7)سيرة المؤيّد ،ص.24.
(8) الحبيب الفقي : التأويل أسسه ومعانيه،ص.1-2 .

ويَتجلّى عبث الفكر الإسماعيلي بآيات القرآن ، في القصص الواردة فيه ، وهي عندهم عبارة عن رموز تتضمن معاني عميقة لا يَفهمها عامّة الناس،وذَكَر تأويل قصص الأنبياء كلّ من جعفر بن منصور اليمن ، والقاضي النعمان ، والمؤيّد الشيرازي ؛ فجعفر بن منصور اليمن خصص لذلك كتاب"**سرائر وأسرار النطقاء** "[1] ، كما أنّ النعمان خصص كتابا لتأويل قصص الأنبياء باسم أساس التأويل [2] ،وتجنّبا للإطالة نذكر نموذجا من تأويلهم في تلك القَصَص .

يجعل النعمان الشجرة المنهي عنها في قوله تعالى ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾،رفع العمل ووضع التكليف فيقول:"جعل الشجرة التي نهاه أن يقربها ومنعه منها وحرمها عليه مثلا لحدّ قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة ،والذي يكون التكليف في حدّه مرفوعا (...) فيتجرّد الباطن ويسقط الظاهر "[3] .و النعمان نفسه يؤوّل الشجرة بتأويل آخر في كتاب آخر فيقول:" وأمّا الشجرة التي هبطوا إلى الأرض من أجلها فهي الدّعوة وعلم التأويل التي أمر في سترها ونهى عن الكلام عنها وعرف أنها منزلة مدّخرة لولده إلى أوان الظهور أي ظهور القائم "[4]

أمّا جعفر بن منصور اليمن ،فيقول في هذه القصّة بتعبير آخر : إنّ الشجرة المنهي عنها كان إبليس يقول : " وكان إبليس هو الشجرة المنهي عن المفاتحة بالعلوم السرية ، إذ كان حدّه قبل إبلاسه ، كحدّ الدّعاة ،فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته ،وانقطعت مادته فشيطن و أبلس "[5]

---

(1)وصف محقّق الكتاب :مصطفى غالب بأنّ "أسرار النطقاء "من أقدم المصنّفات الإسماعيلية التي تبحث في قصص الأنبياء ، وأسرارهم العرفانيّة ، وحكمهم التأويلية الباطنيّة .أنظر :جعفر بن منصور اليمن،سرائر وأسرار النطقاء دار الأندلس ، بيروت ،ط1، 1984 ، ص5.

(2)يذكر النعمان أنّه باشر تفسير القرآن ،في زمن المنصور وبأمر منه .أنظر: كتاب المجالس ،ص.135.

(3) أنظر : أساس التأويل ، ص.62.

(4)أنظر :الرسالة المذهّبة ، من "خمس رسائل اسماعيلية" ،صص.71-72 .

(5) أنظر : أسرار النطقاء ،ص. 75.

ونموذج آخر حول طريقتهم في التأويل،وذلك باعتماد الحروف المتقطّعة في أوائل السّور إذ يقول ابن حوشب اللقب بمنصور اليمن:وفي القرآن أحرف من حروف المعجم،في أوائل السّور ليس لها ظاهر معناها كما في أوّل سورة البقرة وشبهها ، فـــالألف فيها تدلّ على الناطق ، واللام على الوصيّ ، والميم على الإمام ، هذا فيما كان أوّله ﴿ **ألم**﴾ وأوّل سورة الأعراف ﴿**المص**﴾، فالألف تدلّ على الناطق ، واللام على الوصيّ ، والميم على الإمام المتمّ والصاد على حجّة الإمام. وأوّل سورة يونس﴿**الر**﴾فالألف واللام يدلاّن على الناطق والوصيّ والراء تدلّ على الإمام المتم (1) .

ويَتأوّل الاسماعيليّون آيات عرش الرحمن وهي كثيرة ،واعتقاد أهل السنّة يتوافق مع مبدأ التتريه لله عزّ وجلّ ، دون تعطيل أو تشبيه ، وردّ الإمام مالك على السائل في هذه المسألة مشهور ، أمّا علماء الإسماعيليّة فتاهوا في تأويل العرش فهو عندهم العقل أو العلم أو الإبداع أو الناطق السابع وغير ذلك كما ذكر ذلك الدّاعي أبو يعقوب السجستاني:" إنّ المراد من العرش والكرسي العقل والنفس "(2) وقال المؤيّد الشيرازي ما معناه إنّ المراد من العرش هوالعقل الذي هو المبدع الأوّل (3) ويواطؤه الدّاعي عماد الدّين إدريس بقوله : " العرش هو العلم الباهر والنور الزاهر" (4) ؛ ويقول النعمان :"إنّ العرش دين الله الذي تضمّنته دعوة الحق،والدّعوة في ذاتها عرش لأنّها الدّين الخالص ويورد على لسان جعفر الصّادق ما يؤكّد زعمه" (5) .

وبهذه النماذج التي أوردناها من تأويلاتهم ،والتي تنتهك قدسيّة كلام الله ، وتبيـــح معانيه للأهواء والآراء المنحرفة،يتّضح جليّا أنّ القرآن لا يمثّل مصدرا من مصادر الفكر الإسماعيلي

---

(1) أنظر: كتاب الرشد والهداية ، الملحق بالمنتخبات ،للجمعية الإسماعيلية ،بومبي ،ط.برل ،ليدن هولندا ص 189.
نقلا عن :إحسان إلهي ظهير ،الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص.539.

(2)السجستاني : كتاب الافتخار ،ص.40.

(3)كتاب المجالس ، ص.57.

(4) عماد الدين إدريس : زهر المعاني ،ص.117.

(5) النعمان : تأويل الدّعائم ، ج1،ص.251.

أ(4) دور الأئمّة الفاطميين في الدّراسات الدّينيّة الاسماعيليّة :

ـــ في الفقه الاسماعيلي :

بلغت مكانة الأئمّة في الاعتقاد الإسماعيلي،إلى حدّ اعتبار أرائهم الفقيّة أدلّة ترقى إلى اقترانها بأدلّة القرآن والسنّة ،وقد أوضح النعمان أنّ من يعش في ظلّ إمام حاضر ،أو مع اتّصال به ،فعليه الصّيام مع صيام الإمام والإفطار مع إفطاره ،لأنّ الإمام هو من يحرص على الأمـــور الدينيّة ويعنى بها [(1)] . وهكذا ، يصبح واضحا أنّ الفقه ،وعلوم الدّين يجب أن تؤخذ عن الأئمّة أصحاب الحقّ من أهل البيت ،والمفتاح في ذلك هي نظريّة الإمامة لفهم جميع المعادلات الدّينية الشيعيّة[(2)]،فالإسماعيليون لا يأخذون تعاليمهم وعلومهم إلاّ من الأئمّة المعصومين، الذين لا يخطؤون،ويرون أنّ من لوازم العصمة عدم التعارض والتناقض،مستدلّين بقوله تعالى:"ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "[(3)]. لذلك يصرّح النعمان أنّ الإختلاف متعذّر في مذهبه [(4)] . وفي تأليف كتاب "الاختصار" قال النعمان بأنّه لم يكتف باستشارة الإمام بانتظام أثناء تصنيف الكتاب، بل إنّ الإمام دقق كامل الكتاب بنفسه ، وقدّم العديد من التصويبات، واقترح عنوانه ،ثمّ أجاز المعزّ له برواية الكتاب بكامله على مسؤوليته وبمرجعيّته منه ومن أجداده [(5)] .

---

(1) المبادئ التي يقوم عليها الفقه طبقا لكتاب " الاختلاف "هي القرآن ، وسنّة النبيّ (ص) ، وآراء الأئمّة من آل البيت ، ورأي الإمام الحاكم .وفي كتاب الاختصار ، ينص القاضي النعمان على اتّخاذ القرار طبقا لكتاب الله فإن لم يجد فعليه بسنّة النبي (ص) والأئمّة من سلالته ، فإن لم يجد فعليه برأي الإمام . لمزيد من التفصيل أنظر : بونوالا ،المرجع السابق ،ص.132 -133 .

(3) يقول المعزّ مذكّرا بهذه المترلة :"وماذا عسى أن يدّعي مدّ ع شيئا من العلم إلاّ ما قد آثره عن آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا وعبيدنا .أثبتهم حديثا وأصدقهم لهجة ، من يعبّر عن المعنى الذي يحتمل التأويل والزيادة والنقص عند التحصيل ،فذلك أفضل أم من نمدّه بالهداية والفوائد الحكميّة ؟ " أنظر المجالس والمسايرات،ص.276.

(4) جرّد النعمان لبيان علّة اختلاف الناس كتاب: "اختلاف أصول المذاهب" ذكر في الباب الثالث منه أن مذهبه لا يمكن وقوع الخلاف فيه ،لأنّهم يأخذون العلم من أئمّتهم المعصومين.انظر :كتاب"اختلاف أصول المذاهب " ،تح. مصطفى غالب ، بيروت ،دار الأندلس ،ط3، 1983، الباب الثالث ، ص.77.

(5) كتاب المجالس والمسايرات ، ص.360.

يذكر عماد الدين إدريس أنّ تأليف كتاب "مختصر الإيضاح "على عهد المهدي ،كان بأمره على ما أراه وأصّله ، وبيّنه له وفصّله [1] .كما أمره المعزّ بتأليف كتاب الدّعائم ، وأصّـــل له أصوله ، وفرّع له فروعه.وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه [2].وينصّ النعمان على أنّ المعزّ قد حثّ الناس على قراءة "الدّعائم" واستنساخه ودراسته ،وأنّه كان يُقرأ في التجمّعات الأسبوعيّة " مجالس الحكمة " في القصر [3] .

وكذلك نسبت كتب فقهيّة للمعزّ ، مثل كتاب "الروضة"،وهو كتاب فيه الكثير من الجوانب الفقهيّة كما نسب إليه كتاب المناجاة[4]. ويُذكر أنّ المعزّ وابنه العزيز بالله ، أمليا كثيرا من المسائل الفقهيّة على وزيريهما يعقوب بن كلس ، وقد رتّبه هذا على أبواب الفقه[5] وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّه كانت بجانب ما ذكرنا مـــن دراسات فقهيّة ، نشاطات فقهيّة مبعثرة لم تدوّن .

يذكر ابن عذارى أنّ المعزّ نشر تعليمات هامّة على أئمّة المساجد ومؤذنيها،وذلك في سنة 349هـ/960م يأمرهم ألا يؤذنوا إلا ويقولوا فيه :"حيّ على خير العمل"،وأن يقرؤوا﴿**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ في أوّل كلّ سورة ويسلّموا تسليمتين ، ويكبّروا على الجنائز خمس .... ولا يقرأ العميان على القبور عند الدّفن [6]، وبغضّ النظر عن انعدام روح التسامح في هذا القرار تجاه المخالفين في المذهب ، فقد استنتج بونوالا أنّ المعزّ أحدث تغيرات رئيسية في سياسة الدّولة ، بإعلان الدّعائم عـــلى أنّه القانون الـــرسمي للدولة الفاطميّة [7].

---

(1)تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، ص.560.

(2)نفس المرجع ،ص.561.

(3)كتاب المجالس والمسايرات ، ص.306-307.

(4)حسن إبراهيم حسن وطه شرف : المعزّ لدين الله ،ص.225-226.يصف النعمان المعزّ فيقول :"وأمّا الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتيا والأحكام فذلك مجاله وميدانه وصنعته وديدانه .الجالس ،ص.148.

(5) بونوالا : المرجع السابق ،ص.139 .

(6)البيان المغرب ،ج1،ص.223.

(7)بونوالا : نفس المرجع،ص.135.

ــ في رواية الأحاديث :

إنّ الدّارس لنصوص الشيعة الإسماعيليّة ورواياتها ،ينتهي إلى الحكم بأنّهم يقولون بالسّنة ظاهرا ، لكن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتّجاها مخالفا للسنّة التي يعرفها المسلمون ، في الفهم والتطبيق ، وفي الأسانيد والمتون، ويتبيّن ذلك في قولهم إنّ قول الإمام كقول رسول الله (ص):فالسنّة عندهم هي كلّ ما يصدر عن المعصوم فالأئمّة ليسوا من قبيل الرّواة عن النبيّ والمحدّثين عنه ،ليكون قولهم حجّة من جهة أنّهم ثقات في الــرّواية ، بل لأنهم هم المَنصّوبون من الله تعالى على لسان النبيّ لتبليغ الأحكام الواقعيّة[1].ولا فرق في كلام هؤلاء بين سنّ الطفولة وسنّ النضج العقلي ،إذ أنهم لا يخطئون عمدا ولا سهوا ، فالإمامة عندهم استمرار للنبوّة؛وقد جاء في الدّعائم ما يعدّونه حجّة لهم في هذا الباب ،قال النعمان رواية عن جعفر الصادق:"نحن أولوا الأمر الذين أمر الله عزّ وجلّ بالردّ إلينا "[2]،ويُنسب حديث لعليّ بن أبي طالب حين سُئل عن أهل الذكر من هم ؟ قال : نحن أهل الذّكر[3]وهو تأكيد عن الأئمّة على أحقيّتهم في احتكار الرواية عن رسول الله(ص)،فالسنّة عندهم ما كانت رواية عن آل البيت[4]؛وهم يقولون بهذا القول من منطلقين:علم الأئمّة وهو نوعان علم حادث وهذا يتحقق عن طريق الإلهام وغيره[5]، وعلم مستودع عندهم ، ورثوه عن الرسول(ص) والكلّ يعتبر من السّنّة .

---

(1) يُنسب للرسول(ص) أنّه قال:" تَعلّموا من عالم أهل بيتي ،أو ممن تعلّم من عالم أهل بيتي تَنجوا من النار ". تأويل الدّعائم ،ج.1 ،ص.67 .

(2) في إشارة إلى قوله تعالى:" ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولى الأمر منهم " .النعمان : الدّعائم ،ص.27 .

(3) نفسه ،ص.28 .

(4) حسب ما ذكر ابن تيميّة ،فإنّ جميع المدائن الإسلام بلغهم العلم عن رسول الله من غير عليّ ،أمّا أهل المدينة ومكّة فالأمر فيها ظاهر ،وكذلك الشام والبصرة ،فإنّ هؤلاء لم يَكونوا يَروون عن عليّ شيئا قليلا ،وإنّما كان غالب علمه في الكوفة ،كانوا يُعلّمون القرآن والسنّة قبل أن يَتولّى عثمان (ض) فضلا عن عليّ ،وفقهاء أهل المدينة تعلّموا الدّين في خلافة عمر ،وتعليم معاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من عليّ ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما رووا عن عليّ ،وشريح فيها قاضيا وهو عبيدة السلماني تفقّها على غيره فانتشر علم الإسلام قبل أن يَقدم عليّ على الكوفة . منهاج السنّة ،ج.4 ،ص.139 .

(5)يشير النعمان إلى أنّ علم المعزّ علم فطريّ ،حيث لم يُعرف له معلّم مذ كان طفلا ،ويعقد مقارنة بين علمه وعلم رسول الله(ص) .انظر :المجالس ،ص.148-149.

ويَذكر النُعمان حديثا جرى في مجلس المعزّ ، يورد فيه على لسانه وصفا لمكانة الأئمة العلميّة فيقول : " وماذا عسى أن يدّع مدّع شيئا من العلم إلاّ ما قد آثره من آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا وعبيدنا ، أثبتهم حديثا وأصدقهم لهجة من يُعبّر عن المعنى الذي يحتمل التأويل والزيادة والنقص عند التحصيل ، فذلك أفضل أم من نُمدّه بالهداية والفوائد الحكمية [1] ويَستدلّ في مَجلس آخر بحيث يَرويه كلّ الشيعة عن النبيّ عليه الصلاة والسلام أنّه قال:"خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترة أهل بيتي [2]

وموقف الفاطميين من روايات أهل السنّة عن الأئمّة من أهل البيت،هو الرّفض لقبول أحاديثهم لأنّهم يُتّهمون بالكذب والتحريف ،يقول المعزّ:"رواية أكثر العامّة عن الأئمّة من أهل البيت رسول الله (ص) خلاف قولهم ،وكذبهم عليهم وتحريفهم حديثهم [3] ثمّ ساق حديثا لجعفر الصادق مع رجل من العامّة يَطلب الحديث ، فأنكر حديثا منسوبا إليه من تَحليل المسكر وإباحة المُتعة لم يَقل بها جعفر ،ثمّ عطف جعفر على أصحابه الذين بين يَديه من شيعته فقال لهمك " أما سمعتم قول هذا وما ابتلينا به من أمثاله من العامّة ، يَكذبون علينا ، ويروي ذلك منهم من يَرويه عنّا ثمّ يصدّقهم فيه ولا يُصدّقنا إن أنكرناه [4] وتتّصل شكوى الإمام الصادق حتّى أتباعه ، نُقل عنه أنّه قال :" إنّ الناس أغروا بالكذب علينا حتّى كأنّ الله افترضه عليهم لا يُريد منهم غيره [5] .

ويَنفي المعزّ مخالفته لكتاب الله في روايته للأحاديث ،ويُنسب فيذلك حديثا للنبيّ قال فيه " إنّكم سَتُحدثون ،ومن ياتي بعدي بما لم أقله،فمن بلغه عنّي حديث فليَعرضه على كتاب الله ،فإن وافقه فليَقبله ،وإن خالفه فليَدفعه وليَعلم أنّي لم أقله [6] .

---

(1) المجالس ، ص.276 .

(2) نفسه ،ص.328 .

(3)نفسه ،ص.509 .

(4)نفسه ،ص.510 ؛ ولا يَقول أحد من أهل السنّة بتحليل المسكر ،وطريقتهم في النقل التثبّت .

(5)القاضي النعمان : كتاب الدّعائم ،ج.1 ،ص.51 .

(6) النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.78 .

ـ في التأويل الباطني :

جادل النعمان بأنّ القرآن هدى لكل شيء ،وأنّه يحتاج في الوقت نفسه لتفسير صحيح إذ يأمر القرآن بإحالة نزاعاتهم إلى أولى الأمر وطاعتهم(1) ، وإذا ما غمض عليهم شيء فعليهم التوجّه إلى أهل الذكر(2) ،وبعدما ساق أدلة أخرى من الحديث التي تضع الأئمّة في المساواة مع القرآن ، عرّف أولى الأمر وأهل الذكر على أنهم الأمّة ، وهكذا فإنّ تفسير القرآن حقّ ، احتفظ به الأئمّة واستعملوا هذا الحق في تعديل القوانين (3) .

فالأئمّة وحدهم –حسب المعتقد الإسماعيلي- دون سواهم ، بعد النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، يعلمون بدقّة متناهيّة المعنى الحقيقي للكلمة المقدّسة، وهم مصدر التلقي الوحيد أو ممن خوّلوه باسمهم ذلك ، مستندين إلى حديث يروونه عن النبيّ (ص) أنّه قال :" تعلّموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلّم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار"(4).

فالتأويل الإسماعيلي يهدف أساسا ،إلى محاولة الربط بين الأئمّة وبين الأنبياء الذين جاؤوا في أدوار الرسل السابقة ، ولذلك ركّزوا في دعوتهم على نقطتين أساسيتين : شرعيّة التأويل واختصاص الأئمّة به .

---

(1)قال تعالى "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ "سورة النساء ،الآية 59.

(2) يذكر المعزّ الآية في معرض الإحتجاج لفضله فيقول :" فنحن والله أولوا الأمر الذي تعبّد الخلاق بطاعتنا،وأهل الذكر الذين أمرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك وأباه لنا"أنظر: النعمان: المجالس والمسايرات ص.416.

(3) بونوالا ، القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي ،من كتاب: الإسماعيليون ،تاريخهم وفكرهم ،ص.138.

(4) القاضي النعمان : دعائم التأويل ،ج1، ص.67 ؛ المؤيّد ،سيرة المؤيّد ،ص.17. ويثير الباحث "بول ووكر" تساؤلات جديرة بالتنويه فيقول : إذا كانت الرسالة تتريل ، فهل يرتبط تأويلها بها عن طريق قواعد الدّليل والمنطق أم لا ؟وإن كان الأمر كذلك فسيكون لجميع شيوخ أهل العلم الإسلامي فرص متساوية للوصول إليه وإن لم يكن الأمر كذلك ، بأن تتم معرفته عن طريق تعليم إمامي أساسا . فهل تحلّ مثل تلك المعرفة محلّ التتريل أم أنّها ترفع مستوى أدائها فحسب ؟ ونجد في الحالة الأخيرة أنّ التعليم الباطني المبلّغ من قبل الأئمّة يضيف إلى ما هو موجود على مستوى المعنى السطحي للكلمة المقدّسة ، فهو يذهب بهذا الشكل، خارج نطاقه إلى بعد جديد ، والقضيّة التي تسبب إشكالا هي: ما إذا كان الاثنان-الباطن والظاهر- يحافظان على صحّتهما ، هل يعدّل المعنى الباطني بأي شكل من الأشكال المعنى الخارجي أو يلغيه ، أو يجعله أمرا زائدا =

واتّحاد مصدر المعرفة بالباطن ،ليس معناه – عندهم- الاتفاق على رأي واحد ، ففي المسألة الواحدة أوجه كثيرة، للإمام فيها متّسع من الرأي ،وينسبون في ذلك حديثا للإمام جعفر الصّادق قال فيه : إنّا لنجيب في المسألة الواحدة بسبعة أوجه ، لكلّ وجه حدّ فاستكثر ذلك من سمعه وقال :بسبعة أوجه يابن رسول الله (ص) ؟فتبسّم إليه وقال : نعم وسبعون ،ولو زاد لزدنا[1].وبهذا تنحصّر المعرفة في شخص واحد ، ولكن لا تنحصر به .

برز دور الأئمّة في مجال تـــأويل القرآن ،خاصّة زمن المنصور، لرغبته في جمع آيات الاحتجاج على الخصوم في مجالس الجدل والمناظرة،لذلك صدر من المنصور توقيعا للنّعمان يأمره باستخراج ما رفضته العامّة وأنكرته من كتاب الله ،ورغم تهيّب النعمان فإنّه بـــاشر تفسير القرآن[2] ، يقول النعمان : " فانفتح لي القول ؟؟ حتى جمعت من ذلك جزءا فيه عشرون ورقة ،فرفعته إلى المنصور فاستحسنه وأعجب به ثمّ قال :تمادَ.فانتهيت إلى سورة المائدة من أوّل سورة الفاتحة والبقرة،وقد جمعت من ذلك أزيد من ستّمائة ورقة ، وكان المنصور إذا لقيته ذهب بما رفعته إليه منه ، فقال : ما تقدّم لأحد مثله .ثمّ قبض و لم أتمّه[3].

= لا حاجة إليه ؟ أنظر : بول ووكر ، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله ،حميد الدين الكرماني ،تر.سيف الدّين القصير ،ط.1 ،دار المدي للثقافة والنشر ، دمشق ، ، 1980،ص.101-102 ؛ ويمكن تفسير حركة الإنشقاق التي قادها القرامطة والتي تتوفر حولهم عدد من الشواهد بخصوص إهمال ظاهر الشريعة ، إلى اختلال فهم الإسماعيليين الأوائل لعلاقة الظاهر والباطن ، بل حدثت في بلاد المغرب حالات من الدّعوة إلى رفض ظاهر الشريعة ، مما استدعى تدخّل السّلطة الفاطميّة ، وإعلان البراءة منهم .أنظر : النعمان : المجالس والمسايرات ص.408، 420 ، 499.

(1) القاضي النعمان : نفس المصدر ،ص.515.

(2) نفسه ،ص.135.

(3) نفسه.يعلّق المحقق لكتاب المجالس عن هذا الكتاب بأنّه لم يذكر كتاب البسملة هذا في كتب القاضي النعمان التي ذكرها إيفانوف وفيضي وبونوالا .أنظر :الهامش (3) .

أمّا المعزّ ،فقد ذكر الكرماني بأنّه أُلّف من كلامه كتابا في التأويل هو" كتاب تأويل الشريعة " ويشير بأنّه من أهمّ الكتب الجامعة للعبادة الباطنية المتعلّقة بالعلم [1]. ويصفه النعمان في علم الباطن فيقول:" أمّا علم الباطن ووجهه فهو البحر الذي لا تخاض لجّته ولا يدرك آخره" [2] ، وسجّل لنا في بعض مجالسه ما رآه المعزّ تأويلا صحيحا لآيات القرآن.

جرى في مجلس من مجالس المعزّ ، حديث عن معنى البرهان في القرآن الكريم ، فطلب استقصاء القول فيه،يقول النعمان:"ثمّ نظرت في قول المفسّرين في كلّ آية من هذه الآيات فلم أجدهم قالوا في ذلك إلا بمثل ما قال أهل العربيّة فيه(...)ثم ذكرت ما تبيّن لي فيه من الباطن ، وجمعت ذلك ، وجئت به إليه (صلع) بعد أن بسطت فيه عذرا [3] .وذكر أنّ أحد الدّعاة جاءه برسالة البرهان فرفض المعزّ ما فيها ، مرجئا قوله الفصل في المسألة بعد سماعه لكل الآراء ،وحكم المعزّ على عمل النعمان بقوله : " قد أجَبتَ فيما استدللت به وَمثَّلتَه شيئا يقارب المعنى وليس به،ولكنك حصلت على قشر منه[4]،ثم فسّرالبرهان بما يثبته العقل مؤكّدا على أنّ العقل ظاهر وباطن[5] .

وفي معرض الإشادة بعلم المعزّ ، يروي النعمان في مجلس آخر حديثا في تأويل القـــرآن وكان الموضوع قوله تعالى"هدى للمتّقين"يقول : ثم نظر في المجلس يمينا وشمالا فلم ير أحدا يُكره الكلام بحضرته قال:إنّ الكلام إنّما يبنى على أصوله .ثم ابتدأ بتفسير"ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾، وشرح ذلك من الباطن بما يعجز القائلين ويبهر السّامعين (...) [6] .

---

(1) الكرماني : راحة العقل ، تح.مصطفى غالب ، ص.109.
(2) النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.148.
(3)نفس المصدر ،ص.143.
(4)نفسه،ص.144.
(5)نفسه،ص.145- 146 .
(6) نفسه،ص.382 .

ب ـ دور الحكّام الفاطميين في الحياة الأدبيّة في المغرب :

يصف أحمد أمين الأدب الشيعي عموما بأنّه أدب غزير قويّ،يُلهب العاطفة ويُهيّجها ويُثيرها [1] فهو أدب المظلومين ،والمناوئين للسّلطة القائمة (أدب المعارضة)،الذي وجد موضوعه في مظلوميّة آل البيت، والبكاء على الحقّ المغصوب،والدعوة إلى استرجاعه،مع إشاعة فضائل آل البيت ، بين الناس شعرا ونثرا[2] .

وفّر هذا الجهـــد الأدبي موروثا لا بأس به للدّعاة الإسماعيليّة ، لتوظيفه في دعايتهم في المغرب ورغم أنّ أدب الشيعة شكّل إرثا مشتركا في عُمومه، بين الشيعة كلّهم ، إلا أنّ أدب الإسماعيليين ينفرد بجملة خصائص،هي مستمدّة من أصول اعتقاداهم،وأدبيّاهم الخاصّة،ويذكر القاضي النعمان على ما ساقه من أخبار وقصص وأشعار بقوله:" والأخبار والأشعار في هذا كثيرة ، تخرج عن حدّ هذا الكتاب،وإنّ الشيعة يذكرونها ويروونها، وقد جاءت بها الروايات والأخبار ، وبشّر بها [3].

وبالإضافة إلى الأثر المنقبي في آدابهم ، فإنّ رواية بعض دعاهم ،مثل الدّاعي عماد الدّين إدريس ترتفع في قيمتها إلى مرتبة الوثائق في كثير من الأحيان ، إذ تستقي أخبارها من كتب المعاصرين كالقاضي النعمان والأستاذ جوذر وجعفر الحاجب ، ممن كانوا علــى اطّلاع على دواوين الإنشاء والرسائل التي وثّقوا بها تواريخهم وسيرهم ،حتى أصبحت المصدر الأول لكتب الخصوم [4].والعهد الفاطمي الذي شغله القرن الرابع الهجري ،كان قد سبقه القرن الثالث ، الذي ارتقى فيه الأدب العربي عامّة وازدهر فيه الشعر والنثر[5]

---

(1) يُميّز أحمد أمين بين عاطفتين : عاطفة الحزن وعاطفة الغضب ،وكلاهما متوفّر في أدبهم .أنظر :ضحى الإسلام الهيأة المصريّة العامّة للكتاب ،د.ت ،ج.3 ،ص.300-301 .

(2) لقد نشأ في الأدب الشيعي بوجه عام ، بعد مأساة كربلاء ، موضوع قائم بذاته لا ينضب معينه وهو موضوع (محن آل البيت) أنظر : دولة الإسماعيلية في إيران ، الهامش 2 ، ص .16 .

(3) القاضي النعمان : افتتاح الدّعوة ،ص.47 .

(4) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ،ج.3 ،ص.26 .

(5) رغم أنّنا لا نعرف من الآثار المكتوبة في هذا العهد الفاطمي ،في دوره المغربي ،من استثمر المخزون الثقافي العربي إلاّ ديوان ابن هانئ الأندلسي ، وبعض المصنّفات الفقهيّة السّنيّة وجملة من التراجم المبثوثة في كتب الطبقات ورسائل المناقب .محمّد اليعلاوي :الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ،ص.5 .

فأخرج كبار الشعراء أمثال : أبي الطيّب المُتنبّي ، والشّريف الرضى والصّنوبري من شعراء المشرق [1] ،كما ظهر من شُعراء المغرب ابن هانئ الأندلسي وغيره من شُعراء الأندلس [2] .

والأدب كما يُعرّفه ابن خلدون هو : " الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحي بلاغاقم ، وأصول هذا الفنّ على أربعة دواوين هي : أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي القلي البغدادي[3] ، والثلاثة الأوّلون من أعلام القرن الثالث ، ولا يخفى أثر الأحداث السياسية والصراعات المذهبيّة في طبع الشعر والنثر بطابع المبالغة المكشوفة والتصنّع البارز ، يؤثّر ذلك في العمق الفكري، والتجربة النفسيّة [4] .

وسنُركّز في هذا الفصل على ما جُمع من أدب مغربي في العهد الفاطمي ، وهو على قلّته ، كاف لرسم ملامح الحياة الأدبيّة ،من خلال الأشعار والخطب والرسائل والمناظرات التي كان لها صلة مباشرة بالفاطميين،واستثنينا ما كان نشاطا أدبيّا بعيدا عن الفاطميين ولا يخدم أغراضهم وهو ما يعبّر عن الأدب المغربي بصفة عامّة،كابتهالات الزهّاد وشعر الفقهاء وأدعية الصّالحين ، ومراثي العلماء ، وهو أيضا نوع من الأدب يكثر في كتب التراجـــم ورسائل المناقب ، ولكنّا أعرضنا عنه ، لأنّ غرضنا الأصلي هـــو جمع ما يتّصل بالدّولة الفاطميّة ، إمّا بصفة مباشرة ، أو عـــلى طريق التعريض والتلميح ، مع إبراز دور الأئمّة في دعم الحركة الأدبيّة ذات الترعة المذهبيّة الإسماعيلية،وإسهاماقم الشخصيّة المُعبّرة عن رصيد أدبي وفير، ومستوى من الذّوق الجمالي لما يُلقى عليهم من قصائد المدح .

---

(1) عن أحوال الأدب خلال القرن الثالث أنظر: أحمد عبد الباقي :معالم الحضارة العربيّة في القرن الثالث الهجريّ ط.1 ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ،بيروت ، 1991 ،ص.325 ،365 .

(2) للإطّلاع على أحوال الأدب في الأندلس خلال القرن الرابع أنظر : سعد عبد الله صالح البشري : الحياة العلميّة في عصر الخلافة في الأندلس ،معهد البحوث العلميّة والإحياء الإسلامي،السَعوديّة،1997،ص.203 ،223 .

(3) المقدّمة : ص.476 .

(4) معظم شُعراء هذه المرحلة من الطبقة الوسطى في فنّهم الشعري ومكانتهم الإبداعيّة ،ويُمكن ان نُرجع ذلك إلى ظهور شعراء غير مُحترفين ، منهم جماعة من الكتّاب نظّموا الشعر إلى جانب الكتابة ، وألحقوا هذا النظم بكتاباقم فاختلط فيها الشعر بالنثر .أنر مثلا :أحمد بن يوسف حوالة : الحياة العلميّة في إفرقية ،جامعة أمّ القرى السعوديّة ، 2000 ،ص.252 وما بعدها من عدّة صفحات .

ب ــ النثر ومراميه عند الفاطميين :

من المعروف،أنّ النثر يشكّل أحد فرعيّ الأدب بجانب الشعر ،كما من المعروف أنّ النثر ينقسم بدوره إلى نوعين رئيسيين ، اوّلهما :**النثر الفنّي** ،ويضم عدّة فروع كالكتابة الديوانيّة أو السلطانيّة وهي المكاتبات الرسميّة التي تصدر عن الملوك والأمراء والوزراء والولاّة وغيرهم أو العكس وكالرسائل الإخوانيّة المتبادلة بين الأدباء وغيرهم،مثل الخطب والوصايا وغير ذلك،وثانيهما :**النثر التأليفي** الأدبي المتمثّل في تأليف مؤلّفات أدبيّة بالمعنى الدقيق للأدب[1] .

مثلما كان النثر في عصر الأغالبة، أقل أوجه الحركة الأدبية ظهورا وبروزا[2] ، كان كذلك في عصر الفاطميين وخاصة فيما يتصل بالنثر التأيفي الأدبي ، أما النثر الفني ، فهو وإن كان أحسن حظا في الإشارة ، من النثر التأليفي ، إلا أنه لم يزدهر منه سوى بعض ألوان،دعت دواعي إلى وجودها بكثرة ، كالمواعظ ، والوصايا ، التي كان الخلفاء الفاطميون يعظون بها أتباعهم [3].

حفل عهد الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي،بكثرة المكاتبات الرسمية التي كانت تتبادل بينه وبين ولي عهده أبي القاسم الذي كان مكلفا ببعض الفتوحات في المغرب ومصر[4] ، وتلك التي كانت تتبادل بينه وبين قواده ورجال دولته [5] ، وبلغت تلك الكتابات حدا من الكثرة تعذّر معها استقصاء كلّ المصادر التي أشارت إلى ذلك،لكنّ الإشارات العديدة لتلك المكاتبات لم يرفقها إيراد نصوص إلاّ فيما نَدر ، إذ لم تَجُد علينا المصادر إلاّ بنماذج يسيرة جدّا من تلك المكاتبات [6] وهي التي اشار إليها القاضي النعمان في كتابه " افتتاح الدّعوة" [7] .

---

(1)من الكتب المُصنّفة في صناعة الكتابة في القرن الثالث ،كتاب :نقد النثر ،وهو من تصنيف الكاتب البغداي قدامة بن جعفر (ت337هــ) ، وباب المنثور وما جاء فيه أطول ابواب الكتاب ، وقد حدّد قدامة في كتابه انواع النثر واحوال استخدام كلّ نوع منها ، وعقد لذلك باب كامل سمّاه :باب فيه المنثور وما جاء فيه . راجع في ذلك كتاب : نقد النثر ، تح.عبد الحميد العبادي ،دار الكتب العلميّة ، بيروت ،1980 ،ص.93 وما بعدها من عدّة صفحات .

(2) يوسف بن أحمد حوالة : المرجع السابق ،ص.172 .

(3) نفسه ،ص.172 .

(4) أنظر :ابن عذارى : البيان المغرب ،ج.1 ،صص.172 ،172، 181، 187، 191، 192 .

(5) نفسه ،صص.160-161-162، 165، 170 - 171-172، 175، 178 .

(6) يوسف بن أحمد حوالة : نفس المرجع ،ص.173 . (7) صص.281 ،189، 290، 299 .

أولا : في النثر الفنّي

أورد القاضي النعمان،فيما يتّصل بأخبار زيادة الله ، كتابا ناصع الأسلوب بليغ العبارة ، مرتّب الأجزاء ،ومتساوي الفقر ، يقدّم لنا صورة عن النثر الفنّي ، في هذه الفترة ، وإن تكن لا تختلف عن سماتها الأسلوبيّة ، عمّا نعرف من مـــلامح ذلك النثر في المشرق ، فلم تكن حواضر المغرب بمعزل عن بغداد و لم يكن البلاط الأغلبي إلا محتذيا لما هو معروف عن قصور الخلافة في العراق[1]. وقد كان من كتّاب الأغالبة ، رجل بغدادي اسمه أبو اليسر ،إبراهيم الشيبانيّ [2] صاحب الرسالة العذراء ، التي تنسب خطأ لابن المدبّر[3]،وقد أراد بهذا الكتاب،أن يثبّت أقدامهم، ويصرف عنهم ما داخلهم من ذلك قوله : " ...وفشت فيهم الأشانيع ، من أقوال المرجفين، وزخارف المشنّعين وتهويل المهوّلين،أمر الفاسق اللعين،لما بلغهم انصراف الجيوش عنه،وتغلبه على ما دنا وقرب منه[4] وليس بنا في هذا الموضع ،إلاّ أن ندلّ على أسلوب هذا الكتاب وبعض سياقه،والإشارة إلى هذا الوجه من وجوه النشاط الأدبي الذي أثارته الدّعوة الشيعيّة في هذه المرحلة من مراحلها [5] .

وما يُصادف الباحث من مظاهر الدّعوة التي اصطبغت بالصبغة الأدبيّة في هذه المرحلة،الكتاب الذي أمر المهديّ بإنشائه عقب استقراره في أحد قصور رقّادة ، ليُقرأ على منبر جامع القيروان وعلى منابر البلدان الأخرى في إفريقية ، وهو كتاب بليغ العبارة ، يُعتبر من الناحيّة الأسلوبيّة من طراز ذلك الكتاب الذي تطرّقنا إليه من قبل ،والذي صدر من ديوان زيادة الله الأغلبي ، ويذهب الحاجري إلى أنّ محرّر الكتابين واحد [6] ،ومن هذه النصوص التي حُفظت لنا نستدلّ على التطوّر الذي رافق الكتابة الرسميّة من حيث الشكل والمضمون فقد اتّصفت بما يلي :

---

(1) محمّد طه الحاجري:مرحلة التشيّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبيّة،ط.1،دار النهضة العربيّة،بيروت، ،ص.31 .

(2) تُشير الأخبار أنّه ولد ببغداد ،وبها نشأ وتتلمذ على كبار أدباء القرن الثالث الهجري كالجاحظ وابن قتيبة وأخذ عنهم مصنّفاتهم نكما لقي من الشعراء أبا تماموالبحتري ،وروى عنهماديوانيهما مباشرة .ح.ح.عبد الوهاب :ورقات ،ج.1 ص.111

(3) محمد طه الحاجري :نفس المرجع ،ص.31 . وحول تحقيق مؤلّف " الرسالة العذراء"المنسوبة لابراهيم بن المدبّر أنظر: محمود عليّ المكّي :مجلّة المجتمع العلمي ،مجمع اللغة العربيّة،القاهرة ،ج.62 ،ص.90 وما يليها .

(4) أنظر :افتتاح الدّعوة ،ص.190 .

(5)محمّد طه الحاجري : نفس المرجع ،ص.32 .

(6) نفسه ،ص.34 .

أ - متانة الأسلوب ورصانة العبارة ، مع الحرص على استخدام المحسّنات البديعيّة المختلفة **.**
ب- التفنن في استخدام الجمل الإعتراضيّة ، والإستشهاد كثيرا بالآيات القرءانيّة والأحاديث مع التأكيد على استخدام عبارات التمجيد والتفخيم للحاكم [1]**.**

وإذا بحثنا عن أهمّ الكتّاب في عهد الحاكم الفاطميّ الأول ، لوجدنا ذكرا لعدد منهم ، كأبي عبد الله الشيعي، وأبي اليسر ابراهيم بن محمد الشيبانيّ الذي كان متوليّ شؤون ديوان الرسائل في العهد الأغلبي،وبقيّ في منصبه حتى توفي في 298هـ [2]،ثمّ استكتب الخليفة كتابا آخر وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن أحمد بن هارون البغدادي[3] ، الذي مالبث أن رقيّ إلى وظيفة صاحب ديوان البريد ،بالإضافة إلى الكتابة،وذلك عام 300هـ ،ومن الكتّاب الذين ذكرو ضمن كتّاب عبيد الله كاتب يدعى أبا غانم الكاتب [4]**.**

وفي عهد الإمام القائم (322 ـ334 هـ) ، لم يقدّر لنا التعرف على أيّ نشاط نثري فيما يتّصل بالمكاتبات الرسميّة، مع أنّ عهد ابنه اسماعيل المنصور (334 ـ 341هـ) قد شهد تداول كتابات رسميّة بين الخليفة وقوّاده ورجال دولته[5] ؛ وفيما يتّصل بالكتّاب الرسميين في عهد القائم فإنّ غاية ماعرفناه ، أنّه أقرّ أبا جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي على منصبيه،اللذين كان يتولاّهما من قبل[6] ، أما في عهد المنصور ، فقد انعدمت الإشارة إلى ايّ كاتب من كتّاب الدولة الرسميين**.** ويَتعجّب الباحث**:** يوسف حوالة أنّ صاحب كتاب"أخبار ملوك بني عيد وسيرتهم" لم يُعن بذكر كتّاب الخليفة ، رغم أنّه يأخذ نفسه بمنهج محدّد في نهاية ترجمته للخلفاء الفاطميين ، يَذكر فيها قضاة وحجّاب وأصحاب بيوت المال في عهد كلّ منهم[7] **.**

---

(1) يوسف بن أحمد حوالة **:** المرجع السابق ،ج.2 ،ص.173 .
(2) ابن عذارى المراكشي :البيان ،ج.1 ،ص.162 .
(3) نفسه ، ص.163 .ولم يعن ابن حمّاد صاحب كتاب**:**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم بذكر كتّاب عبيد الله، كما أغفل ذكركتّاب القائم والمنصور .
(4) نفسه ،ص.181 .
(5) ابن حمّاد **:** أخبارملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح.التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ،دار العدالة ، القاهرة ، صص .64-65 ، 67، 71، 75-76 .
(6)ابن عذارى **:** نفس المصدر ،ص.209 .
(7) المرجع السابق ،ج.2 ،ص.186 .

وفي عهد المعزّ لدين الله (341 ــ 362هــ) ، فقد كان حافلا بالنشاط النثري الإداري، إذ أنّ سلطان دولته الذي شمل كل المغرب تقريبا ، تطلّب تبادل الرسائل الديوانيّة بينه وبين رجال دولته وبينه وبين ملوك وامراء مجاورين،وبينه وبين ثائرين عليه [1] ، ومن حسن الحظّ أنّ كثيرا من تلك المكاتبات،قدّ حفظت نصوصها[2]،وهي تمثّل قطعا أدبيّة لا تقلّ عن مثيلاتها في المشرق ، من إغراق في التأنق اللفظي ، وإغراق في الصنعة والتكلّف ، والتوسع في استخدام المحسّنات البديعيّة ، هذا مع التوسّـــع في استخدام الخصائص التي تميّزت بها الكتابة الفاطميّة ، مثل استخدام الألفاظ الشيعيّة الإسماعيليّة المعتادة على غرار : ولى الله ، صلوات الله عليه ...وكذلك الإغراق في إصباغ صفات الإجلال والتعظيم للخليفة ، مع ترديد المسلّمات الشيعيّة المعروفة ، وهي الحقّ المغصوب في الإمامة حقّ الولاية الواجبة على الناس ، وعلم الولي الذي هو فوق علم البشر[3] .

ولعلّ أصدق رسالة ديوانيّة تعكس التطوّر الكبير الذي أصاب المكاتبات الرسميّة من حيث الشكل والمضمون ، تلك التي بعث بها الخليفة المعزّ إلى الثائر الحسن بن أحمد الأعصم الثائر القرمطيّ [4]، وقد بعثها له المعزّ عشيّة قدومه من إفريقية إلى مصر،فتلك الرسالة بلغت الروعة الأدبيّة،إذ استخدم فيها المعزّ كلّ ما أوتي من بلاغة وفصاحة،وتفنن في استخدام المحسّنات البديعية المختلفة مع أسلوب الترغيب والترهيب ، وأسلوبيّ التعجب والاستفهام،والقدرة على استخدام المترادفات، والاستشهاد بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة[5] ، ولم يتسنّ لنا أن نتعرّف على الكتّاب الذين كان يضمّهم بلاط الخليفة المعزّ،عدا جوذر الملقب بالأستاذ ،الذي كان أحد كتّاب المعزّ ، وقد ذكر أيضا القائد جوهر الذي عرف أيضا بجوهر الكاتب[6]؛وأيّا ما كان الأمر فيما يتّصل بالمكاتبات الرسميّة إلاّ أنّها كانت أفضل حظّا من غيرها من ألوان التعبير ، فالرّسائل الإخوانيّة لم تَكن متداولة آنذاك رغم أنّ العصر لم يَخل من كتّأب وأدباء ، ومن الممكن أنّ الإهمال قد لفّ هذا الجانب مثلما لفّ غيره [7].

(1) يوسف بن أحمد حوالة : المرجع السابق ،ج.2 ،ص.176 .

(2)أنظر نصوص تلك الكتب عند القاضي النعمان :المجالس والمسايرات،صص.168 ،172 ،174 ،345،367 ،369 .

(3) يوسف بن أحمد حوالة : نفس المرجع ،ص.177 .

(4)أنظر نصّ الرسالة بتمامها عند حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف :المعزّ لدين الله ،ص.301-302 .

(5) يوسف حوالة : نفس المرجع ،ص.178 .

(6)جاء هذا اللقبفي عهد الصّلح الذي عقده للمصريين.اليعلاوي :ابن هانئ ،ص.89 .

(7) يوسف حوالة :نفس المرجع ،ص.179 .

ومن ألوان النثر الفنّي الذي عرفه عصر الفاطميين،وإن لم يكن بصورة واسعة، الخطب السياسية المذهبية ، التي كان الخطباء الفاطميّون يخطبونها ، سواء في المناسبات الدينيّة كالجمع والأعياد ، أو في مناسبات أخرى ، و لم يخل عصر الفاطميين من الدّواعي التي تتطلّب الخطابة ، لا سيما وهم يَعيشون في مُجتمع يُناصبهم العداء،فاهتمّوا بالخطابة لتوضيح نياتهم وأهدافهم دون لبسأو إبهام و لم يَعهدوا لأحد أن يَتولى أمر الخطابة إلاّ نادرا [1] ، ولعلّ الخطبة التي توضّح أصدق توضيح الإتّجاه المذهبي للفاطميين من جهة،وتعكس جلّ خصائص أسلوب فن الخطابة من جهة أخرى هي الخطبة التي خطبها الخليفة المنصور في الناس في عيد الفطر عام 334هـــ [2]، وهو العام الذي انتشر فيه خطر ثورة أبي يزيد .فهذه الخطبة علاوة على القضايا السياسيّة والمذهبيّة التي تُثيرها ، فإنّها تميّزت بمتانة الأسلوب وعذوبة الألفاظ وقوّة التأثير والاقتباس من القرآن الكريم ،وهي المميّزات التي تميّزت بها الخطب في الدّولة الإسلاميّة [3] .

ومن ألوان النثر الفنّي أيضا ، والذي انفرد به عصر الفاطميين دون غيرهم ، التوقيعات [4] التي شغف بها الحكّام منذ عهد عبيد الله ،والتوقيعات أسلوب جذّاب من أساليب التعبير الأدبي يَتلخّص فيما يُعلّق به الخليفة أو الملك أو الوزير على ما يُرفع إليه من كُتب ، وتمتاز التوقيعات بأنّها تجمع بين القِصَر والإيجاز ،وقد تَكون بمثابة بيت من الشعر أة آية،أو مثل [5] ،ولذلك اهتمّوا بها لما تتركه من أثر جميل في نُفوس الأتباع، وممّا اشتهر من توقيعات في عهد عبيد الله ،توقيعه بعزل القاضي أبي إسحاق بن أبي المنهال سنة311هـــ ، ثمّ ما لبث أن أعاده إلى منصبه بتوقيع جديد [6] ويَغلب على توقيعات المهديّ الإيجاز وحسن العبارة[7].

---

(1) يوسف حوالة : المرجع السابق ،ص.181 .

(2)حول هذه الخطبة وما ورد فيها أنظر:ابن حمّاد : أخبار ملوك بني عبيد ،ص.59-60 .

(3) محمد حسن الزيّات :تاريخ الأدب العربي ،ص.176 .

(4)التوقيعات هي الأجوبة التي يَكتُبها الملوك والخلفاء عن رسالة أو طلب أو استشارةترفع إليهم ،وقد يَكون التوقيع بمبادرة منهم .راجع على سَبيل المثال النعمان والتي يكرّر عبارات من مثل :فوقّع بِخطّ يَده ،فوقّع بيده على ظهرها نفوقّع بِخطّه في ظهر الرقعة .المجالس والمسايرات ،صص.76 ،318 ،323 ،325، 326 ؛ سيرة ألأستاذ جوذر ،صص.84 ،97.

(5)يوسف حوالة : نفس المرجع ،ص.182 .

(6) ابن عذارى: المصدر السابق ،ج.1 ،صص.188 -189 .

(7)شغف المعزّ لدين الله بالتوقيعات ،وغلب على بَعضها الطول والإستقصاء ،مع احتفاظها بخصائص فنّ التوقيع .أنظر مثلا:كتاب المجالس والمسايرا ،صص.122 -123 ،257 -358 ،360، 359 .

ثانيا :في النشر التأليفي

من العسير أن نتحدّث حديثا وافيا عن النشر التأليفي في هذا العصر ونُعطيه حقّه ، لأنّه لم تؤلّف كُتب أدبيّة كثيرة ، ويرجع ذلك إلى المناخ المذهبي الذي ساد بلاد المغرب في عهود الحكّام الذين كان اهتمامهم مركّزا على نشر المذهب الاسماعيلي بين المغاربة الرافضين له ، ولعلّ انتقال الدّولة إلى مصر يَكون وراء ندرة هذه المادّة من جهة ، وما بقي بالمغرب يكون قد أُتلف خلال الثورات المتعاقبة،وما تلاها من دخول القبائل العربيّة(442هــ)التي أتت على الأخضر واليابس[1] .

على أنّ المؤلّفات المذهبيّة التي وصلتنا من ذلك العصر ، لم تخل من قيمة أدبيّـــة ، فبين أيدينا كتابان من نتاج ذلك العصر ، أوّلها كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان[2]، وثانيها كتاب سيرة الأستاذ جوذ[3]،أمّا كتاب المجالس والمسايرات،فهو كتاب قيّم متعدد الجوانب والاهتمامات وإذا تجاوزنا الإشارة الى قيمته وأهميّته التاريخيّة والوثائقيّة ،والمذهبيّة فإنّ قيمته الأدبيّة لا تقدّر. أمّا من حيث قيمته الأدبيّة ،فهو قطعة أدبيّة رائعة كما وصفه بحقّ حسن إبراهيم حسن[4]،وذلك لأنّ الكتاب ممتاز بأسلوب سهل مع انسجام في ألفاظه ومعانيه ، والكتاب يعدّ إنعكاسا صادقا الأدب الشيعي الإسماعيليّ في عصوره الأولى[5]،فهو كتاب أدبي ممتع،طريف في موضوعه،إذ يُعدّ من كتب ادب السيرة ، فقد ألّف النعمان مادّته من ملازمته شبه الدّائمة للمعزّ ، وكان حريصا على تسجيل مادّته إثر كلّ مجلس مباشرة ويَتحرّى فيما نقل حتّى يأتي بلفظ المُعزّ كما ورد على لسانه،وفي هذا يَقول بعد حضوره مجلس من مجالس المعزّ :" تخوّفت إن أنا انصرفت إلى مجلس الحكم أن أنساه أو أُخلّ بأكثره لشغب الخصوم وكثرة الكلام (...) وجلست أتذكّر المجلس ما حفظت منه شيئا حتّى أتيت على ما لفظته من ذلك "[6]

---

(1)رابح بونار :المغرب العربي ،تاريخه وثقافته ،ط.3 ،دار الهدى ، الجزائر ،2000 ،ص.134 .

(2)قيّد النعمان في هذا الكتاب ما سمعه من المعزّ في مواضيع شتّى ،من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم ،وبُحوث لغويّة قام بتحقيق الكتاب كلّ من :الحبيب الفقّي وإبراهيم شبّوح ومحمّد اليعلاوي ،وصدر عن دار المنتظر ببيروت ،ط.1996 .

(3)نَشره محمّد كامل حسين ومحمّد عبد الهادي شعيرة في سلسلة مخطوطات الفاطميين ،وصدّراه بمقدّمة طويلة درسا فيها نواحي الكتاب ،ومنها الناحيّة الأدبيّة .أنظر :مقدّمة الكتاب ،ص.26-27-28-29 .

(4)المعزّ لدين الله ،ص.264 .

(5)يوسف حوالة : المرجع السابق ،ص.186 .

(6) المجالس والمسايرات ،ص.224

أمّا النموذج الثاني من كتب النثر التأليفي فهو كتاب :**"سيرة الأستاذ جوذر"** ، وقيمته من الناحية الأدبيّة لا تقلّ عن قيمته من الناحيتين التاريخيّة والمذهبيّة ، ذلك أنّ الكتاب يمثّل خمسة أساليب هي:أسلوب المؤلّف فيما أورده من تعليقات ومقدّمات للتوقيعات،ثمّ أساليب التوقيعات والمشافهات التي صدرت عن الأئمّة الفاطميين الأربعة [1] ، فالكتاب على هذا النحو ، صورة لأساليب مختلفة من تلك الأساليب التي كانت بالمغرب في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري سببا في أن نعد هذا الكتاب مصدرا من المصادر التي تبيّن اتّجاهات أسلوب الكتابة ، وأسلوب المشافهة في ذلك العصر [2] .

اعتمد الأستاذ جوذر في مؤلّفه على الترسّل في الكتابة [3] ، دون تعمّد أو تصنّع، فهو أقرب إلى الكلام المرسل المستعمل في الحديث العادي ، فالألفاظ والعبارات تجري على سليقة المتكلّم بمقدار ما تحتمل تلك السليقة من تخيّر أو تأنّق في اللفظ،وتدلّ على مدى ثقافة المتكلّم وحسن تعبيره دلالة دقيقة[4] ، والظروف التي أنشأت فيها تلك التوقيعات أو الأخبار ،هي التي دعت إلى استخدام هذا الأسلوب ، فهي لم تكن مناسبات عامة، بل أريد بالتوقيعات طلب تنفيذ شيء أو تقريب فكرة أو إسرار حديث لرجل أؤتمن على الدّولة ، وفي مثل هذه التوقيعات لا يدعوا مقتضى الحال إلى العناية بالأسلوب للتأنّق فيه كما يفعل الكتّاب المتأنّقون ؛أمّا أسلوب الصنعة الموجود في الكتاب ، فيظهر في خطبتين قيلتا في مناسبتين فالخطبة الأولى نسبت للمنصور والأخرى للمعزّ ،ومـــع اختلاف موضوع الخطبتين فهما مطبوعتان بطابع الصنعة البيانيّة ،فاكتسبت الألفاظ والعبارات جرسا خاصا وجزالة في التعبير، مع ميل إلى اصطناع السجع ، وتحلية العبارات بآيات قرآنية أو أحاديث نسبت للنبيّ والأئمّة السابقين ،وقد تحاشى الإمامان أن يتمثّلا بالشعر، والمعروف أنّ جلّ الأئمّة في إفريقية ومصر ، كانوا جميعا شعراء وكانوا يقدرون الشعر تقديرا خاصا[4] .

---

(1) أنظر مقدّمة محقّق كتاب :سيرة الأستاذ جوذر ،مصر ،دار الفكر العربي ، ص.26 .

(2) نفسه ،ص.26 .

(3)نفسه ،ص.27 .

(4)نفس المصدر والصفحة .

ب(2) الشعر ومناحيه عند الفاطميين :

لعبت الأحداث السياسية والصّراعات المذهبيّة ، دروا كبيرا في طبع الشعر والنثر بطابع المبالغة المكشوفة ،والتصنّع البارز ،وإن كان الشعر خاصّة لا يخلو من رقّة وسلاسة ، تُغطّي بعض الشيء فقره في العمق الفكري والتجربة النفسيّة .

الشعر في صدر الدّولة الفاطميّة :

أوّل موضوعات الشعر السياسي ، الشعر الذي عني بعلم الحدثان ؛ إذ يورد القاضي النعمان قصّة الأمير إبراهيم بن الأغلب مع الشاعر التونسي [1] الذي استقدمه ، وألحّ عليه بأن يُفضي إليه بما يعلم،حتّى استجاب له بعد طول اعتذار،فأنشده قصيدة جاء فيها :

ولاّة بـــني العباس عـــشرون واليـــــا تدين لهــــــم بالرّغم أرض المغـــارب

وفي الستّ والتسعــــــين تهبط رايــــــة مـــن الغـــرب في جمع كثيف المواكب

يمـــــزّق أرض البـــربـــريّة جمعهـــم بخيل كأمثـــال القـــطا المتســــــارب

وتطلـــع شمس الله من غـــرب أرضـــه فـــلا توبـــة ترجى هنـــاك لتـــــائب[2]

ويذكر القاضي النعمان أنّه " كان خروج إبراهيم بن أحمد من إفريقية وركوبه البحر في رجب سنة 289هـــ ، لّما نظر إلى سنة تسعين التي جاءت بها الروايات قد قرُبت [3] ؛ ومنه ما يُنسب لشاعر كان بالمشرق في أوائل الدّعوة ، أطلق عيه اسم الفهـــريّ [4] ، وذكر له النعمان أبياتا[5]، بل في هذا الشعر ما ذكر فيه التاريخ كاملا، فهناك شاعر أُطلق عليه اسم ابن عقب [6] يروي قصّة زحف أبي عبد الله ،فيَذكر في أرجوزته :

---

(1) شاعر مجهول ،وصفه القاضي النعمان بأنّه شيخ من قرى تونس يُقال لها الخربتين ،عن شعره انظر: افتتاح الدّعوة ،ص.63 ؛عماد الدّين اسماعيل :عيون الأخبار ،ص.52 .

(2) النعمان :نفس المصدر ،ص.65 .

(3)نفسه ،ص.77 .

(4) افترض الدّشراوي بأنّه إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة أبو إسحاق الفهريّ المدني ،وقد نَقل الدّاعي إدريس هذه الأبيات في السبع الرابع على لسان الدّاعي منصور اليمن وهو يتمثّل بها ،أنظر :عيون الأخبار ، السبع الرابع ،ص.396 .

(5) منها قوله : **في الستّ والتسعين قطع القول والعذر . الافتتاح** ،ص.4 .

(6) ذكر ابن خلدون ابن عقب في المقدّمة (ص.381) وقال إنّه صاحب ملاحم و لم يزد.

وبعد أن اشتدّ عود الدعوة ، وانتقلت من السرّ إلى العلن ، ومن المسالمة إلى اصطناع القوّة انتقل الشعر في موضوعاته ليعبّر عن أغراض الدولة ، السياسية والمذهبيّة وكان أئمّة الشيعة يعتبرون شعر المديح ضربا من الخدمة ، التي يتقدّم بها الشعراء لساحتهم(1) .

ومما أدى إلى ازدهار الشعر، أنّ الحكّام اتّخذوا منه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية ، وكانوا يشجّعون الشعراء في مدائحهم على الحديث عن المذهب ، وأصول الدعوة الفاطميّة وعقائدهم في الأئمّة،كما يتحدّثون عن حقّهم السياسي في الخلافة ؛ ولعلّ من أوائل الشعراء الذين بادروا إلى بلاط المهدي ، ينشدونه ما قالوا ،في مدحه ، سعدون الورجيني (2) ، فقد ذكر القاضي النعمان في حديثه عن دخول المهدي رقّادة،واتّخاذه مجلسا يستقبل فيه خاصّة أوليائه ، ومدح الشعراء له،أنّه كان أول من مدحه منهم ، وأنشده من شعراء إفريقية ، سعدون الورجيني ، وقد احتفظ النعمان بقدر لا بأس به من هذه القصيدة(3) ، كما أورد المقريزي أبياتا منها (4)، فبعد مقدّمة على النمط القديم ، يفضي إلى الغرض الذي بنى عليه قصيدته الذي يقول فيه :

هـــذا الإمـــام الفاطمـــــيّ ومن بـــه   أمنت مغـــــــاربنا مـــن المحـــذور

والشّـــــرق ليس لشامه وعـــــراقـــه   من مهـــــرب من جيشه المنصـــور

حتى يفـــــوز من الخـــــلافة بالمنـــى   ويفـــــــاز منه بعدلـــه المنشـــور

وعلى عكس الشاعر سعدون الورجيني الذي لم يحفظ شعره ، كان لشاعر فاطميّ آخر وهو عليّ بن محمد الإيادي (5) شهرة واسعة تجاوزت بلاد المغرب ، وشعـــــره من الجودة ، وحسن السبك ، ما جعله في مرتبة ابن هانئ الأندلسي.

---

(1) محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الفاطمي ،ص10.

(2)الورجيني في عيون الأخبار ، الورجيلي في اتّعاظ الحنفا ، وعند الدويداري ، ويقول الدّاعي إدريس إنّه كان منقطعا للأمراء الأغالبة يمدحهم ،وأنّه أُسر في بلاد الروم وافتدي وعاد إلى افريقيا ، وهو سنّيّ في الأصل، ومالكي في رياض النفوس 501/1،

(3) افتتاح الدعوة ، ص300 ، ص301.

(4) المقريزي : الإتّعاظ ،ج1، ص73.

(5) شاعر عاصر الأئمة الأربعة ، ومدح منهم القائم والمنصور والمعزّ ، وستأتي ترجمته فيما يلي .

وقد أورد الحسن بن رشيق للإيادي يُخاطب بهما أبا القاسم وابنه إسماعيل ،يحضّه على الخروج من حصار المهديّة إلى قتال أبي يزيد فقال :

جـــادتك صادقة المخايل طـــوع الجنائب والشمـــائل

مـــرهاء دانية الــرباب تكــاد تُلمــس بالأنـــامل [1]

ويَذكر في قصيدة أخرى مقتل أبي يزيد سنة 336هـ يَقول فيها :

فارتقــى الملعــون من خيفته في ذرى أعيــط عال مــصعد

في ذرى خلقــاء ملساء على ذلــك المعقل ليست بصــدد[2]

ولا نشكّ أنّ هذه الفتنة العارمة التي ألهبت جوانب الحياة في إفريقية خاصّة ،كانت مثار كثير من الشعر انطلقت به شاعريّة الشعراء ، من أنصار الفاطميين وخصومهم ، تصوّر وقائعها وتهيّج المشاعر حولها ،وإن كنّا لا نظفر من ذلك إلاّ بأثارات قليلة [3] .

ومن الأشعار التي قيلت في أئمّة الشيعة ،والتي تجاوزت غرض المدح، إلى إضفاء طابع القداسة ، وخلع صفات الألوهيّة عليهم،الذي يدلّ دلالة صريحة ، على غلوّ وتطرّف اعتقاد بعض الشيعة في أئمّتهم ، ليستدلّ بها خصومهم،على كفرهم،كهذه الأبيات التي قالها أحد شعرائهم [4] عند حلول المهديّ رقّادة:

حـــلّ بــرقّادة المسيــح حـــلّ بهــا آدم ونـــوح

حـــلّ بهــا أحمد المصفّى حـــلّ بهــا الكبش والذبيــح

حـــلّ بهــا الله ذو المعالي وكـــلّ شيئ ســواه ريـــح [5]

---

(1) محمّد اليعلاوي : المرجع السابق ،ص.117 ،ويَذكر أنّ القصيدة على شُهرتها بالمغرب ضائعة وغرضها التحريضي يدلّ على الانتماء الشيعي عند الإيادي .

(2)سيرة الأستاذ جوذر ،ص.48 ؛ عماد الدّين ادريس :عيون الأخبار ،ص.453 .ويُعلّق اليعلاوي على مضمون القصيدة قائلا بأنّ في القصيدة شاهد حاسم على أنّ أبا يَزيد لم يُقتل في الحملة الختاميّة على القلعة وإنّما أُخذ أسيرا جريحا . اليعلاوي : نفس المرجع ،126 .

(3)محمد طه الحاجري :مرحلة التشيّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبيّة ،ص.47 .

(4) تنسب الأبيات لابن البديل وقد ذكره المالكي دون تعريف .أنظر:رياض النفوس ،ج.2 ،ص.338 .

(5) ابن عذارى : البيان المغرب ،ج.1 ،ص.160 .

ويُعدُّ شعر الإيادي بداية الازدهار والتألّق والذي يَبدوا أنّ كانة شعره في البلاط الفاطمي قد أخذ صورته الواضحة منذ عهد القائم (322هـ)[1] ، وتُذكر له قصيدة في مدح القائم تقع في ثمان وثلاثين بيتا ،نذكر منها بيتين شهادة للإيادي بالشاعريّة ،يقول:

تحثّها أيدي المطيّ إذا ونت بمصعّد منه بعيد مصوّب

خرقاء تذهب إن يد لم تهدها في كلّ أوب للرياح مصوّب [2]

ومن شعراء عهد المعزّ ،شاعر يُدعى سهل ابن إبراهيم الورّاق[3] يَقول محمّد اليعلاوي أنّه أدرك خلافة المعزّ وأنّه اشتهر في القيروان بهجوّ بني عبيد وأورد ما وقف عليه من شعره .

أمّا وقد وضحت لنا بعض ملامح الحركة الشعريّة في عصر الفاطميين ، فإنّ الواجب يُملي علينا ألاّ نغفل ذكر شاعر أندلسي نزح إلى بلاد المغرب ، وأثرى الحركة الشعريّة به بمضامين مثير للتساؤل ، وعكس بشعره صورة المرحلة وهو الوحيد الذي خلّف لنا ديوان شعر ، نعني بذلك الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسي[4] فمنزلته عند رجال الدّولة الفاطميّة أتاحت له عطاءا شعريّا غزيرا تمثّل في ديوان كبير [5] .

---

(1) محمّد طه الحاجري : المرجع السابق ،ص.55 .

(2) ابن الأبّار:الحلّة السيراء في ترجمة القائم رقم 107 ؛ نفح الطّيب ،ج.4 ،ص.57 ؛ ح.ح.عبد الوهاب:مجمل تاريخ تونس ،ص.98 .ويلاحظ اليعلاوي في القصيدة تضمين لبعض القصص القرآني واستفراغه لهذه الإشارات في كامل القصيدة ، ممّا يدلّ على تأثير كبير بالمخزون الثقافي والدّيني الإسلامي . اليعلاوي : الأدب بإفرقية في العهد الفاطمي ،ص.121 .

(3) لم يزوّدنا المؤرّخون القدامى بأيّ معلومات ذات بال عنه ،فالمالكي لا يُشير إلاّ إلى أنّ اسمه سهل بن إبراهيم الورّاق ،ثمّ يورد له مقطوعتين رثا بهما سعيد بن الحداد،ثمّ لا يزيد على ذلك شيئا .أنظر:رياض النفوس،ج.2 ، ص.112 ؛كما لا يشير ابن عذارى إلى أنّ اسمه سهل بن إبراهيم فقط وذلك في معرض حديثه عن الأبيات التي قالها في حصار مدينة سوسة ,أنظر: البيان المغرب ،ج.1 ،ص.293 .

(4)ترجم له ابن خلّكان في وفيات ألعيان ،ج.4 ،ص.421 ،424 .ويَذكر اليَعلاوي أنّها أضفى الترجمات للشاعر اكتسبت هذه الترجمة تفاصيلها من مصدر نفيس مفقود هو :أخبار القيروان لابن شداد .انظر:ابن هانئ الأندلسي ص.16-17 .

(5) ابن خلكان : نفس المصدر ، ج.4 ،ص.424 .

جاء في دراسة المؤرّخين حول ترجمة ابن هانئ ، أنّ المصادر الأندلسيّة والمغربيّة أهملت ذكره منذ القرنين الرابع والخامس لأسباب تعود لتشيّعه ، ولما في شعره المَدحيّ في الأئمّة من الغلوّ والإفراط المُفضي على الكفر ، يُكنّى بابي القاسم [1] ، وولد سنة 320 هـ [2]بقرية من قرى إشبيلية اسمها "سكون "[3] ، وأبوه هانئ إفريقي ولد بقرية قرب المهديّة قبل سنة300هـ[4] ثمّ انتقل إلى الأندلس لأسباب تختلف المصادر عن تحديدها .

ولا تَذكر المصادر الشيء الكثير عن تَكوّن الشاعر ونشأته ،ويَنفرد ابن الأبّار فيَذكر أنّ أثر تأدّبه كان بدار العلم بقرطبة [5] ، أمّ شيوخه فلم يرد ذكرهم ، ممّا يَجعلنا نجهل العلوم التي تلقّاها إلاّ ما نستنتجه من ديوانه.

كانّ أوّل اتّصال للشاعرعند بلوغه المغرب سنة 347هـ[6]مع القائد الفاطمي جوهر الصّقلّي الذي أنفذه المعزّ لإخماد ثورات المغرب الأقصى [7] لكنّ جوهرا لم يُكافئ ابن هانئ بما يرى أنّه لها أهل ، إذ أعطاه مائتيّ درهم فقط ،فقال : أليس بهذا البلد أكرم من هذا ؟ فأشاروا عليه بالجعفرين [8]،وسرعان ما أصبح الشاعر من خاصّة الأميرين، فلم يزل عندهما في أرغد عيش وأعزّ جانب إلى أن نمى خبره إلى المعزّ لدين الله .

---

(1) له كنية أُخرى ذكرها شارح ديوانه :زاهد عليّ وهي كنية أبي الحسن .انظر مقدّمة كتاب :تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ ،مطبعة المعارف،مصر ،1352 هـ،ص.19.وكنية أبي القاسم أكثر تواترا في المصادر .

(2) أو سنة326هـ ،هذا بالإستناد إلى سنّه عند وفاته التي يُعيّنها صاحب الوفيات بـ36 سنة أو 42 سنة ،وقد رجّحنا ما ذهب إليه اليعلاوي .أنظر: ابن هانئ الأندلسي ،صص.10-11-12 .

(3) يُنسبه إبن الأبّار إلى إلبيرة دون أن يَقول أنّه ولد بها .التكملة ،ترجمة رقم :350 ؛ أمّا لسان الدّين ابن الخطيب فلئن جعل مولده بقرية من أحواز إشبيلية تُدعى سكون ،فإنّه يَدعوه الإلبيري.الإحاطة ،ج.2 ، ص.112.

(4) محمد اليعلاوي : نفس المرجع ،ص.108 .

(5) التكملة لكتاب الصلة ،ج.1 ،ص.153 .

(6)محمد اليعلاوي : نفس المرجع ،ص.117 .

(7) تاريخ فراغ جوهر من حملته المغربيّة التي قادها حتّى الحدود الجنوبيّة بتافيلالت ،وتوّجها بفتح فاس في 20 رمضان 348هـ/24 نوفمبر959م أنظر: الدّشراوي : الخلافة الفاطميّة بالمغرب ،ص.232.

(8)اليعلاوي :نفس المرجع ،ص.118.

يَظهر من كلام ابن خلّكان أنّ شهرة الشاعر وصلت إلى مسمعه فأبدى اهتمامه به وكلب من الأميرين أن يُجهّزاه إليه ،فبادرا إلى إرساله وأرفقاه بهدايا كثيرة[1] ،ولّما انتهى إلى المعزّ امتدحه بغرر المدائح وعيون الشعر فبالغ المعزّ في الإنعام عليه ، فأقام عنده وهو منعّم تسع سنوات أي من 353هـ إلى سنة 362هـ .

أمّا عن مترلته في الشعر ،فنذكر حُكم ابن خلّكان فيه حيث قال: " وليس في المغاربة من هو في طبقته ولا من متقدّميهم ولا من متأخّريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق،وهو عندهم كالمتنبّي عند المشارقة [2] ،ويُشبّهه ابن الأبّار بأبي تمّام [3]،وهكذا فإنّ مترلة الشاعر الأدبيّة تتتزّه في خصوص شاعريّته عن التحامل المذهبي .

أمّا **مكانة الإمام (الخليفة) في شعر ابن هانئ** فمستمدّة من العقيدة الإسماعيليّة ، فالشاعر يرفع ممدوحه إلى مرتبة القداسة ، جاعلا منه قطب البشريّة ومركز الكون،وهذه الأوصاف ليست من قبيل المبالغات التي اعتادها الشعراء ، والتي تُفهم من باب الكناية والاستعارات والعبارات الروحيّة التجريديّة عنده ليست من الخيال الفنّي ،لأنّ شعر العرب لم يَتعوّد هذا النوع من الخيال كقوله :

هو علّـــة الدّنيا ومن خلقت له ولعلّـــة مـــا كانت الأشيـــاء

من صفو ماء الوحي وهو مجاجة من حـــوضه الينبوع وهو شفاء

من معدن التقديس وهو ســـلالة من جوهر الملكوت وهو ضياء [4]

وهذه المعاني كانت رائجة في المجالس الإسماعيليّة ، فصفات الله سبحانه وتعالى لا يَتحرّج الشيعة في نِسبتها إلى الإمام ، فالأئمّة صفة الواحد القهّار ، ولا كفر عندهم إذن في هذا البيت الذي جمع للمعزّ أربعة أسماء من أسماء الله الحسنى :

نـــدعوه منتقما عـــزيزا قـــادرا غفّار موبقة الذّنوب صفوحا [5]

---

(1) وفيات الأعيان ،ج.4 ،ص.421 .

(2) نفسه ،ص.424 .

(3) التكملة لكتاب الصّلة ،ص.103 .

(4) زاهد عليّ : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ ،ص.15-16 .

(5)نفسه ،ص.150 .

ب(3) دور الحكّام الفاطميين في الحياة الأدبيّة في المغرب :

ــ في الشعر

شجّع الفاطميّون الشعر والشعراء، لأنّ أئمّتهم كانوا عربا يتذوّقون الأدب والشعر[1] ويقولونه كما قام على تشجيع الشعراء أمراء الفاطميين أمثال بنو حمدين أمراء المسيلة وأجزل هؤلاء العطاء للشعراء،ولم تكن مناسبة من المناسبات دينيّة كانت أو اجتماعيّة تمرّ دون أن يقول الشعراء فيها[2].

وممّا دعا إلى ازدهار الشعر،أنّ القائمين على شؤون البلاد اتّخذوا منه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسيّة ، وكانوا يشجّعون الشعراء في مدائحهم على الحديث عن المذهب وأصول الدّعوة وعقائدهم في الأئمّة والعلم الباطن،وكما يتحدّثون عن حقّهم السياسي في الخلافة . وهكذا نرى الفاطميين يولون الشعراء عنايتهم ، لأنّهم لسان من ألسن تمجيدهم ، والذّود عنهم أمام أعداء كثيرين أقوياء ، وإغداق النِّعم على الشعراء كان من أشدّ الأسباب التي جعلت الشعراء يحرصون على إتقان الشعر،حيث لم يكن لهم استقلال في مواردهم الماليّة[3] إذ كان معظمهم يتكسّب من الشعر ، فكان الشعراء إذن بعض حاشيّة السلطان يجمعهم بلاط حاول الفاطميّون أن يجعلوه كبلاطات ملوك القرن الرابع الهجري ، أو أمرائهم في المشرق والأندلس أيّ مركزا للتنافس والمساجلة والتغنّي بأعمال الخلفاء وأمجادهم وخصال آل البيت [4].

---

(1)يروي النعمان تفاعل المهدي مع قصيدة الورجييني الذي انشده إياها برقّأدة حين دخلها ، واستعبر وتلقى دموعه بكمّه حين انتهى إلى قوله :

وسفيهة هبّت تصدّ عن النوى ويد النوى ملكت عنان مسيري

خافت عليّ من الخطوب لأنّني من قبـــل غبت فأُبت بعد دهور

ثمّ اجتمعنا بعـــد ذاك فيـــالها مأســـورةٌ جمعت إلى مأســـور .

أنظر: افتتاح الدّعوة ،ص.300-301-302 .

(2) محمد زغلول سلام : المرجع السّابق ،ج.2 ،ص.10 .

(3)الأموال المخصّصة للشعراء تسمى الجرايات ، وهي غير الهبات والعطايا ، فعبيد الله أمر للورجييني بأن يجرى له عليه لكلّ عام . النعمان: افتتاح الدّعوة ،ص.302 .

(4) النيفر : الحياة الأدبيّة ،ص.232 .

تتحدّث المصادر عن مساهمة الأئمّة في مجال الإنتاج الشعري ، فضلا عن دعمهم وتأييدهم للشعراء ، فعبيد الله المهدي كان يقرض الشعر وله أبيات تنسب إليه ، فقد وجاء في دراسة مؤرّخي الحياة الأدبيّة في العصر الفاطمي أنّ :عبيد الله كتب إلى سعيد بن صالح صاحب مدينتي نكور وتمسيمان يدعوه لطاعته ، وكتب في أسفل كتابه (الطويل):

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عنّي أر قتلكم عدلا

وأعـــلوا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عفـــوا وأملؤها قتـــلا [1].

وأبيات أخرى تضمّنها كتابه إلى وليّ عهده محمد القائم ، عند انتصاره على بني ماوطي الثائرين ببلاد كتامة سنة299هـ/912م وضمّت أبياتا سبعة من الوافر نذكر منها قوله :

أتُصبـــح في كتامة ذا انفــــــراد تقـــابلها قيامـــا في قيـــام

إذا مـــا وقعة دارت رحـــــاها بجـــزم مفاصل وفلاق هام

أتت أُخـــرى تَطُمُّ وتعتليـــــها يشيب لهـــولها رأس الغلام [2]

ولّما وصل إلى المهديّ كتاب من القائم وهو يحارب البربر بجهة تاهرت ، بكى عند قراءته وأنشأ يقول (منسرح) :

يا وحشتي للغريب في البلد النـــــــــــازح ماذا بنفـــسه صنعـــا

فارق أحبابـــــه فما انتفعـــوا بالعيش من بعده وما انتفعـــا [3]

ومضامين هذه الأبيات تعكس اهتمامات خليفة حاكم ، عرف بالشدّة والحزم كما يظهر في المقطوعة الأولى ، وبعاطفة قويّة تجاه ابنه القائم تعبّر عن شوقه كما في المقطوعتين الثانيّة والثالثة و لم تخلُ من صنعة شعريّة واضحة ، ومستوى شعريا رفيعا [4]

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ،ج.1 ،ص.178 .

(2)الدّاعي إدريس : عيون الأخبار ،ص.191 .

(3)من كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ،ج.4 نص.243 .نقلا عن اليعلاوي ،الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ،ص.31 .ويذكر في تعليقه على الأبيات أنّ حملة القائم دامت من صفر 315هـ/أبريل 927م إلى رمضان 316هـ/نوفمبر928م ن وفي اثناء تحرّكه هذا أسس مدينة المحمّديّة التي عرفت بالمسيلة .

(4) النيفر : الحياة الأدبيّة ص.234 .

أمّا القائم بأمر الله،فقد رصد له اليعلاوي خمس قصائد ، تحوي في الجملة مائة وبيتا [1] اختلفت أغراضها بين الفخر والهجاء ،ودلّ على قدرته في نظم الشعر والإجادة فيه ،ونورد من قصائده نتفا تعبّر عن مكانة القائم الشعريّة .

يذكر في قصيدة قالها وهو مقيم بأرض مصر نذكر منها بيتين (طويل) :

ناديت أهل الغرب دعوة واثق كريم العطايا ، من تولاّه لم يخب

فجاؤوا سراعا نحو أصيد ماجد ينادونني بالسمع طورا ،وبالرحب[2] .

وكان غرض القصيدة هو محاولة إقناع أهل مصر بفساد سياسة العبّاسيين،وصلاح الأئّمّة الفاطميين وفيها أيضا تعظيم لأهل المغرب –أي جنوده الكتاميون-والإشادة بولائهم[3].

ومن جيّد شعره في الفخر قوله (بسيط) :

من كان يرضى بحصن يستجير به وقلعة ذات أجراس و أحراس

فإنّــــي رجـــل لم ترض همّتـــه إلاّ ببيض و أرمـــاح و أفراس

مسوّمـــات جعلناهـــا معاقلنـــا دون المعاقل في الضرّاء و الباس[4]

وله قصيدة أخرى يبدأ كلّ بيت ويختم باسم الله ، وهي اقرب على الإبتهال الصّوفي منها إلى البيان السياسي يقول في بعض أبياتها (سريع) :

الله لي ، ثمّ إمـــــــام الهدى ما ضاع مـــن كان لــــه الله

الله ،جـــــــــلّ الله ، لي صاحبا سقيا لمـــن صــــــاحبه الله

الله لي في وجهتي ناصـــــــــــر قـــد عــــزّ مـــن ينصره الله

الله لي في شقوتي حـــــــــافظ طــــــوبى لمــن يحفظه الله [5]

---

(1) الأدب بإفريقيا في العهد الفاطمي ،صص.81 ،101 .

(2)المقريزي : المقفى الكبير ،اختيار وتحقيق :محمد اليعلاوي ،ص.126 ؛ اليعلاوي ،نفس المرجع ،ص.83 .

(3)أنظر تعليق اليعلاوي على القصيدة ، نفس المرجع ، ص.84 .

(4) المقريزي : المصدر السابق ،ص.125 .

(5) نفس المصدر ،ص.126 .

أمّا المنصور بالله الذي يذكر النعمان عنه انّه كثيرا ما كان يأمره أن يؤلّف كتابا أو يصنع بيتا من الشعر [(1)] ، ولكن جملة ما أُحصي من شعره لا يعدو خمسة عشر بيتا ، وهذا قليل بالمقارنة مع شعر ابيه وجدّه [(2)]. ومن شعر المنصور بعد معركة كيانة (15 جمادى الأولى 335هـ/12ديسمبر946) أبيات نذكر منها (طويل) :

فلا تحسبوا أنّــي شُغلت بلذّة ولكن أطعت الله في كلّ كافر

أروني فتى يغني غنائي ومشهدي إذا اُرهج الوادي بوقع الحوافر[(3)] .

وشعر آخر من المنصور إلى ابنه ووليّ عهده المعزّ لدين الله مما يقول فيه (المتقارب) :

كتابي إليك من اقصى الغروب وشوقي إليك طويــل طويـــل

أجوب القفار وأطوي الرّمال وأحمل نفسي لهــول مهــول

أريـــد بذاك رضـــى خالقي وإعــزاز دولة آل الرّســول[(4)] .

أمّا المعزّ لدين الله فينسب إليه من الشّعر قوله (مجزوء الكامل) :

للـــه مـــا صنعت بنـــا تلك المحـــاجر في المعـــاجر

أمضى وأقضى في النفـــــــــوس من الخنـــاجر في الحناجر

ولقـــــد تعبت ببينـــكم تعب المهـــاجر في الهواجـــر[(5)]

كما ينسب غليه ايضا قوله (خفيف) :

أَطلع الحسن من جبينك شمسا فــوق ورد في وجنتيك أطــلا

وكأنّ الجمال خاف على الورد جــفافا ، فمدّ بالشعر ظــــلاّ[(6)]

---

(1)القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.133 .

(2)أنظر تعليق اليعلاوي عن شعر المنصور : الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ،ص.161 .

(3) سيرة جوذر ،ص.50 .

(4)نفس المصدر والصّفحة .

(5)ابن خلّكان : وفيات الأعيان ،ج.5 ،ص .228 ؛ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج.4 ،ص.79 .

(6)ابن خلّكان : نفس المرجع والصّفحة .

ــ في النثر :

تكتسي الإدارة الفاطميّة بالطابع المركزي إلى أبعد حدّ ،ففي ظلّ دولة يمارس فيها الإمام السلطة السياسيّة والدّينية بنفسه،ويستعين في ذلك بأعوان يقتصر دورهم على التنفيذ لاغير[1] لم تكن حرّية المبادرة التي تحقّق للأدب صفة الإبداع متاحة ، والكاتب المبدع في هذا العهد لا يلعب دور المبدع المطلق ، بل يتجلى فيه دور الحامل لفكرة أو نظريّة سياسية دينيّة مذهبيّة ، يشكّل فيها الإمام بما يحتلّه من مكانة ، المحور الهام الذي تتّجه له أغراض الكتّاب ويمكن أن نمثّل لهذا الحال بالقاضي النعمان في كتاباته و تآليفه إذ يقول : " ولقد كنت جمعت عن المهديّ بالله ، والقائم بأمر الله والمنصور بالله وفيهم وفي فضائلهم ، من الكتب ما يطول ذكرها ، وألّفت سيرة المعزّ لدين الله،من الوقت الذي أفضى الله عزّ وجلّ بأمر الإمامة إليه على اليوم " [2] ، كما أنّ خطّة التأليف التي التزم بها في كتاباته هي بأن يكون له اللفظ دون المعنى الذي هو من أداء الإمام ، وفي هذا يقول النعمان :"وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعزّ من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة..على تأدية المعنى دون اللفظ حقيقة ، بلا زيادة ولا نقص،بعد بسط العذر في التخلّف عن تأدّية حقيقة لفظه بحسبه "[3]

وطريقته هذه هي من اقتراح المعزّ ، حيث قال في توقيع له " يا نعمان : لا تبال كيف كان القدر مع إشباع في إيجاز ، فكلّما أوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن [4] إلى أمثال ذلك من النصوص الكثيرة ، التي تدلّ على أنّ المعزّ لدين الله ، كان يدفعه إلى التأليف الكتب ، بعد أن يوضّح له فكرتها ، وأنّ النعمان كان يعرض كتبه عل المعزّ قبل أن ينشرها على النّاس .

---

(1)فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطميّة بالمغرب ،ص.454 .

(2)المجالس والمسارات ، ص.47 .

(3)نفس المصدر والصفحة .

(4)نفسه ،ص.401 .

كانت صفة الأئمّة تضطرّهم إلى الإحاطة بكلّ شيء حولهم ، وأن يلمّوا بالآراء الفلسفيّة والمذاهب الدّينيّة التي كانت تملأ الأقطار الإسلاميّة في عصرهم ، فاضطرّوا لأن يأخذوا بحظّ وافر من الحياة العقليّة المختلفة ، كما كانوا مضطرّين لأن يردّوا على مخالفي مذهبهم طورا بالكتابة وطورا بالمجادلة والمناظرة الشفويّة ، فكان ذلك سببا أدى إلى أن يكون الأئمّة حريصين في أسلوبهم وألفاظهم،وعرض آرائهم بأسلوب أدبي فنّي حقّق للأدب شروطه واقتصر آنذاك دوره على خدمة الدعوة ،والدّعاية لها نثرا وشعرا،وهو ما يفسّر لنا الطابع الإعلامي التّبليغي الذي لا يكاد يفارق الأدب في هذه المرحلة[1] .

وتدلّ التوقيعات والرسائل والخطب العديدة الواردة في سيرة الأستاذ جوذر ، وكتاب المجالس والمسايرات وعيون الأخبار ، أنّ تحريرها كان يستوجب معرفة المذهب الإسماعيلي معرفة جيّدة بالإضافة على ثقافة واسعة ومتينة، وأنّ بعض تلك المراسلات الفاطميّة الرسميّة كانت بخطّ الأئمّة ذاتهم[2] ، ممّا يضفي عليهم صفة الثقافة وسعة الإطّلاع ؛ من ذلك أنّ المعزّ كان حريصا على الإجابة بنفسه على الرسائل التي ترد عليه من المشرق والمغرب[3]، ولّما كان هؤلاء الأئمّة مثقّفون ومولعون بالكتب ، فــلا غرابة أذا علمنا مدى اهتمامهم بديوان الرسائل ، وستكون رسائلهم الرسميّة وخطبهم مثالا يحتذى به ،خلال الفترة التي ستبلغ فيها الأسرة الحاكمة ذروة مجدها في مصر وسيتم تنظيم الدّولة على أسس متينة،ممّا يسمح بتطوير وازدهار فنّ الترسل على أحسن ما يرام [4]

---

(1)عبد المالك مغشيش : الأشكال النثريّة في الأدب المغربي في العهد العبيدي ،مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماجستير جامعة الحاج لخضر ،باتنة ،2006 ،ص.139 .

(2) يذكر النعمان أنّ المنصور كان يكتب بخطّ يده .المجالس والمسايرات ،ص.104 .

(3)سيرة الأستاذ جوذر ،ص.17.

(4) الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب ،ص.460 .ويشير الدشراوي إلى أنّ الرسائل القليلة التي وصلتنا تدعونا إلى الاعتقاد أنّ فنذ الترسل الذي ازدهر في مصر لم يتطوّر بما فيه الكفاية في إفريقية ، وأنّ قواعده لم تضبط ضبطا دقيقا .نفس المرجع ،ص.458 .

ومن النثر الذي برع فيه الأئمّة وتميّزوا به "فنّ الخطابة"،وكان الأئمّة يلقون الخطبة ارتجالا فتأتي نهاية في البلاغة ، كخطبة القائم في عيد الفطر سنة 302هـ بالإسكندريّة والتي يخطب فيها ودّ المصريين كي ينفّرهم من خلفاء بغداد ، وفيها مداراه للمخاطَبين (أهل سنّة)بتضمينها آيات قرآنيّة فنسبة الآيات فيها تتجاوز المقدار المطلوب في الخطابة العربيّة التقليديّة (1) وكخطبة المنصور وليّا للعهد في عيد الفطر سنة 334هـ بالمهديّة وكان الحصار على أشدّه ، وهجمات أبي يزيد على المهديّة لا تفتر، وينصرف المنصور في هذه الخطبة عن شؤون الحرب إلى شؤون الدّين بتعظيمه ليوم العيد وهو دليلٌ على رباطة جأش من المنصور (2) .

وكخطبة المعزّ المرتجلة والتي ذكرها النعمان فقال : " ثمّ حضر وقت الصّلاة فقام وصار إلى المسجد ، ورقي المنبر ، فخطب بخطبة بليغة جاء فيها بفصول ، ما سمعنا قبلها مثلها واحتجاج في الإمامة ، وإبانة لظلم الظالمين المتغلّبين " (3) ، وخطبة أخرى ألقاها في عيد الأضحى 342هـ وهذه الخطبة التي نعرف فيها ذلك النمط من الفنّ،الذي يتهيّأ له الخطيب من قبل في أوّل خطبة له بعد توليه الخلافة ، نعى فيها أباه المنصور ، وكان قد توفي قبل ذلك بشهرين وفيها من مظاهر الصنعة أكثر مما تعبر عنه من الحزن واللّوعة ، وهي كخطبة العيد ، مؤلّفة من جزأين (4) ومعلوم أنّ المعزّ كتم وفاة والده المنصور،و لم يعلن عنها إلاّ في هذه الخطبة (5)

---

(1) عن خطة القائم أنظر :الداعي عماد الدّين إدريس : عيون الأخبار ،ص.198 ؛وقد علّق محمد اليعلاوي عن هذه الخطبة ، الأدب في العهد الفاطمي ،ص.93 .

(2)عن خطبة المنصور أنظر :الداعي إدريس : نفس المصدر ،ص.339-341 .

(3) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ،ص.123-124 .

(4)عن هذه الخطبة أنظر :سيرة جوذر ،ص.76 ؛الدّاعي إدريس :عيون الأخبار ،ص.541 .ويعلّق اليعلاوي عن الخطبة ملاحظا أسلوبها التأمّلي الصّوفي وهو أسلوب يختلف عن خطب أسلافه .الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ص.264 ؛أنظر أيضا تعليق محقّقي سيرة الأستاذ جوذر ،ص.26-27 .

(5)تاريخ وفاة المنصور كان سنة 341هـ/953م .

ومن الآثار التي تنسب للمعزّ كتاب"أدعية الأيّام السبعة"[1] التي يؤكّد الإسماعيليون نسبتها إليه[2] ،وما يعزّز هذه النِّسبة التشابه الكبير بين أسلوب الأدعيّة وخطبة المعزّ التي وردت في كتاب سيرة الأستاذ جوذر ، إذ نلاحظ الصنعة الفنيّة في أسلوبهما ،فالجمل قصيرة ، وتكاد الجملة التالية تكون على وزن وطول الجملة السابقة،أو الجملة تتبع الأخرى في موسيقاها ومعناها،والسجع ظاهر فيهما وانتقال من معنى إلى آخر انتقال طبيعي لا تكلّف فيه، ونجد في الأدعية المبالغة أحيانا في استخدام الصنعة اللفظيّة والمعنويّة ، مثل الجناس ومراعاة النظير وجدير بالذكر أنّ المقدّمات التي تبدأ بها الأدعيّة وهي الحمدلة والتصليّة ليست على وتيرة واحدة بل توجد فيها تنوّع الأسلوب والمعنى [3]، وقد أتى المعزّ في الأدعية مثل ما يؤتى في خطبه ببعض العقائد الفاطمية [4] ، والأدعية مليئة بالاقتباسات من القرآن الكريم،ولكن أسلوب المعزّ تختلف في توقيعاته،فهو أقرب إلى الكلام العادي الذي يتحدّث به أمام الناس في الأمور العديدة والظروف المختلفة مع سلامة الأسلوب وفصاحة العبارة[5].

ويظهر بهذا أنّ الأئمّة الفاطميون لم يكتفوا بالدّور الدّاعم للحركة الأدبيّة ، بل كانت لهم إسهامات فيها ،فالمقريزي الذي اهتمّ بالجانب الأدبي من حياة الأئمّة يقول عن القائم بأنّه كان أديبا شاعرا ثمّ ينقل رسالته التي كتب إلى المظفّر مؤنس الخادم،والمقتطفات من شعره [6]، وكذلك في ترجمة سيرة المنصور ، يقول المقريزي عنه بأنّه كان فصيحا خطيبا يخترع الخطبة لوقته ، وكان حادّ الذهن حاضر الجواب ، ثمّ ينقل بعض خطبه البليغة[7].

---

(1)تحقيق وتعليق وتقديم : إسماعيل قربان بونوالا ، ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2006 .

(2)عن توثيق نسبة الأدعية للمعزّ أنظر :مقدّمة المحقّق ،نفس المرجع ،ص.24-25-26-27.

(3)نفسه ،ص.23 .

(4)أنظر مثلا دعاء يوم الأحد ،ص.11-12 .ودعاء يوم الثلاثاء ،ص.35-36 .

(5)محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطميّة ،ص.316 .

(6) المقفى الكبير ،ص.113 ،129 .

(7) نفسه ،ص.142، 192 .

أمّا المعزّ لدين الله ، فمكانته الأدبيّة من خـــلال كتاب المجالس والمسايرات واضحة ، بحيث كانت له - حسب النعمان - مشاركة واسعة في شتى العلوم ، فهو يخوض في شيء من علم النحو حيث يعرض المعزّ حججه النحويّة على من حضر مجلسه من النحويين وممن برع في علم النحو[1] ، ويتكلّم في مجلس في معنى القضاء في اللغة [2] ، ويتناقش مع نحوي سنّي[3] ، ويثير مسائل تتعلّق باللغة والفقه[4] .

وفي خاتمة هذا الباب يمكن أن نسجّل أهمّ الملاحظات ، والمتعلّقة بالنثر في النقاط التالية:

-الأدب النثري في العهد الفاطمي غلب عليه الطابع الإعلامي التبليغي ،رغم تطوّر أغراض ومضامين النثر إلاّ أنّ ما وصلنا منه لا يمثّل إلاّ جزءاً يسيرا .

-الأدب النثري في هذه المرحلة لا يخرج عن خدمة أغراض الدعوة الإسماعيليّة،و الحاكم وغلبة النزعة المذهبيّة على أغراضه ومراميه .

-ازدهار الخطابة السياسية والمذهبيّة ،على النمط التبليغي المألوف في المشرق .

-بداية ظهور فن السير مع التزام النعمان في كتابه "المجالس والمسايرات" تتبع أحول المعزّ .

---

(1) القاضي النعمان : كتاب المجالس ،ص.281 ،283 .

(2)نفسه ،ص.147 ،152 .

(3) نفسه ،184-185 .

(4)نفسه ،ص.348 ،350 .


خاتمة

تبيّن لنا من هذه الدّراسة أنّ هناك حياة فكريّة واسعة شهدها المغرب في العصر الفاطمي شملت مختلف ميادين الفكر ، وذلك كلّه بفضل سياسة التمدّن التي أنتجت مجموعة من المراكز الثقافيّة المنتشرة . والـــتي احتضنت أنشطة متنوّعة ، كان يُشرف عليها ويُساهم فيها الحكّام الفاطميّون أنفسهم ، مع نخبة من رجال الفكر والأدب .

وتمثّل التفاعل بين الفكرين :السّني المالكي والشيعي الإسماعيلي ، في تلك المناظرات التي كانت تُعقد في المساجد،أو في قصور الحكّام ، والتي أعطت لعلم الكلام حضورا متميّزا مثّله عن الجانب السّنيّ : أبو عثمان سعيد بن الحدّاد ، وعن الجانب الشيعي أبو عبد الله الشيعي وكانت موضوعات تلك المناظرات تقليدية ، لا تخرج عن تداعيات الفتنة الكبرى زمـــن الخلفاء الراشدين ، وأحقيّة عليّ بن أبي طالب في الخلافة ، و في الحقيقة لم تكن الناظرات سوى أسلوب آخر للمقاومة عند السنّة ، والحقيقة إنّ اختلاف المذاهب ،لم يكن له سلبيّة إلاّ الجانب السياسي ، وكانت إيجابيّته هي إثراء الفكر الإسلامي ، فتحرّكت العقول تُناصر أو تُعارض ، كما أُلّفت الكتب ووقع التنافس ، وكان نتاج ذلك كلّه تراثا فكريّا ضخما يؤرّخ للعقل المغربي فيما اعترضه وشغله زمنا غير قليل .

كما تجب الإشارة أنّه كان لحضور الفاطميين في المغرب ،وما صاحب هذا الحضور من تنافس سياسي ، وصراع عقائدي ، تأثير فعّال في حياة الأديب والفقيه والشاعر خاصّة وللمثقّف عامّة ذلك أنّ حياة هؤلاء تكيّفت مع واقع السياسة الجديدة ، لذلك كان للمثقّف في العصر الفاطمي صورتان : إمّا الأديب الموالي للأئمّة ، ولاءا حقيقيا أو مصطنعا يعيش في بلاطهم ويقضي الجانب الهام من وقته مادحا لأعمالهم داعيا لمذهبهم ،ويجسّد رجل الموالاة الصادقة القاضي النعمان ، الذي لازم الأئمّة لا طمعا وإنّما إعجابا وولاءا دينيا ؛ أمّا الصّورة الثانيّة ، فهي صورة المناهض للأئمّة وللسياسة الإسماعيليّة ولمذهبهم الشيعي ، ويُمثّل أبو سعيد ابن الحدّاد نموذجا عن هذه الصّورة .

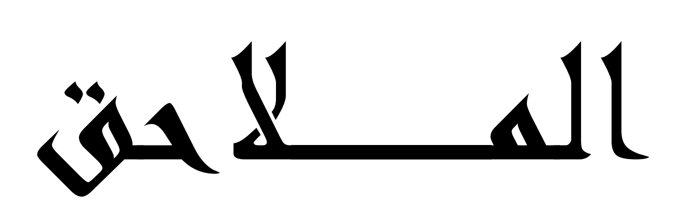
في أثناء الوجود الفاطمي في بلاد المغرب،سجّلنا على الأئمّة مواقف فكريّة لا تخضع لمبدأ السّماحة ورحابة الصّدر ،والقبول بالرأي المخالف ،لذلك مرّت العلاقة الفكريّة – السنّية الشيعيّة - بمراحل صعبة ،تطوّرت لتأخذ طابع الحدّة والعنف،ولعلّ كتب الطبقات السنّية شاهد على المحنة التي مرّت بها البلاد زمن الفاطميين ،وبقيت صفحات سوداء سجّلت في تاريخ هذه المرحلة .

وأجلى الخصائص التي ظهرت للحياة الفكريّة في العصر الفاطمي في دوره المغربي هي :

1 -الطابع العربي السَّاطع في هذا النشاط الفكري ، فهو عميق الارتباط بالمشرق في أغراضه وأشكاله واتّجاهاته الكبرى .

2 -النشاط الفكري الفاطمي استمدّ "فاطميّته"من كونه نتج عن ذلك الصّراع العقائدي السياسي الذي شهده المغرب ، إذ سخّرت كلّ المجهودات الفكريّة والإبداعيّة لخدمة العقيدة والسياسة فكانت نضالا ملتزما سواء من طرف أعلام الشيعة أوّ السنّة أو الخوارج خاصّة في ميدان الشعر والأدب والفقه ؛ وبرز هذا التحوّل ، في الالتزام والنضال الشائعين لدى أعلام السنّة ، في معركة المحافظة على الشخصيّة السنيّة ؛ والنضال الشيعي في مختلف الفنون ، في مـــعركة الهيمنة وتجسيدا لأطماع دولة دينيّة فتيّة ،تطمح للتوسّع في المشرق ، بعد أن ضاق عنها المغرب بما رحب فمن هذا الثابت تستمدّ الحركة الفكريّة الثقافيّة أصالتها ومن هذا التحوّل استقت إبداعها فكانت عربيّة مغربيّة فاطميّة .

وانتهينا إلى حقيقة بديهيّة ، هي أنّه وجدت فعلا حياة فكريّة في العصر الفاطمي ، في دوره المغربي،وكان للحكّام دور فاعل فيها ، إذ شكّلوا بحضورهم مركزيّة السّلطة في اتّخاذ القرار السياسي والدّيني ، وكان عصر كلّ حاكم صورة لمزاجه تجاه الموالين والمعارضين ، غير أنّ معاملة الأئمّة لخصومهم الفكريين ، كانت تنمّ عن نظرة إقصائيّة ، تتحكّم فيها دواعي مذهبيّة ومصالح سياسيّة ضيّقة ، على أنّ عهد المعزّ لدين الله ، كان انفراجا ، بمواقفه المعتدلة ، ممّا أمّن له قاعدة المغرب لفتح مصر .


الملاحق

الملحق رقم -1-

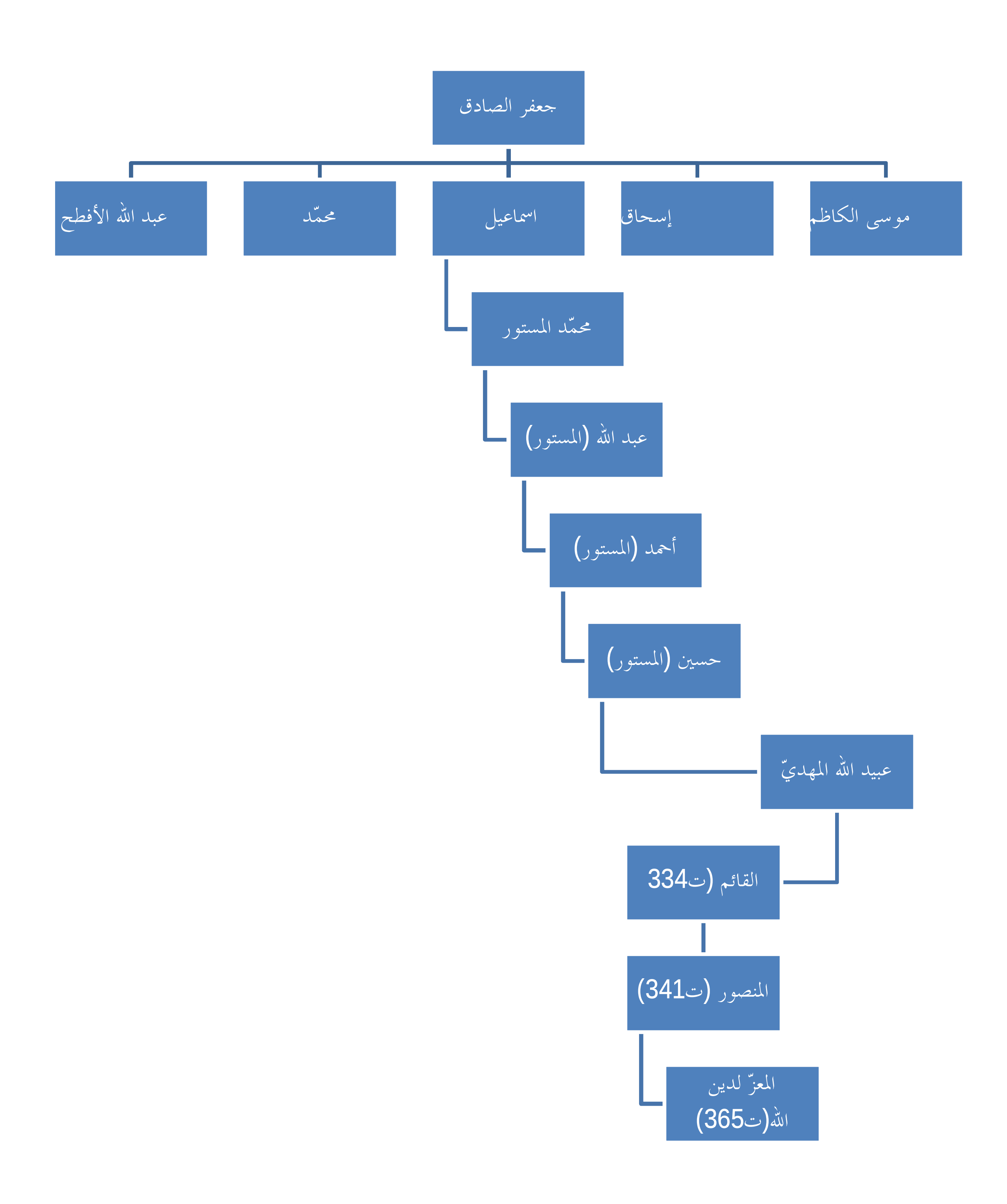
الواجب على الأئمّة للأمّة

إذا كان العلماء في زمان إمام حقّ ، وأهله فاسقون ، وجب على العلماء عرض أنفسهم إليه ليسلمهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغ وأنفع لما يريده ، فالــذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا،كشفه لمولاه من حال نفسه ، اعتقاد ولايته والإخلاص له فيها ، وذلك أصل مالا يزكوا عمل إلاّ به ، والصدق فيما يعوّله له وعليه، لا يسأل الله عن كذب إن شاء الله لا يتعمّده ولا يقصده ، والتسليم لمولاه ،واستفراغ المجهود فيما يتحرّى به رضاه ؛ وأمير المؤمنين اعلم بعبده وما يراه أهلا له،فإن وقع من قوله أو فعله شيء بخلاف موافقة مولاه ، فمن حيث رأى أن يقع ذلك بموافقته وهواه ،وقد قال جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلّم:قد تجاوز الله لأمّتي عن خطئها ونسيانها،وما أُكرهت عليه،وأمير المؤمنين محي سنّة جدّه،ومقتفى أثره ومنجز وعده لأهل عصره.

المصدر:المجالس والمسايرات ،ج.2 ،ص.216 نقلا عن حسن إبراهيم حسن : عبيد الله المهديّ ،ص.328

الملحق رقم 02

اسم المُؤلِّف ومولده ووفاته	أثره العلمي .
أ-المفضّل بن عمر الجعفي	1-في الخصال السّبعين المحمودة وأضدادها .2-فصول في الأسرار العاليّة 3-الإبتداء والانتهاء مما رواه عن جعفر الصادق .4- الأدلّة على الخلق 5 رواية الارز .
ب-أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي الدّاعي في تركستان (331هـ/942م)	1- كتاب المحصول . 2-كون العالم .
ج-الدّاعي عبدان (286هـ/899م)	1- رسالة الشمعة المسمّاة بمفاتيح النعمة .
د-أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني،قُتل في (331هـ/942م)	1-كتاب الافتخار . 2-كتاب الينابيع . 3-كتاب اثبات النبوّة 4-كتاب المقاليد . 5-كتاب المبدأ والمعاد.6- مسلّية الأحزان 7-كتاب تأليف الأرواح.8-كتاب سلّم النجاة .9-سرائر المعاد والمعاش 10-رسالة مؤنسة القلوب .11-كتاب الغريب في معنى الإكسير 12- الرسالة الباهرة. 13-كتاب الأمن والحيرة . 14-رسالة الموازين. 15 -تُحفة المستجيبين . 16-أساس الدّعوة . 17-كشف المحجوب . 18-تأويل الشرائع . 19-كتاب النُّصرة في شرح المحصول 20-كتاب الواعظ. 21 -خزانة الأدلّة .
هـ.جعفر بن منصور اليمن (منتصف القرن الرابع)	1-سرائر النطقاء .2- سرائر النطقاء . 3-كتاب العالم والغلام 4-كتاب الكشف.5-كتاب الفترات والقرانات.6- الرضاع في الباطن 7- الفرائض وحدود الدّين.8- الشواهد والبيان9-كتاب تأويل الزكاة 10-كتاب تأويل سورة النساء .11- تأويل حروف العجم .
و.حميد الدّين أحمد بن عبد الله الكرماني (تـ بعد 408هـ)	1-المصابيح في إثبات الإمامة.2- الرسالة الوضيئة . 3-كتاب الرياض 4-كتاب الأقوال الذّهبيّة . 5-ثلاث عشرة رسالة.6-راحة العقل 7-تنبيه الهادي والمستهدي . 8-معاصم الهدى .9-الاصابة في تفضيل عليّ على الصّحابة . 10- فصل الخطاب وإبانة الحقّ .11-رسالة النظم .12-المضيئة في الأمر والأمير والمأمور . 13- الرسالة اللازمة . 14-الروضة في الأزل .15-الرسالة الزاهرة 16-التوحيد في المعاد .17-تاج العقول . 18-ميدان العقل . 19-الرسالة الحاوية . 20-رسالة الواعظ. 21-رسالة المعاد . 22- رسالة الكافيّة . 23 - خزائن الأدلّة . 24-رسالة الفهرست 25- رسالة المقادير .


جعفر الصادق
موسى الكاظم
إسحاق
اسماعيل
محمّد
عبد الله الأفطح
محمّد المستور
عبد الله (المستور)
أحمد (المستور)
حسين (المستور)
عبيد الله المهديّ
القائم (ت334)
المنصور (ت341)
المعزّ لدين الله(ت365)

الملحق رقم-4-

-المناظرة الأولى بين أب عثمان سعيد بن الحدّاد وأبي العبّاس أخي أبي عبد الله الشيعي-

"قال أبو سعيد بن محمّد : أتاني رسوله ،يعني أبا العبّاس ، ومعي موسى القطّان ، فسلّمت وجلست ، وقد كان أتاه قبل ذلك جميع أهل بلدنا ، أعني من أهل العلم ، بغير إرسال ، فقلت له:قد كان من كان قبلك في هذا القصر، وقد علم الله وعلم من حضر من أصحابنا أنّي لم أكن بجيّاء للملوك ،ولا آتي أحدا منهم بغير رسول ،فتكلّم ثمّ قال لي : من أين فلت بالقياس ؟ قلت: قلته بكتاب الله ، قال : وأين هو في كتاب الله؟ قلت : قال الله : "يا أيّها الذين آمنوا لا تقتلوا الصّيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمّدا فجزاؤه مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم "،فالصّيد منصوص، والذي أمرنا أن نمتثله بالمنصوص ليس بمنصوص ، فعلمنا بذلك أنّ من دين الله تمثيل ما لم يُنصّ بما يُنصّ .

قال أبو عثمان:ثمّ قال :ومن ذوا عدل ؟ وأومأ إليّ أنّهم قوم دون قوم فقلت:هم الذين قال الله فيهم في المراجعة من الطلاق"وأشهدوا ذوَي عدل منكم"،قال أبو عثمان:وأجابه موسى القطّان من فورى بحديث عليّ في الخمر إذ قال في السكران:إذا سَكر هذا،وإذا هذى افترى فوجب عليه ضرب ثمانين أدتى أن يضرب ثمانين ،فقال له:ألم يَقل النبيّ صلى الله عليه وسلّم عليّ أفضلكم ، قال أبوعثمان : قلت لموسى وهو إلى جنبي : وفي الحديث "ومعاذ أعلمكم بالحلال والحرام ،وعمر أقومكم في دين الله ، فكلّمه بذلك فغضب وقال : أيكون أقواكم في دين الله من فرّ بالراية يوم خيبر؟ فقال له موسى:ما سمعنا بهذا،فقال أبو عثمان:قلت:قال الله: "إلاّ متحرّفا لقتال أو متحيّزا إلى فئة "فعمر ممن تحرّف لقتال ،أو تحيّز إلى فئة ،فقال: وأيّ فئة أكثر من النبيّ،وقد كان حاضرا و لم يتحيّز إليه ،فقلت:جاء عنه صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: "عمر فئة ،فمن تحيّز إلى عمر فقد تحيّز على فئة " فسكت ،فحرّكه بعض أصحابه وقال : ألا تسمعون ما يقول هذا الشيخ ؟ فقال صدق ، أو نحو هذا من القول ، سمعتها أنـــا منه ومن كان يليه .

المصدر : أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ،ص.199 وما بعدها

الملحق رقم -5-

شعر القائم في الفخر ومدح المهديّ أبيه (خفبف)

أنا سيف الإله وابن رسول اللـــ	ـــه قطب الهدى وللنّاس قبلة
وإذا ما الغمام أســـجم جدواه	يَكـــون الإمـــــام للنّاس مثله
ويقصر القتل دون بغداد حتّى	يُظهر الله بالعــــــراقين عـــدله
يا إمام الهدى ومــــن طيّب اللـــ	ـــه لـــه فرعه وطيّب أصلــه
تفخر الأرض حين تعلوا ثراها	ثمّ تغدوا حُزونها وهي سهـــلة
يا ابن من أسدلت عليه ستـــور	الوحي أثوابها و لم تكس مثلــه
بك ظـــلّ الفخار يفخر والحـــ	ــــقّ وألبستني من الفخر حلّة
ثمّ أنهضتني لمصـــر والشـــــام	وخـــرسان والعـــــراقين جملة
فأنا سيفك الذي يفلق الهـــــ	ـــام فلا نبـــوة لـــه إن تسلّه
يفـــرق الغرب والمشارق منـــ	ـــه وتكلّ الجموع من أن تفلّه
كم مطيع قد كان في طـــــود	عزّ ثمّ لما عصـــاك بدّدت شمله
وكفور منـــاصب ذي عنـــاد	بك أرديتـــــه وأفنيت غلّـــــه
و أنا سهمك السّـــريع إليهم	مدرك للعدوّ مـــن غير مهلـــة
لا أرى هائبا لسهل ووعـــــر	ولجيش في حين ألقـــاه كلّـــه
فبحسن اليقين والحزم والعـــ	ـــزم كثير العدوّ عندي قلّـــة
فانتظر يا خليفة الله مـــا قد	وعد الله فيـــك من قبـــل رسله
من فتوح تلقاك بالعزّ والنصـــر	لدى النيل والفـــرات ودجـــلة
وكتابي إليك من غاية البعـــد	ووقت الـــرحيل أيمـــن رحلـــ ة

المصدر :تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ،القسم الخاصّ من كتاب :عيون الأخبار للدّاعي عماد الدّين إدريس ،ص.197

الملحق رقم -6-

من خطبة المنصور ،يقرؤها جعفر بن عليّ الحاجب يوم الجمعة 14 محرّم 335هـ بجامع القيروان:

" معاشر الناس ،مولانا وسيّدنا الأمير إسماعيل المنصور بالله ،أطال الله بقاءه ، يقرأ عليكم السّلام ويقول لكم :قد علم الله سبحانه حسن نيّتي فيكم ،وما أضمره من الخير لكم، وما أحبّه من صلاح أحوالكم ، وما أجده في نفسي من الغمّ لما حلّ بكم من البلاء وما نزل بكم من الفقر وذهاب الأنفس والأموال، وإنّ لي آمالا كثيرة حسنة أُؤمّلها فيكم،ما منعني عن إظهارها إلاّ كون هذا العدوّ بحذائي،ومُحاربتي له، وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه فلو كنّا أظهرنا ماكنّا نؤمّله من الإحسان إليكم قبل الظفر ، لقال الجهّال : إنّما فعل ذلك استمالة لقلوب الرعيّة وخوفا من العدوّ،فلمّا كان من منِّ الله علينا ما علمتموه،ومن نصره لنا ما رأيتموه ، وفتح لنا على عدوّه بمنّه وطوله ، أردنا أن نقابل منّة الله جلّ وعلا ، علينا ، بالشكر والإحسان إلى عباده ،والرفق بخلقه،وأن نظهر بعض ما نويناه فيكم ،إذ كان إظهاره في وقت الفتح أولى وأشبه منه قبل ذلك للوجه الذي ذكرناه .

وقد ترك الأمير اعزّه الله ،ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية ، وهي سنة 335هـ ، من العشر والصدقات وجميع اللوازم،وفعل ذلك بجميع الناس مسلمهم وذمّيهم،رفقا بهم ، وعونا لهم على عمارة أرضهم،فليُبلّغ الشاهد الغائب ، وليرجع كلّ بدويّ منكم إلى باديته بلا مرزئة عليه ولا كلفة،ثمّ إنّه لا يؤخذ منكم في إقبال السنين إلاّ العشر والصدقة، والطّعام من الطّعام، والشاة من الغنم ، والثور من البقر ، والبعير من الإبل ،على فرائض الله سبحانه ،وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وسلّم،ثمّ بعد ذلك يساق إليكم من الإحسان وإظهار العدل وإحياء الحقّ وإماتة الباطل،ما تعظم به منّة الله عليكم،وتعرفون به بركة أيّامي ويُمن دولتي إن شاء الله"

المصدر:الدّعي إدريس: عيون الأخبار ،ص.378، 380 .

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

ـ المصادر العربية :

1- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار) .
تـ :658هـ /1260م.

أ- **التكملة لكتاب الصّلة** ، نشره ابن أب شنب ،مطبعة فونتانة الشرقيّة ، الجزائر، 1957 .

ب- **الحلة السيراء** ،جزءان ، تحقيق :حسين مؤنس، دار المعارف، ط2 ،1985.

2- ابن الأثير ،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ،المعروف بابن الأثير الجزرى
تـ :630هـ/1232م.

- **الكامل في التاريخ** ،ج6 ،7، 8، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط.1، 1987

3- إدريس ،عماد الدّين الدّاعي ،تـ 872هـ/1488م .

أ-**تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** (القسم الخاصّ من كتاب : عيون الأخبار) ، نشر محمّد اليعلاوي

ب- **عيون الأخبار وفنون الآثار**،السبع الرابع ،والخامس والسادس ،تحقيق:مصطفى غالب ط.2 ، دار الأندلس ، بيروت ،1984 .

ج- **زهر المعاني**،تحقيق : مصطفى غالب ، ط.1 ، المؤسّسة الجامعيّة للنشروالتوزيع ، بيروت ، 1991 .

4 – البغداي ،أبو منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمي ،تـ 429هـ/1028م

- **الفرق بين الفرق** ،تحقيق : محمّد عثمان الخشت ،مكتبة ابن سينا ،القاهرة،د.ت .

5 – البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، تـ487هـ/1094م

-**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،د.ت .

6 – البخاري ،أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الجعفي (تـ256هـ/870م)

-**صحيح البخاري** ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،1958 .

7 - التجاني (أبو عبد الله بن محمد بن أحمد) تـــــ :706هــ/1306م.

- **رحلة التجاني** ،تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس 1958.

8 - ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي)،تـــ :874هـــ /1469م.

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، ج4،ج5،دار الكتب العمية ،ط1، 1992م.

9 - تميم (أبو العرب) تـــ :333هـــ /944م

- **طبقات علماء إفريقيا** ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ .

10-الجوذري (أبو علي منصور العزيزي) عاش في القرن 4هـــ /11م

-**سيرة الأستاذ جوذر**،تقديم وتحقيق:محمد كامل حسين ومحمد عبد الوهاب شعيرة ،طبعة دار الفكر العربي .

11- حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله)تـــ 1067 هـــ /1656م.

-**كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،تقديم شهاب الدين النجفي المرعشي دار التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

12- ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي)تـــ :682هـــ /1231م.

- **أخبار ملوك بني عبيد**،تحقيق:التّهامي نقرة وعبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر،د.ت.

13-الحمّادي اليمني (عاش أواسط القرن الخامس الهجري)

-**كشف أسرار الباطنيّة وأخبار القرامطة** ، ط.1 ،مركز الدّراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ،1994 .

14-الحموي (أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الرومي البغدادي)تـــ 627هـــ / 1229 م.

- **معجم البلدان** ، دار صادر ،بيروت ، 1977. 5 أجزاء .

15 –ابن حوقل (أبو القاسم النّصيبي) عاش بعد 367هـــ/977م

- **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1992 .

16 – الخشني ،أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني ثمّ القرطبي (ت 364هـــ/975م)

- **طبقات علماء إفريقية** ،تقديم وتحقيق:محمد زينهم محمد عزب،ط.1 مكتبة مدبولي القاهرة ،1993 .

17-ابن خلدون (عبد الرحمن) تــ :808هــ /1406م.

-**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة ، سهيل زكار ، دار الفكر** ،2001. ج.4، 3، 6

-**المقدمة** ،ط.1 ، دار الكتب العلميّة ،بيروت ،1993 .

18-ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) تــ :681هــ/1282م.

-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، 1977م.

19- الدبّاغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمّد القيرواني) تــ 699هــ/1299م

- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،تحقيق :محمد الأحمدي أبو النّور ومحمد ماضور ، ط.2 ، المكتبة العتيقة بتونس ،1968 .

20- الدَّواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك)تــ713هــ/1313م

-**كنز الدّرر وجامع الغرر**—قسم الفاطميين المسمّى:الدّرر المضيئة في أخبار الدّولة الفاطميّة تحقيق:صلاح المنجد ،منشورات المعهد الألماني للآثار ،القاهرة ،1961.

21-ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيرواني) كان حياً سنة1092هــ/1681م

- **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، طبعة تونس ،1286هــ .

22- الرازي ،أبو حاتم أحمد بن حمدان (تــ 322هــ/944م)

أ-**كتاب الزينة**،تحقيق :حُسين بن فيض الله الهمداني،ط.1،مركز الدّراسات والبحوث اليَمني . 1994

ب- **أعلام النبوّة** ، ط.1 ،دار السّاقي ، بيروت ، 2003 .

23- السجستاني (أبو يعقوب إسحاق بن أحمد) كان حيّا سنة 361هــ /971م .

أ - **إثبات النبوءات** ،تحقيق: عارف تامر ،ط.2 ،دار المشرق ،بيروت ،د.ت .

ب- **كتاب الافتخار** ،تحقيق وتقديم: إسماعيل قربان حسين بونوالا ،ط.1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2000 .

24- السيوطي(جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر)تــ911هــ/1504م

-**تاريخ الخلفاء**،تحقيق:أحمد إبراهيم زهوة وسعيد بن أحمد العيدروسي،دار الكتاب العربي بيروت ،ط.2005 .

25-الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)تـــ584هــ/1153م
- **الملل والنحل**،تحقيق:أمير عليّ مهنّا وعلى حسن فاعور،ط.3،دار المعرفة،بيروت، 1993
26- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)تـــ :922/310م
-**تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط.2 ،دار المعارف،القاهرة.
27-ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي) تـــ : 712هــ / 1312م .
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق :ليفي بروفنسال وج.كولان ،ط.3 دار الثقافة ، بيروت ،1983.
28- أبو العرب (محمد بن أحمد التميمي القيرواني) تـــ333هــ/945م
-**طبقات علماء إفريقية** ،تحقيق: محمّد بن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعيّة ،الجزائر .2006
29- عياض (بن موسى بن عياض السبتي) تـــ . 544هــ/ 1149م.
- **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تعليق : محمد بن تاويت الطنجي ، الرباط ، المملكة المغربية ، د.ت .
30- الغزالي (أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي) تـــ505هــ/1112م .
- **فضائح الباطنيّة** ،مراجعة :محمّد علي قطب ،المكتبة العصريّة ،بيروت ،2001 .
31- ابن فرحون (أبو الوفا إبراهيم بن عليّ اليعمري المدني) تـــ799هــ/1397م
-**الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب** ، تحقيق:مأمون بن محيّ الدّين الجنان ، ط.1 ،دار الكتب العلميّة ،بيروت ،1996.
32- الفيروزبادي (مجد الدّين محمّد بن يعقوب)تـــ817هــ/1415م
-**القاموس المحيط** ،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ،1980 .
33–الكرماني (حميد الدّين)تـــ408هـــ /1007م .
أ- **راحة العقل** ،تحقيق:مصطفى غالب ،ط.2، دار الأندلس ،بيروت ، 1983.
ب-**الرسالة الوضيّة في معالم الدّين وأحكامه** ،تحقيق:محمد عيسى الحريري،ط.1 ،دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ،1987 .

ج _**مصابيح في إثبات الإمامة** ،تحقيق:مصطفى غالب ،ط.1،دار المنتظر،بيروت ،1996
34- المالكي (أبو بكر عبد بن محمّد) تـــ453هـــ/1061م
-**رياض النفوس** ،تحقيق:بشير بكّوش ،ط.2 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1994.
35- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشّاري) تـــ387هـــ/997م)
- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،تحقيق: دي غويه ،ط.2 ،ليدن ،1906 .
36-المقريزي (تقيّ الدّين أحمد بن عليّ) تـــ 845هـــ/1441م
-**اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا** ،تحقيق:جمال الدّين الشيال ،ط.2 ،القاهرة 1996 .
- **المقفّى الكبير** ،تحقيق:محمد اليعلاوي،ط.1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1987 .
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ،تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ،ط.1 مكتبة مدبولي، القاهرة ،1998.
37- النعمان القاضي (بن محمد) تـــ363 هـــ/974م
- **إختلاف أصول المذاهب** ،تحقيق:مصطفى غالب،ط.2،دار الأندلس ،بيروت ،1983.
-**الأرجوزة المختارة** ، تحقيق: إسماعيل قربان بونوالا،ط.1،معهد الدّراسات الإسلاميّة مونتريال ، كندا ، 1970 .
- **افتتاح الدعوة** ،تحقيق: فرحات الدشراوي ،ط.2 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، د. ت .
- **الاقتصار** ،تحقيق: عارف تامر ،ط.1 ،دار الأضواء ، بيروت ،1996 .
-**تأويل الدّعائم** ،تحقيق:محمد حسن الأعظمي ،دار المعارف بمصر ، د.ت .
-**دعائم الإسلام** ،تحقيق:آصف بن علي أصغر فيضي ،دار المعارف بمصر ،1963 .
-**المجالس والمسايرات** ،تحقيق:إبراهيم شبوح وآخرون ،ط.1 ،دار المنتظر ، بيروت 1996 .
-كتاب **الهمّة** ،تحقيق: محمّد كامل حسين ،دار الفكر العربي ،د.ت .
38- ابن هانئ الأندلسي تـــ 362هـــ/973م
-**ديوان ابن هانئ** ،ط.دار صادر ، بيروت ، 1964 .

المراجع العربيّة :

1- الأعظمي (محمّد حسن)

- **عبقريّة الفاطميين** ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1960 .

-**تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ** ،مطبعة المعارف ومكتبتها ، مصر ،1352هـ

2- أمين (أحمد)

-**ضحى الإسلام** ، ط. 10، مكتبة النهضة المصريّة ،القاهرة، ج.2 ،3 .

3- إدريس (الهادي روجر)

- **الدولة الصنهاجيّة ،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري** ،ترجمة:حمادي الساحلي ،ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1992 .

4- بدوي (جمال)

- **الفاطميّة دولة التفاريح والتباريح** ،ط.1 ،دار الشروق ، القاهرة ،2004 .

5- بدوي (عبد الرحمان)

- **مذاهب الإسلاميين** ، دار العلم للملايين ،بيروت ،1997 .

6- تامر (عارف)

-**الإمامة في الإسلام** ،ط.1 ، دار الأضواء ،بيروت ،1998 .

- **تاريخ الإسماعيليّة** ،ط.1 ،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن –قبرص ،1991.

- **ثلاث رسائل إسماعيلية** ،ط.1 ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1983 .

- **خمس رسائل إسماعيليّة** ، دار الإنصاف ، سوريا ، 1956 .

- **القائم والمنصور الفاطميان** ،ط.1 ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1982 .

- **القرامطة بين الإلتزام والإنكار** ،ط.1 ،دار الطليعة الجديدة ،سوريا ،1996 .

- **المعزّ لدين الله الفاطمي** ، ط.1 ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1982 .

7- جمال (الدّين محمّد السعيد)

- **دولة الإسماعيليّة في إيران** ،ط.1، الدّار الثقافيّة للنشر ، القاهرة ،1999 .

8- الحاجري(محمّد طه)
-**مرحلة التشيّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبيّة** ،ط.1،دار النهضة،بيروت ، 1983 .
9- حسن إبراهيم حسن
-**تاريخ الدّولة الفاطميّة بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب** ،ط.3 ،مصر ،1964 .
- **عبيد الله المهديّ** (بالاشتراك مع :طه أحمد شرف) ،مكتبة النهضة المصريّة ، د.ت .
- **المعزّ لدين الله إمام الشيعة الإسماعيليّة ،ومؤسس الدّولة الفاطمية** ، مصر ، 1947 .
10 - حسين (محمد كامل)
- **طائفة الإسماعيليّة ،تاريخها ، نظمها وعقائدها** ، ط.1 ،مكتبة النهضة المصريّة ،1959 .
- **في أدب مصر الفاطميّة** ، دار الفكر العربي ،1970 .
11- حوالة (أحمد يوسف)
- **الحياة العلمية في افريقية،منذ الفتح حتى القرن الخامس ،450/90هــ**،جامعة أم القرى، 2000م.
12- الدشراوي (فرحات)
-**الخلافة الفاطميّة بالمغرب** ، ترجمة : حمادي الساحلي ،ط.1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت . 1994
13- دفتري (فرهاد)
-**الإسماعيليّون في العصر الوسيط ، تاريخهم وفكرهم**،ترجمة: سيف الدّين القصير،ط.1 ،دار المدى للثقافة والنشر ،دمشق ، سوريا ،1999 .
- **خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين** ، ترجمة :سيف الدّين القصير ، ط.1996 ،دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، سوريا .
- **المناهج والأعراف العقلانيّة في الإسلام** ،ترجمة :ناصح ميرزا،ط.1،دار الساقي ،2004
14- دي خوية (ميكال يان)
- **القرامطة ،نشأتهم ،دولتهم وعلاقتهم بالفاطميين** ،ترجمة:حسني زينة ،ط.1 ، دار ابن خلدون ،بيروت ،1978 .

15- أبو زهرة (محمد)

- **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيّة** ، دار الفكر العربي ،القاهرة .

16- زغلول عبد الحميد(سعد)

- **تاريخ المغرب العربي** ، منشأة المعارف بالإسكندريّة ، ج.3 .د.ت .

17 –زغلول سلام (محمد)

- **الأدب في العصر الفاطمي** ،منشأة المعارف بالإسكندريّة ،د.ت .

18- زكّار (سهيل)

- **الجامع في أخبار القرامطة،ط.3،دار حسّان للطباعة والنشر،دمشق ،1987**

19-زكي (محمد حسن)

- **كنوز الفاطميين** ، دار الكتب المصريّة ،1937 .

20-زيتون (محمد)

- **القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميّة** ،ط.1 ،دار المنار ، القاهرة ،1988.

21- سرور (جمال الدين)

ـــ **تاريخ الدولة الفاطمية** ، دار الفكر العربي .مصر . د.ت .

22-سيّد (أيمن فؤاد)

- **الدولة الفاطمية في مصر ،تفسير جديد** ،ط.1،الدّار المصريّة اللبنانية ، القاهرة ،1992.

23-السامرائي(عبد الله سلوم)

- **الغلو والفرق الغالية في الإسلام** ،ط.3 ، دار واسط للنشر ،لندن – بغداد ، 1988 .

24السلومي(سليمان عبد الله)

- **أصول الإسماعيليّة** ،ط.1 ، دار الفضيلة ، الرياض ، السعودية ،2001 .

25- الطالبي (محمد)

- **الدّولة الأغلبيّة** ، **التاريخ السياسي** ، تعريب:المنجي الصيداوي ،ط.2 ،دار الغرب الإسلامي ،1995 .

26-ظهير (إحسان إلهي)
-الإسماعيلية تاريخ وعقائد ،لاهور ،إدارة ترجمان، باكستان ،د.ت .
27- عبد الوهاب (حسن حسني) .
- **خلاصة تاريخ تونس ،دار الجنوب** ،تونس ، 1994 .
-**ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقية التونسية** ، ج.1 ،1965 .
28- عطا الله خضر أحمد
- **الحياة الفكريّة في مصر في العصر الفاطمي** ،ط.1 ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،د.ت .
29 –عثمان (نجوى)
- **مساجد القيروان** ، ط.1، مطبعة دار عكرمة ، سوريا ،2000 .
30-بن عميرة محمد
- **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي** ،المؤسسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر،1984
31-عنان (محمد عبد الله)
- **الحاكم بأمر الله وأسرار الدّعوة الفاطميّة** ، ط.3، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض، 1983 .
32-غالب (مصطفى)
- **أربع كتب حقّانيّة**(تقديم وتحقيق)،ط.2،المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر،بيروت،1987.
- **تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة** ،ط.2 ، دار الأندلس ،بيروت ،لبنان ،د .ت .
33-الفقي(حبيب)
-**الفلسفة الإسماعيليّة وقانون الموازنة** ،ملتقى القاضي النعمان ،المهديّة ،1977 .
34-كامل موسى(عبد الله)
- **الفاطميون وآثارهم المعماريّة في إفريقية ومصر واليمن** ،ط.1، دار الآفاق العربيّة ،القاهرة 2001 .
35- لقبال موسى
-**دور كتامة في تاريخ الدّولة الفاطمية** ،الجزائر ،1979 .
36-لويس برنار

- **الحشاشون ،فرقة ثورية في تاريخ الإسلام** ،تعريب:محمد العزب موسى ،ط.2،مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006 .

37- ماجد (عبد المنعم)

-**ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر** ،ط.4، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1994.

38-المجدوب (عبد العزيز)

-**الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدّولة الزيرية** ، الدار التونسية للطباعة والنشر ، 1975

39-محي الدّين الاذقاني

- **ثلاثية الحلم القرمطي** ،ط.1 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1993 .

40-النشار (علي سامي)

- **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** ،ط.8 ،دار المعارف ، ج.2 ، د .ت .

41-نوح علي

- **الخطاب الإسماعيلي** ،دار الينابيع للطباة والنشر ، دمشق ،1994 .

42- الهنتاتي(نجم الدّين)

-**المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس**،تبر الزمان ،تونس ،2004

43-هايتر هالم

- **الغنوصيّة في الإسلام** ،ترجمة : رائد الباش ، ط.1 ،منشورات الجمل ، كولونيا ،ألمانيا . 2003

-**الفاطميّون وتقاليدهم في التعليم ،ضمن كتاب:الإسماعيليّون ،تاريخهم وفكرهم** ، ترجمة: سيف الدّين القصير،ط.1 ،دار المدى للثقافة والنشر ،دمشق ، سوريا ،1999 .

44-اليعلاوي (محمد)

-**ابن هانئ المغربي الأندلسي** ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1985 .

-**الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي** ،ط.1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1986 .

الأطروحات الجامعيّة :

1- رافعي نشيدة : **الحياة الفكريّة والثقافيّة في المغرب في العصر الفاطمي 296 - 362هـ** رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط ،قسم التاريخ بكلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ، جامعة الجزائر ،2002- 2003 م .

2- عبد المالك مغشيش :**الأشكال النثريّة في الأدب المغربي في العهد العبيدي** ،رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة ،قسم اللغة العربيّة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ،2005-2006 .

3- القحطاني ،طارق بن سعيد : **أسرار الحروف وحساب الجمل** ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير ،قسم العقيدة ،كليّة الدّعوة وأصول الدّين ،جامعة امّ القرى ،المملكة العربيّة السعوديّة 1429-1430 /2008-2009 .

4- القفاري ، ناصر بن عبد الله بن عليّ : **أصول مذهب الشيعة** ، رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،جامعة الإمام محمد بن سعود ،د.ت .

5-المشهداني ،علياء :فقهاء المالكيّة ،دراسة في علاقاتهم العلميّة في الأندلس والمغرب حتّى منتصف القرن 6 هـ /12م ،أطروحة مقدّمة إلى مجلس كليّة التربية ،وهي جزء من متطلّبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي ،مجلس كليّة التربية ، جامعة الموصل ، 2003 .

1- Dachraoui (Farhat): Le califat fatimide au Maghreb,histoire politique et Institutions ,Tunis ,1981

2-W.Ivanov: A creed of the fatimids ,Qayyimh press , Bombay ,1936 .

3-Paul E. Wolker : Orations of the fatimids
4- Farouk :AI Ghazali and the ismailis
5- James W . Morris,the master and the disciples
6- Hermann londli : An anologi of

فهرس الأبيات

مطلع البيت	القافية	الوزن	الشاعر	الصفحة
ناديت أهل الغرب دعوة واثق	لم يخب	طويل	القائم	147
- ح-				
حلّ برقّادة المسيح	نوح	مخلّع	البديل	141
ندعوه منتقما عزيزا قادرا	صفوحا	كامل	ابن هانئ	144
- د-				
فارتقى الملعون من خيفته	مصعّد	الرمل	الإيادي	141
- ر -				
لله ما صنعت بنا	المعاجر	مجزوء الكامل	المعزّ	148
هذا الأمام الفاطميّ ومن به	المحذور	كامل	سعدون	140
فلا تحسببوا أنّي شغلت بلذّة	كافر	طويل	المنصور	148
- س -				
من كان يرضى بحصن يستجير به	وأحراس	بسيط	القائم	147
- ل-				
فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم	عدلا	طويل	المهدي	146
كتابي إليك من أقاصي الغروب	طويل	متقارب	المنصور	148
يا وحشتي للغريب النازح	فعلا	المنسرح	المهدي	146
جادتك صادقة المخايل	الشمائل		الإيادي	141
أطَلع الحسن من جبينك شمسا	أطلاّ	خفيف	المعزّ	148
- م -				
أتصبح في كتامة ذا انفراد	في قيام	الوافر	المهدي	146

- هــ - الله لي ثمّ إمام الهدى	له الله	السريع	القائم	147

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والمواضع

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الموضوعات